تأليف

سماحة السيد صدر الدين القبانچي دامت بركاته

إعداد وتحقيق

في رحاب دعاء أبي حمزة الثمالي/ ج (2)
السيد صدر الدين القبانچي
مكتب إمام جمعة النجف الأشرف
الطبعة: الأولى
سنة النشر: 1429هـ
عدد النسخ: 3000 نسخة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة وإيضاح:

وبعد..

هذه مجموعة محاضرات قدّمناها للمستمعين في النجف الأشرف خلال ليالي شهر رمضان المبارك من عام 1426 و1427 للهجرة النبوية الشريفة.

* * *

لم تكن هذه المحاضرات دروساً علميّة محضة، أو مباحث فكريّة مجرّدة في شرح دعاء (أبي حمزة الثمالي) للإمام زين العابدين عليه السلام، بل هي معايشة تربوية وعلمية في رحاب هذا الدعاء العظيم، كنا نسعى أن نضعها بمستوى عموم السامعين، ونضمّنها جمعاً من الشواهد القرآنية، والقصص التربوية، وبلغة خطابيّة، قد نخرج خلالها من أصل الموضوع إلى موضوعات جانبيّة مهمة في الواقع الحياتي الذي يعيشه المستمعون.

* * *

وها نحن نقدّم للقراء ثلاثين محاضرة في رحاب هذا الدعاء العظيم في هذا المجلد الثاني وقد سبق أن تضمن الجزء الأوّل ثلاثين محاضرة أخرى كنا قد قدّمناها في ليالي شهر رمضان المبارك من عام 1424 و1425 للهجرة النبوية الشريفة.

* * *

وقد يلاحظ القارئ أننا ختمنا بعض هذه المحاضرات بذكر مصيبة أهل البيت (عليهم السلام)، وهو أمر يترك آثاره التربوية على قلب السامع.

* * *

وبودّي في هذا التقديم أن أُشيد بجهود الإخوة الكرام في (مكتب إمام جمعة النجف الأشرف) على إعداد هذه المحاضرات وإخراج مصادرها وتنظيمها بالنحو الجميل ووضعها ميسورة بيد القرّاء الكرام، أسأل الله تعالى لهم ولجميع العاملين والسامعين والقارئين العفو والقبول، إنه وليّ التوفيق.

12/ محرم الحرام/1429هـ
النجف الأشرف
السيد صدر الدين القبانجي

المحاضرة الحادية والثلاثون:

الإنسان بين منازل الدنيا ومنازل الآخرة

«ارْحَمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا غُرْبَتِي ، وَعِنْدَ الْمَوْتِ كُرْبَتِي ، وَفِي الْقَبْرِ وَحْدَتِي ، وَفِي اللَّحْدِ وَحْشَتِي ، وَإِذَا نُشِرْتُ لِلْحِسَابِ بَيْنَ يَدَيْكَ ذُلَّ مَوْقِفِي».

بسم الله الرحمن الرحيم

قوس النزول وقوس الصعود:

حديث اليوم هو حديث تمهيدي عن مراحل حياة الإنسان.

الفكر الديني يقسّم دائرة حياة الإنسان إلى قوس نزول وقوس صعود، في هذه الدائرة الإنسان يبدأ منها في قوس النزول، ثمّ يبدأ بقوس الصعود، قوس النزول يكون قوس البداية من الله تبارك وتعالى، وهو الوجود الأعظم المطلق الأكبر، إلى أن يتشكل هذا الإنسان، ويولد على هذه الأرض، ثمّ يبدأ قوس الرجوع والعودة والصعود إلى الله.

في الحقيقة إن نقطة البداية للإنسان ليست هذه الدنيا، بل حينما كان عند الله، قال تعالى: ﴿فَإِذا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ ساجِدِينَ ﴾[١]، أصل الإنسان هو نفخة من روح الله، فهو إذن له شأن آخر قبل أن يأتي إلى الدنيا، من هناك نزل وتدرَّج خطوة بعد خطوة عبر ملايين السنين إلى أن وُجِد على هذه الأرض، هذا هو ما يسمّيه العلماء: قوس النزول. نزلنا إلى هذه الأرض، وبعدما نختم الحياة الدنيا يبدأ قوس العودة وقوس الرجوع إلى الله تعالى، ولهذا فالقرآن الكريم يقول: ﴿كَما بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾[٢]، يعني توجد عودة، ومعنى العودة أنه يوجد سفر نحن قطعناه ثمّ نرجع.

---

(١) ص:71.

(٢) الأعراف:29.

ما هو السفر الذي قطعناه؟

السفر الذي قطعناه في قوس النزول كان رحلة في عالم الأسماء وفي عالم العقول.

الروايات تقول: «لما خلق الله العقل _ قبل أن يخلق آدم _ استنطقه، ثمّ قال له: أقبل، فأقبل، ثمّ قال له: أدبر، فأدبر، فقال: وعزتي وجلالي، ما خلقت خلقاً هو أحب إليَّ منك، ولا أكملتك إلاّ فيما أُحب، أما إني إيّاك آمر، وإيّاك أنهى، وإيّاك أعاقب، وإيّاك أُثيب»(١).

إذن خلق البشر مرَّ عبر مراحل نسميها قوس النزول. لكننا لا نذكر من تلك المراحل أيَّ شيء. لا نذكر ما الذي كان قبل الدنيا، نحن لا نذكر أيام كنا في بطن أمهاتنا ماذا كان وضعنا؟ فكيف ما قبل الدنيا في سلسلة المراحل المليونية من عالم الله، ثمّ إلى عالم الأسماء الإلهية، ثمّ إلى عالم العقول، ﴿إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾(٢)، حينئذٍ صار الإنسان.

هذه الآية ﴿إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ﴾ تتحدّث عن مرحلة جدّاً متأخرة وفي آخر العصور، يعني قبل ما لا يزيد على سبعة آلاف سنة. فإنّ تاريخ خلق آدم لا يتجاوز سبعة آلاف سنة ليس أكثر، بينما الكرة الأرضية وفق بعض الدراسات الطبيعية تقول: إنها كانت قبل أكثر من (150) مليون سنة، بل أكثر من ذلك، فكيف بالسماوات والنجوم والأفلاك؟!

---

(١) الكافي 1: 10/ باب العقل والجهل/ ح 1.

(٢) ص: 71 و72.

هذه الآية ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾(١) هي آخر مرحلة في قوس النزول، ثمّ بعد ذلك يبدأ قوس الصعود، ولهذا فإن القرآن الكريم يقول: ﴿إِنَّ إِلى رَبِّكَ الرُّجْعى﴾(٢)، يعني نحن جئنا وبعدها تبدأ عملية رجوع ﴿وَأَنَّ إِلى رَبِّكَ الْمُنْتَهى﴾(٣).

أنظروا قوس النزول وقوس الصعود، هذا المصطلح لا وجود له في تعبير القرآن. في التعبير القرآني يوجد ﴿كَما بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾،(٤) ﴿إِنَّ إِلى رَبِّكَ الرُّجْعى﴾، إذن فالقرآن يستعمل كلمة عودة وكلمة رجوع، ولكن الفلاسفة الإسلاميين استعملوا هذا المصطلح قوس النزول وقوس الصعود.

القرآن الكريم يعطينا ألفاظاً مقاربة، يقول: ﴿تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كانَ مِقْدارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ * فَاصْبِرْ صَبْراً جَمِيلاً * إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً﴾(٥)، يوم يعرج الروح والملائكة. الملائكة تعرج، والروح التي هي مصدر خلق الملائكة، والتي هي بمثابة الأب الروحي للملائكة. يوم يعرج الملائكة والروح إليه في يوم... هذا إشارة إلى قوس الصعود وقوس العودة إلى الله تبارك وتعالى.

خَلْق آدم عليه السلام هو مرحلة متأخرة جدّاً من مراحل عالم الدنيا، ولهذا يقول القرآن الكريم: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسابُهُمْ﴾(٦)، يعني أنتم وصلتم

---

(١) الحجر:29.

(٢) العلق:8 .

(٣) النجم:42.

(٤) الأعراف:29.

(٥) المعارج: 4 -6.

(٦) الأنبياء: 1.

إلى المحطة ما قبل الأخيرة، وستصلون عن قريب إلى الآخرة ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسابُهُمْ﴾، يعني قوس النزول انتهى حينما وصلتم إلى الأرض، وسوف تصعدون وتعرجون.

كيفية خلق آدم عليه السلام:

أنقل لكم بعض الروايات في هذا الشأن، على أنها تعطينا معلومات كخطوط عريضة ربّما نحن غير قادرين على فهمها بشكل دقيق.

تقول الرواية: إن الله عز وجل خلق آدم عليه السلام، وكان جسده طيباً، وبقي أربعين سنة ملقى، تمرُّ به الملائكة ـ وهو على هيأة طين قبل أن ينفخ الله فيه الروح، فلا يجدون فيه روحاً ـ فتقول: (لأمر مّا خُلِقتَ). أنت مخلوق عجيب، أنت أعظم منّا، يعني هم يدركون أنه سوف يحصل لهذا المخلوق شأن عظيم، يوم يقول الله لهم: ﴿اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾(١)، وكان إبليس يمرُّ على هذا المخلوق الجديد وهو طين ويدخل فيه ويعبث فيه، والروايات تقول: من أجل هذا صار ما في آدم منتناً خبيثاً غير طيّب(٢)، لدخول إبليس فيه.

هذه تصوّرات ربما نحن غير قادرين على فهمها بعمق، قال تعالى: ﴿إِنِّي خالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ * فَإِذا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ ساجِدِينَ﴾.(٣)

اليوم علماء الطبيعة لديهم سؤالان:

السؤال الأوّل: أصل الحياة ما هو؟

السؤال الثاني: هل توجد حياة على غير هذا الكوكب؟

---

(١) البقرة:34.

(٢) أنظر نص الرواية في: علل الشرائع 275/1/ باب183/ ح 2.

(٣) ص:71 و72.

أصل الحياة:

السؤال الأوّل: أصل الحياة من أين جاءت قبل أن يصير آدم؟ حياة النباتات الغارقة في عمق التاريخ؟، الديناصور قبل أكثر من خمسين مليون سنة حسب التحقيقات الأثرية، أصل الحياة من أين جاء؟

العلم والعلماء يطرحون أحد الاحتمالات للدراسة: هل الحياة نزلت من كوكب آخر؟

من أين جاءت الحياة فصارت شجراً وأسماكاً وحيواناتٍ وصارت طيوراً ثمّ صار الإنسان؟

هل الحياة جاءت من كوكب آخر؟ هذا السؤال لم يصل به العلم إلى نتيجة.

القرآن والنظرية الدينية عموماً تقول: إن الحياة جاءت من مصدر آخر خارج الكوكب الأرضي، ولكن ليس من كوكب آخر مثل الزُهرة والمرّيخ وعطارد، نعم جاءت من مصدر آخر، وذلك المصدر هو الله تبارك وتعالى: ﴿فَإِذا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ﴾.

العلم الآن يبحث عن هذه النفخة التي هي مصدر الحياة، ما هذه النفخة الإلهية؟

القرآن الكريم يقول: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾[1]، العلم لم يعرف ما هي هذه النفخة، وبالحساب الديني سيبقى العلم عاجزاً عن معرفة سر هذه النفخة الإلهية، ولا يستطيع تحليلها.

القرآن يقول: ﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَما أُوتِيتُمْ مِنَ

(١) ص:72.

الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾[1]، وربما يُفهم منها _ والله العالم _ الإشارة إلى أن الإنسان سوف لن يصل إلى معرفة سر الحياة، القرآن يقول صحيح أن الحياة ليست من الأرض وإنما جاءت من خارج الأرض، ولكن خارج الأرض ما هو؟! هو الله وليس من كوكب آخر!؛ لأن الحياة لو جاءت من كوكب آخر لعاد السؤال عن مصدر الحياة في ذلك الكوكب من أين جاءت؟ الله نفخ في آدم من روحه فصارت الحياة البشرية. على كل حال هذا هو السؤال الأوّل: من أين جاءت الحياة على كوكب الأرض؟

هل توجد حياة على كوكب آخر؟

وهناك سؤال ثانٍ أيضاً ما يزال العلم مشغول بالبحث فيه، وهو أنه هل توجد حياة على كرة أخرى غير الكرة الأرضية؟ الآن لم يجدوا على القمر حياة. ولا على مداخل المريخ، ويبدو أن مجموعتنا الشمسية كلها ليست فيها حياة، لكن العلم من حقه أن يبحث أنه هل توجد كرة أو نجم أو كوكب تتوفر فيه شروط الحياة؟، أحياناً يعثرون على كواكب خارج مجموعتنا الشمسية يقولون تشبه ظروفه ظروف الأرض، ويمكن أن توجد فيها حياة. لأن الحياة ترتبط بتوفر الماء والغاز والهواء.

العلم الآن يبحث عن أفلاك وكواكب هل فيها ماء أم لا؟ إذا وُجد الماء وُجدت الحياة، ويبدو من القرآن الكريم أن لا توجد حياة إنسانية في خارج الكرة الأرضية. كل الأفلاك والسماوات وملايين النجوم والكواكب ليست فيها حياة إنسانية. ربما يوجد فيها حياة بسيطة ميكروبيّة وجرثوميّة وغيرها. لكن لا يوجد إنسان على غير الكرة

---

(١) الإسراء:85 .

الأرضية، هذا ما نفهمه من القرآن الكريم، ولو على مستوى الظهور القرآني كما في قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾[1]، قد نفهم من ذلك أن في غير هذه الأرض لا يوجد إنسان خليفة لله تعالى. ولو كان فيها إنسان إذن يجب أن يكون خليفة أيضاً، ويجب أن يوجد أنبياء، بينما يبدو من القرآن الكريم أن هذه الأرض هي أرض الخلافة، والأنبياء هم فقط في هذه الأرض، ونبينا ﷺ هو نبي لكل العالمين.

نعود إلى مقاطع الدعاء التي قرأناها « ارْحَمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا غُرْبَتِي ، وَعِنْدَ الْمَوْتِ كُرْبَتِي ، وَفِي الْقَبْر وَحْدَتِي ، وَفِي اللَّحْدِ وَحْشَتِي ، وَإِذَا نُشِرْتُ لِلْحِسَابِ بَيْنَ يَدَيْكَ ذُلَّ مَوْقِفِي».

«ذُلَّ مَوْقِفِي »، هذا استعراض لمنازل الإنسان بعد الدنيا، نحن قلنا: يوجد قوس نزول ويوجد قوس صعود، إذن توجد محطات، توجد منازل. الأديان جاءت تُذكّر الإنسان بمنازله بعد الموت، وتقول له: أيها الإنسان أنت وراءك محطّات توقف، نقاط تفتيش يجب أن تتهيأ لها، حضّر نفسك للعبور: جوازك، إقامتك، وضعك، استعد. هذا ما يسمى منازل الآخرة.

كتاب منازل الآخرة:

يوجد عالِمان ألّفا كتابين في منازل الآخرة. هذه حديقة إذا قرأها الإنسان يجد أنها أجمل حديقة. يوجد كتاب اسمه (منازل الآخرة) للشيخ المحدّث عبّاس القمي صاحب كتاب مفاتيح الجنان. هذا يأخذ

(١) البقرة:30.

منزلاً منزلاً. المنزل الأوّل هو الموت، ويخبرك في الموت ماذا يوجد في هذا المنزل، ثمّ كيف تتخلص؟ ثمّ ينتقل للمنزل الثاني وهو القبر، ماذا يوجد فيه؟ وكيف تتخلص؟ ثمّ ينتقل للمنزل الثالث وهو الحشر، ماذا يوجد في الحشر؟ وما هي الأهوال؟ وكيف تتخلص؟ ثمّ ينتقل للمنزل الرابع وهو الحساب، ما هي الأهوال؟ وكيف تتخلص؟ المنزل الآخر هو الصراط، والأهوال لدى العبور على الصراط، كيف تتخلص؟ وهكذا منزلاً منزلاً يسلك بك في طريق الآخرة. بالاستفادة طبعاً من الآيات والروايات.

منازل الآخرة للشيخ عبّاس القمي يا حبذا لو يطلع عليه الشباب، إنه رائع. كأن الإنسان عنده عدسة نظّارة ويطلع على هذه المنازل واحدة بعد أخرى، الشيخ عبّاس القمي كنت أقرأ في ترجمته أنه رجل صاحب همّة عالية، ابنه يقول: كان أبي أيّام مرضه يعمل في اليوم كتابةً وتأليفاً سبعة عشر ساعة، إذن ما هي فترة النوم والاستراحة والصلاة وما شاكل!؟ هي فقط سبع ساعات. هذا في أيام المرض، أما في غيرها كم كان مقدار عمله؟! هؤلاء العلماء الذين عرفوا الدين والمذهب، وكتبوا لنا هذه الكتب مثل كتاب منازل الآخرة.

رحمة الله على أستاذنا مفجر الثورة الإسلاميّة في العراق الإمام السيد محمّد باقر الصدر ﵁، جمعنا يوماً، وكنا شباباً في أوّل حضورنا في دروسه.

قال: أنا كنت أعمل أيام شبابي ثمانية عشر ساعة باليوم في الكتابة والمطالعة والتأليف. تلك الأيام أيام الحر وصعوبة الحياة في ذلك الوقت. هكذا كان يعمل علماؤنا.

كتاب المرآة الناظرة:

ومنها كتاب ثانٍ بنفس هذا المنهج، وهو كتاب (المرآة الناظرة إلى منازل الآخرة) وهو لأحد علماء النجف، يقول: أنا سوف أعطيكم نظّارات تشاهدون بها منازل الآخرة _ وهو للسيد عبد الله شبر مؤلف تفسير القرآن الكريم المعروف بتفسير شبّر _، نحن أيام شبابنا، بل أيام طفولتنا كنا نستأنس بهذه الكتب. تعلمون أنه لم يكن يوجد في النجف حديقة ولا سياحة ولا سفر ولا راديو ولا تلفزيون. أيام الطفولة بعمر عشر سنين، كنا نقرأ هذه الكتب، هؤلاء العلماء قالوا: أيها الشباب، إن وراءكم سفراً طويلاً، وراءكم محطات ونقاط سيطرة تفتيش، تعالوا فكروا وتزودوا. أعدوا الزاد لكل محطة، ما هو المطلوب ﴿تَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوى﴾[(١)].

وهنا أمير المؤمنين يقول: «تجهزوا يرحمكم الله _ تجهزوا يعني خذوا الجهاز معكم، يعني استعدوا _ فقد نودي فيكم بالرحيل، وأقلوا العُرجة على الدنيا _ أي اجعلوا ركونكم إليها قليلاً _، وانقلبوا بصالح ما بحضرتكم من الزاد، فإن أمامكم عقبةً كؤوداً _ نقاط سيطرة شديدة _ ومنازل مخوفة مهولة لا بدَّ من الورود عليها»[(٢)].

خصائص منازل الآخرة:

منازل الآخرة فيها ثلاث خصوصيات، بعكس خصوصيات منازل الدنيا، هنا في الدنيا توجد ثلاث خصوصيات، ومنازل الآخرة أيضاً فيها ثلاث خصوصيات مختلفة عن خصوصيات الدنيا.

---

(١) البقرة:197.

(٢) نهج البلاغة 2/183/203.

الخصوصية الأولى: أن منازل الآخرة موحشة، أما منازل الدنيا فربما لا تشعر فيها بوحشة. وهذا السؤال في الحقيقة أنا أفكر فيه، لماذا منازل الآخرة موحشة؟ الله سبحانه وتعالى لم يخلق الدنيا موحشة. فلماذا منازل الآخرة موحشة مخيفة مرعبة بحيث أن الأنبياء يبكون. والأولياء والصالحون كذلك خوفاً من تلك المنازل. هذه أوّل صفة لمنازل الآخرة، أنها موحشة، القبر، ما بعد القبر، ما بعد الحشر والنشر كلها منازل موحشة ومخيفة تستغرق آلاف السنين، هي منازل موحشة، أمّا منازل الدنيا فإنها مألوفة وغير موحشة. هذه هي الخصوصية الأولى.

الخصوصية الثانية: أن منازل الآخرة ضرورية وليست اختيارية. أما في الدنيا فأنت مخيّر تريد أن تستأجر بيتاً في مركز المدينة، أو في الأحياء، بيتاً صغيراً أو كبيراً، بالوصف الذي تريده أنت، وإذا كان لديك مال فأنت تشتري بيتاً وتسكن حيث تشاء. يعني هي منازل اختيارية، أو بإمكانك أن لا تسكنها جميعاً وتقول أريد أن أعيش في الصحاري أو في الغابات.

في يوم تحدّثت بعض الصحف عن العثور على رجل كان من قادة الحرب الفيتنامية. محارب يعيش في الغابات عثروا عليه وقد فقد الكثير من الخصوصيات البشرية وصار على شكل حيوانات الغابة، منذ خمسين سنة وهو على هذه الحالة. إذن في الدنيا الإنسان لديه اختيار أن يعيش أينما يشاء. لكن منازل الآخرة هل هي اختيارية؟ أم أنت مجبور عليها؟ الجواب: أنها ليست اختيارية، دخولك القبر ليس اختيارياً، النشر بعد القبر ليس اختيارياً، الوقوف في عرصات يوم القيامة ليس أمراً اختيارياً، العبور على الصراط لا يمكنك أيضاً أن تقول لا أريد العبور،

أرجوكم اتركوني على هذا الجانب، لا بدَّ أن تعبر على الصراط. فإما تستطيع الوصول إلى ذلك الساحل أو لا تستطيع، أيضاً تطاير الكتب، فمنهم من يأخذ كتابه بيمينه، ومنهم من يأخذ كتابه بشماله. هل هذه المسألة اختيارية؟ فيقول أحدهم: لا أريد أن آخذ هذا الكتاب! لا، ليس باختيارك. منازل الآخرة كلها منازل ضرورية حتمية وليست منازل اختيارية، بخلاف منازل الدنيا.

الخصوصية الثالثة: هناك خصوصية ثالثة لمنازل الآخرة، هذه الخصوصية نسميها اليوم نظام التسيير الذاتي، حيث يوجد نظامان: نظام التسيير الإرادي، ونظام التسيير الذاتي. ما معناهما؟

السير الإرادي يعني أنك بإرادتك تمشي يميناً أو شمالاً، تأكل أو لا تأكل، تشرب أو لا تشرب، تدرس أو لا تدرس. هذا نظام السير الإرادي، أمّا يوم القيامة فهناك سير ذاتي وليس سيراً إرادياً.

هناك يكون شكل السير انعكاساً لذاتك في الدنيا، هناك تفقد الاختيار، وإنما هو تسيير ذاتي. ذات الإنسان وليست إرادته هي التي تسيّره، يعني إذا كان سيئ الذات في الدنيا فإن هذه الذات تسير به إلى جهنم، وإذا كان حَسن الذات في الدنيا تسير به هذه الذات إلى الجنّة، وإذا كان مؤمن الذات ينطق ويشهد بالربوبية. وإذا كان كافر الذات هنا في الدنيا هناك أيضاً تتحدّث الذات، هذا هو ما نسميه نظام التسيير الذاتي، أنظر إلى ذاتك في الدنيا ما هي؟ إذا كانت ذاتك في الدنيا إنسانية فهناك تصير من أهل الجنّة، وإذا كانت ذاتك ذات حيوانية وحشية كالخنزير أو الذئب وما شاكل فهناك في الآخرة كذلك.

هناك نظام التسيير الذاتي، انعكاس وترجمة لحياة الإنسان. أنظر ذاتك ماذا تكون في الدنيا. وهذا معنى ﴿يَوْمَ لا يَنْفَعُ مالٌ وَلا بَنُونَ * إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾(١). سر هنا مسيراً جيداً، هناك تكون كذلك.

العبور على الصراط:

سؤال: كيف نعبر على الصراط يوم القيامة؟

لماذا البعض يعبر على الصراط والبعض الآخر لا يعبر؟

هل المسألة اختيارية؟

الجواب: لا، إنما هو نظام التسيير الذاتي الذي أشرنا إليه. إذا كنت في الدنيا لم تتقدم إلى الله ولم تتقرب إليه فأنت في الآخرة لا تستطيع أن تعبر الصراط، وإنما تسقط في جهنم. هذا هو نظام التسيير الذاتي. هذه بعض خصائص منازل الآخرة.

ولهذا في يوم القيامة يقول القرآن الكريم: ﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنا قالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾(٢)، يعني أنت تسكت حين يسألونك عن عمل قمتَ به أو لم تقم به؟ أنت تحاول السكوت، ولكن فجأة تتكلم يدك ورجلك وتشهد بما فعلت.

الإنسان يتحرك بغير إرادته، كيف ذلك؟

الإنسان في حالة الإغماء أو حينما يُعطى مخدراً في المستشفى يتكلم بغير إرادته. هكذا يوم القيامة.

---

(١) الشعراء:88 و89.

(٢) فصلت:21.

قصة الشيخ حسين معن:

كان أحد أصدقائنا ﵀ هو الشهيد الشيخ حسين معن اعتُقل في العراق أيام نظام صدام وجرى عليه من التعذيب ما جرى، يذكر في ذكرياته يقول: بعد تعذيب شديد وأماكن موحشة وزنزانات مظلمة يغمى على الإنسان. يقول: حاولوا أن يخدعوني، وحاولوا أن يصوروا لي بعد الإغماء كأني في عالم القبر وقد نهضت من الموت، وإذا أنا في غرفة مظلمة ومعي رجلان مخيفان يرتديان ملابس سوداء بصورة منكر ونكير، قالوا: قم شيخ حسين، أنا منكر وهذا نكير. يقول الشيخ حسين: لقد كنت في الواقع منتبهاً وواعياً أن القضية خديعة، وهم في ظنّهم أنه إنسان بسيط وسوف يتكلم بكل ما يسألون. يقول: أنا كنت أعرف أني في السجن وفي الأمن العامة ولم أمت ولا هؤلاء منكر ونكير.

يقول: سألوني: من ربك؟ من نبيك؟ وهكذا يسألون ليوحوا لي أنهما منكر ونكير، وحتّى يأخذون مني اعترافات: ماذا فعلت في الدنيا؟ ما هي علاقتك مع حزب البعث؟ مع الدولة؟

يقول: أنا خدعتهم بنفس الطريقة، قمت أهزأ بهم كما كانوا يهزأون بي.

الخصوصية الرابعة: يمكن أن نذكر خصوصية رابعة لمنازل الآخرة، وهي أنها منازل طويلة المدى، وسفر طويل المسافة، يبلغ آلاف السنين. هنا في الدنيا منازل السفر عبارة عن ساعات وأيام أو شهور أو سنين. لكن منازل الآخرة نلبث في كل منزل خمسين ألف سنة أيضاً.

تحضير الأرواح:

رحمة الله على أستاذنا الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر، اطّلع على أن بعض الشخصيات هنا في النجف كان لديه قدرة على تحضير الأرواح، فقال له: أريد أن أجلس معك وأنظر كيف تحضر الأرواح وأتكلم معها.

هذا الشخص موجود حالياً في النجف الأشرف، وهو الذي يروي لي هذه الرواية. يقول: كان الشهيد الصدر جالساً بينما نحن نحضّر الأرواح، يقول _ وأذكر هذه للطرفة _:

حضّرنا مرة روحاً، فقلنا له: أنت من أين؟

قال: أنا من ليبيا.

قلنا: لا حاجة لنا بك.

فحضّرنا روحاً أخرى، فقلنا: من أين أنت؟

قال: من الأردن.

قلنا: اذهب لا نريدك.

قال: أنا أعلم ماذا تريدون، أنتم تريدون عبد الحسين وعبد الزهرة ونحن لا ننفعكم!! _ شيء جميل _ قال: إنكم تبحثون عن واحد شيعي، أنا لا أنفعكم، أنا من الأردن أو من ليبيا ولست من الشيعة.

يقول: تركناه، ومرة أخرى حضّرنا روحاً، فسألهُ الشهيد الصدر وهو فيلسوف ويبحث عن قضايا مهمّة كثير من الناس في غفلة عنها، لكن هذه فرصة لنرى ماذا يجيب الروح؟ يقول راوي الرواية: الشهيد الصدر سأل الروح، قال له: نحن في الدنيا عندنا شيء نسميه الزمان، وهو عبارة عن ليل ونهار وساعة وساعتين ويوم ويومين. هنا يوجد بحث عند

الفلاسفة أن الزمان له حقيقة واقعية أو يمكن أن يتلاشى بحيث لا يوجد زمان، وفي عالم الآخرة هل يوجد زمان أم لا؟ ما هي فكرة الأبدية؟ إنه بحث فلسفي لا يمكن شرحه الآن، يقول الراوي: الشهيد الصدر سأله هذا السؤال قال: نحن في الدنيا نشعر بشيء اسمه الزمان، فهل تشعرون أنتم بهذا الشيء؟

أجاب الروح: لو كنّا نشعر بشيء اسمه الزمان لكان الأمر مصيبة علينا!!

ماذا يعني ذلك؟ هل يعني أنه لا يوجد زمان في عالم الآخرة؟ البعد الزمني ينتهي أم يعني شيئاً آخر؟

القرآن الكريم هكذا يقول: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾[١]، اليوم الواحد من أيام الآخرة خمسون ألف سنة، هذا توضيح لصفة من صفات منازل الآخرة، إنها طويلة الأمد بخلاف الدنيا، في الدنيا ﴿لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ﴾[٢]، كل عمر الإنسان مهما عاش ستين أو أكثر، بخلاف صفات منازل الآخرة.

فرح الشيعة في ثلاثة مواطن:

أُمّ سَلَمة رضي الله عنها تقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يا عليّ إن محبيك يفرحون في ثلاثة مواطن»، تلك المواقف المهولة المخيفة شيعة أمير المؤمنين يفرحون في ثلاثة منازل هي موضع الشدة، وأُمّ سَلَمة تعرفونها، هي من نساء النبي الصالحات، وهي التي وقفت في قصة حديث الكساء

(١) المعارج: 4.

(٢) يونس: 45.

حين قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «اللهم هؤلاء أهل بيتي»، وقالت: يا رسول الله وأنا منهم؟ قال صلى الله عليه وآله: «أنت إلى خير» [(١)]، يعني لستِ منهم، ولكنك إلى خير.

هذه أُمّ سَلَمة نفسها التي بقيت إلى زمن الإمام الحسين عليه السلام وودَّعته من المدينة، وكان لديها قارورة فيها تراب، وعندها نبوءة أن هذه القارورة إذا فاضت دماً فذاك يعني قَتل الحسين في كربلاء، ودَّعها الحسين في المدينة ورحل إلى العراق، وبقيت تراقب القارورة متى تفيض دماً[(٢)].

هذه المرأة الصالحة كان لها علاقة مع الحسين، وهي تروي هذه الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «يا عليّ، إن محبيك يفرحون في ثلاثة مواطن: عند خروج أنفسهم وأنت هناك تشهدهم، وعند المسألة في القبر وأنت هناك تلقنهم، وعند العرض على الله وأنت هناك تعرفهم»[(٣)].

---

(١) أنظر ما رواه الطوسي في أماليه368/ ح34783؛ وأحمد في مسنده2926.

(٢) عن أُمّ سَلَمة رضي الله عنها قالت : خرج رسول الله صلى الله عليه وآله من عندنا ذات ليلة فغاب عنّا طويلاً، ثمّ جاءنا وهو أشعث أغبر ويده مضمومة، فقلت: يا رسول الله، ما لي أراك شعثاً مغبراً؟! فقال: «أُسري بي في هذا الوقت إلى موضع من العراق يقال له كربلاء، فأريت فيه مصرع الحسين ابني وجماعة من ولدي وأهل بيتي، فلم أزل ألقط دماءهم، فها هي في يدي» وبسطها إليَّ فقال: «خذيها واحتفظي بها» فأخذتها فإذا هي شبه تراب أحمر، فوضعته في قارورة وسددت رأسها واحتفظت به، فلما خرج الحسين عليه السلام من مكّة متوجهاً نحو العراق، كنت أخرج تلك القارورة في كل يوم وليلة فأشمها وأنظر إليها، فلما كان في اليوم العاشر من المحرم -وهو اليوم الذي قتل فيه عليه السلام أخرجتها في أوّل النهار وهي بحالها، ثمّ عدت إليها آخر النهار فإذا هي دم عبيط، فصحت في بيتي وبكيت وكظمت غيظي مخافة أن يسمع أعداؤهم بالمدينة فيسرعوا بالشماتة، فلم أزل حافظة للوقت حتّى جاء الناعي ينعاه فحقق ما رأيت. أنظر: الإرشاد 2:131؛ ينابيع المودة 3:12.

(٣) بحار الأنوار 2006.

مثل هذه الرواية عن أبي سعيد الخدري يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«يا عليّ، أبشر وبشّر، فليس على شيعتك حسرة عند الموت، ولا وحشة في القبور، ولا حزن يوم النشور...»(١).

التذكير هو منهج الدين:

في الحقيقة أن الأديان تلتزم منهجاً والشياطين تلتزم منهجاً آخر، منهج الأديان هو التذكير، أيها الناس تَذكَّروا أن وراءكم حساباً، عقاباً، قبراً، وراءكم حياة طويلة، هذا هو منهج التذكير، تربّينا الأديان كيف نذكر، أما الشيطان فيُعلّمنا كيف ننسى، وهكذا دائماً الدين يذكّر: حيّ على الصلاة، حيَّ على الفلاح، ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾(٢)، ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا﴾(٣)، ﴿رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾(٤)، «اللهم إني أسألك الراحة عند الموت، والعفو عند الحساب».(٥)

﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى﴾(٦)، الإنسان إذا لم يتذكّر هنا في الدنيا فإنه سوف يتذكر في الآخرة.

يوم كنّا في إيران كنت أصعد على جبال طهران، وطهران مدينة جبلية وهي على سفح جبل، وهناك في إيران يوجد رياضة معروفة هي

---

(١) بحار الأنوار 1987.

(٢) الفاتحة: 6.

(٣) آل عمران: 147.

(٤) آل عمران: 8.

(٥) دعاء كان يردده الإمام الكاظم عليه السلام. الكافي 3233/ ح10.

(٦) الفجر: 23.

رياضة صعود الجبال، أنا كنت اختار بعض الجبال الخالية التي لا يطرقها أحد، وكنت أذهب بالأسبوع مرة أو بالأسبوعين مرة، خاصةً عند الشدائد، فكنت أقضي ساعتين أو ثلاث في صعود الجبال، ولكن بشرط أن لا يكون يوم جمعة أو خميس؛ لازدحام الناس هناك، ونحن نريد الخلوة، كنت أصلي هناك ركعتين، وعندي حاجات مع الله تعالى، وأنا أذكر هذه الأمور لكم لتنويع البحث، كنت وأنا في طريق الصعود أشاهد صخرة جبلية كبيرة وكُتب عليها ﴿أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللهَ يَرى﴾[1]، ذلك أن الناس هناك على أشكال، فيهم شباب مؤمنون صالحون، وفيهم غير مؤمنين، وكلهم يصعدون الجبال كلٌّ على طريقته، المؤمنون يريدون أن تكونَ جميع الأجواء هذه أجواء دينية وليست أجواء فساد فكتبوا على الصخرة وهي في أعلى الجبال: ﴿أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللهَ يَرى﴾، ذلك من باب التذكير، بحيث أن هذا الإنسان إذا كان فاسداً وقد اصطحب معه راديو أو مسجلاً لاستماع الأغاني والطرب حينما يصل إلى هذه الصخرة يجد مكتوباً عليها ﴿أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللهَ يَرى﴾، يعني انتبه أيها الإنسان.

هكذا الدين مهمته دائماً التذكير، أمّا الشيطان فإن مهمته أن يُنسيك ويجعلك غافلاً دائماً.

لاحظوا أدعية شهر رمضان كلها تذكير: الآخرة، الموت، ما بعد الموت، كل ذلك إلى جانب التربية الدنيوية الصالحة، الدعوة للبر والإنفاق والصلة، إننا نريد بناء عالم الآخرة عبر بناء عالم الدنيا بالعمل الصالح.

---

(١) العلق:14.

لماذا نكره الموت؟

سُئل أبو ذر الغفاري مرةً: يا أبا ذر، ما لنا نكره الموت؟

قال: (لأنكم عمرتم الدنيا وأخربتم الآخرة، فتكرهون أن تُنقلوا من عمران إلى خراب) [١]، لكن الذي عمّر آخرته لا يكره الموت، لا يكره الانتقال إلى الله تبارك وتعالى.

يجب أن نفكّر ببناء آخرتنا، وبناء الدنيا بالعمل الصالح، وخدمة العباد، وإنقاذ المجتمع والضعفاء، العلم، الدراسة، الأخلاق الحسنة، هذا هو معنى بناء الدنيا.

لاحظوا كيف أن الآخرة عبارة عن ترجمة للدنيا ولكن بشكل آخر.

يقول الحديث الشريف عن رسول الله ﷺ في شهر رمضان: «من حسَّن منكم في هذا الشهر خُلُقَه كان له جوازٌ على الصراط يَوم تَزلُّ فيه الأقدام» [٢]، يعني أن نفس حُسن الأخلاق ترجمته العملية يوم القيامة هي العبور على الصراط. كأنه يعطيك طاقة تمشي بها على الصراط. ﴿يَومَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنسانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرى * يَقُولُ يا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَياتِي﴾[٣]، يعني يقول: يا ليت قدمت للحياة الآخرة، ذلك يعني أن الدنيا ليست حياة.

وهكذا يقول القرآن الكريم: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّما أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾[٤]، عمل الأنبياء التذكير، ﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ * إِلاَّ مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ * فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذابَ الأَكْبَرَ﴾[٥].

---

(١) الكافي 4582/ باب محاسبة العمل/ ح20.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام 2662/ ح53.

(٣) الفجر:23 و24.

(٤) الغاشية:21.

(٥) الغاشية:22 -24.

أما الشيطان فيُنسينا ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾[١]، الشيطان يقول لله تعالى: اسمح لي أن أكون جرثومة الضلال، يعني مكروب الانحراف، الشيطان عبارة عن جرثومة الضلال والانحراف، ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾ يعني أمامهم فلا يشاهدون، ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾[٢] هذا هو عمل الشيطان، يسدّ علينا عيوننا وآذاننا فلا نشاهد شيئاً.

عمل الأنبياء ذاك، وعمل الشياطين هذا.

المطلوب أن نتذكر، أن لا نكون من الناسين، شهر رمضان هو موسم أن نتذكر قوس الصعود إلى الله تعالى، وماذا يجب علينا، أن نستعد في قوس الصعود، دعاء أبي حمزة الثمالي هذا الدعاء فيه تذكير عجيب لمنازل الآخرة، تذكير عجيب لما يجب أن نستعد له؛ لأننا سنصل إليه، وسنفد عليه لا محالة.

الإمام الحسين في يوم عاشوراء قال لصاحبه:

«ذكرت الصلاة جعلك الله من المصلين، نعم هذا أوّل وقتها»[٣].

في كل الظروف والأحوال يجب أن نكون من الذاكرين.

والحمد لله رب العالمين

* * *

---

(١) الأعراف:17.

(٢) الآية السابقة.

(٣) بحار الأنوار45:21.

المحاضرة الثانية والثلاثون:

الإيمان الظاهر والباطن

«إِنَّ قَوْماً آمَنُوا بِألْسِنَتِهِمْ لِيَحْقِنُوا بِهِ دِمَاءَهُمْ فَأدْرَكُوا مَا أمَّلُوا ، وَإِنَّا آمَنَّا بِكَ بِألْسِنَتِنَا وَقُلُوبِنَا لِتَعْفُوَ عَنَّا، فَأدْرِكْنَا مَا أمَّلْنَا».

بسم الله الرحمن الرحيم

في هذه الليلة لدينا أكثر من حديث، حديث تاريخي ، وحديث فلسفي، وحديث ديني.

بحث تاريخي:

الحديث التاريخي حول المقطع الأخير من الدعاء: « إِنَّ قَوْما آمَنُوا بِأَلْسِنَتِهِمْ لِيَحْقِنُوا بِهِ دِمَاءَهُمْ ، فَأَدْرَكُوا مَا أَمَّلُوا ، وَإِنَّا آمَنَّا بِكَ بِأَلْسِنَتِنَا وَقُلُوبِنَا لِتَعْفُوَ عَنَّا، فَأَدْرِكْنَا مَا أَمَّلْنَا».

هنا حديث تاريخي؛ لأن هذا المقطع يرتبط بقوله تعالى: ﴿وَلا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقى إِلَيْكُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِناً تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَياةِ الدُّنْيا ﴾(١)، يعني الإسلام هو أن ينطق الإنسان بالشهادتين، فإذا قال الإنسان: أشهد أن لا إله إلاّ الله وأشهد أن محمّداً رسول الله ﷺ أصبح مسلماً، ولو في الظاهر، واعتُبر عضواً في المجتمع الإسلامي، واعتُبر مواطناً وله كل استحقاقات المواطن واستحقاقات عضو المجتمع الإسلامي. كما الإنسان حينما يُعطى جنسية بلد معين، فذاك يعني أن له كل استحقاقات أبناء البلد. هكذا إذا نطق الإنسان بالشهادتين، يعني أصبح جزءً من المجتمع الإسلامي وله استحقاقات المجتمع الإسلامي، فدمه حرام، ماله حرام، عرضه حرام، يجب حمايته والدفاع عنه؛ لأنه أصبح جزءً من المجتمع الإسلامي، ولو على مستوى الإسلام الظاهري.

---

(١) النساء:94.

الإسلام لا يفتش القلوب، يقول: هل هذا الإنسان في قلبه مسلم حقيقةً أم غير مسلم؟ ذاك أمرٌ بينه وبين الله، وحسابه على الله يوم القيامة، أما نحن في الدنيا فنعتبره مسلماً، ونتعامل معه كمسلم.

قصة أُسامة بن زيد:

هُنا قصتان تاريخيتان، قصة تتعلق بأُسامة بن زيد:

بعدما رجع رسول الله ﷺ من معركة خيبر بعث جيشاً إلى قوم من اليهود، وجعل على رأس الجيش أُسامة بن زيد قائداً إلى تلك القرية التي يريد فتحها، وكان على رأس تلك القرية اليهودية رجل يهودي اسمه مرداس الفدكي ـ لأن المنطقة قريبة من فدك ـ هذا الرجل لما سَمع أن جيش المسلمين قادم إليه خرج وقال: أشهد أن لا إله إلاّ الله وأشهد أن محمّداً رسول الله، ولكن أُسامة بن زيد عمد إليه وقتله، فلما وصل الخبر إلى رسول الله ﷺ اغتاظ لذلك، وقال لأُسامة: «فلا شققت الغطاء عن قلبه، ولا ما قال بلسانه قَبِلت، ولا ما كان في نفسه علمت»، لماذا قتلته؟ قال: يا رسول الله، إنما قالها تعوذاً من القتل، هذا أسلم إسلاماً ظاهرياً وليس إسلاماً واقعياً.

رسول الله ﷺ لم يقبل منه ذلك، ثمّ فداه من بيت المال.

وهنا نزل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِناً﴾(1) (2).

---

(1) الآية السابقة.

(2) أنظر: تفسير القمي 1481.

قصة خالد بن الوليد:

القصة الثانية مماثلة، ولكنها أسوأ، هي قصة خالد بن الوليد.

أيضاً أرسله رسول الله ﷺ على سرية قائداً إلى قرية من القرى لكي يدعوهم إلى الإسلام. ولمّا وصل خالد إلى تلك القرية خرج أبناؤها وشبابهم حوالي مئة شخص وهم يحملون السلاح.

قالوا: ما تريد يا خالد؟

قال: أريد أن تدخلوا الإسلام.

قالوا: نشهد أن لا إله إلاّ الله وأن محمّداً رسول الله، نحن داخلون في الإسلام.

قال: إن صدقتم فألقوا أسلحتكم.

قالوا: ألقينا بأسلحتنا، فعمد إلى أسلحتهم فجمعها، ثمّ عمد إليهم فأوثقهم كتافاً، ثمّ عمد إليهم فقطع رؤوسهم عن آخرهم.

لمّا وصل الخبر إلى رسول الله ﷺ رفع يديه بالدعاء وقال: «اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد _ ثلاث مرات _» وبكى، ثمّ أرسل عليّاً ومعه خُرج مملوء دنانير وذهباً وقال: يا عليّ اذهب لهم وأعطهم الدية، فذهب عليّ عليه السلام إلى هؤلاء القوم وأعطاهم على كل رجل قتيل ديّته وأحسن إليهم وأرضاهم[1].

هنا في الحقيقة هكذا يقول الإسلام: إن شهادة الشهادتين كافية في قبول الإنسان عضواً في المجتمع الإسلامي.

تبقى مسألة ثانية: هل هذا هو عضو صالح أم غير صالح؟ تلك

---

(١) أنظر: إعلام الورى 2281.

مسألة ثانية، لكن أصل القضية أنه مسلم، أمّا تفتيش العقائد وأن هذا أو ذاك مخلص وصادق النية أو غير ذلك فهو غير مقبول، ﴿وَلا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقى إِلَيْكُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِناً﴾.

هنا الدعاء يقول: « إِنَّ قَوْما آمَنُوا بِأَلْسِنَتِهِمْ لِيَحْقِنُوا بِهِ دِمَاءَهُمْ فَأَدْرَكُوا مَا أَمَّلُوا » بالفعل أنت يا إلهي حَقنت دماءهم وحرّمتهم. « وَإِنَّا آمَنَّا بِكَ بِأَلْسِنَتِنَا وَقُلُوبِنَا» وليس هدفنا هو المحافظة على دمائنا، بل هدفنا الإيمان الحقيقي، « لِتَعْفُوَ عَنَّا »، فيا إلهي مثل ما أولئك أدركوا هَدفهم وأصبحت دماؤهم وأموالهم وأعراضهم حراماً، نحن كذلك أعطنا هدفنا. وهدفنا أن تعفو عنا. « إِنَّا آمَنَّا بِكَ بِأَلْسِنَتِنَا وَقُلُوبِنَا لِتَعْفُوَ عَنَّا فَأَدْرِكْنَا مَا أَمَّلْنَا».

هذا حديث تاريخي.

البحث الفلسفي:

هناك حديث فلسفي مهم حول تكامل الإنسان. إن الإيمان بالله تبارك وتعالى هو شرط في كمال الإنسان وشرط في نجاته ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾(1)، بحسب النظرية الدينية أن الناجي والمفلح هو فقط المؤمن.

السؤال الفلسفي هو أن الإيمان مأخوذ هنا على نحو الطريقية، أو مأخوذ على نحو الموضوعية، وهذه اصطلاحات تحتاج إلى تحليل حتّى تعرفوا أن الإيمان المطلوب هو على نحو الطريق أو على نحو الموضوع الذاتي؟

يعني أنت حينما تركب سيارة تذهب من النجف إلى كربلاء، فإن هدفك ليس هو الطريق، بل هدفك هو الوصول إلى كربلاء. هذا الطريق

(1) المؤمنون: 1.

مجرد يوصلك وليس لك فيه شغل. الطريق هنا ليس هدفاً، وإنما هو واسطة. ولكن بخلاف ما لو ذهبت إلى حديقة لتأنس بها. أنت تريد أن تجلس بتلك الحديقة وتستأنس برياحينها وأورادها، فالحديقة هي هدف بالنسبة لك.

لماذا يجب علينا أن نكون مؤمنين؟ لماذا ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾؟ هل ذلك على سبيل الطريقية، أو على سبيل الموضوعية؟ يعني الإيمان مطلوب كواسطة لشيء آخر، أو هو مطلوب بنفسه وبحد ذاته؟

الحداثة الغربية:

اليوم في الحداثة الغربية يقال: إن الإيمان ليس هدفاً، أن تعبد الله وتصلي وتصوم وتخاف منه. ليس هذا هو الهدف. الهدف هو أن ترتاح نفسياً. بقدر ما الإيمان يحقق لك الراحة النفسية كن مؤمناً، وبقدر ما لا يحقق لك الراحة النفسية لا تكن مؤمناً، الهدف هو الراحة النفسية، ولهذا في الغرب الآن الشاب حينما يتعب ولكي يرتاح يذهب إلى الكنيسة يقرأ تراتيل معينة حتّى يرتاح نفسياً. وإذا كانت راحته في الذهاب للملهى يذهب، أو في القمار يلعب، أو في الشوارع يذهب للشوارع، المهم هو تحقيق الراحة. الإيمان بالله واسطة لتحقيق الراحة، بقدر ما يحقق لك راحتك خذ به! أما إذا كنت مرتاحاً جدّاً فلا تذهب إلى الكنسية ولا إلى المسجد.

النظرية الغربية تتعامل مع الإيمان على هذا الأساس. إنه بمثابة مسكّنات. الإنسان يستعمل المسكنات إذا كانت لديه آلام. أما إذا لم تكن لديه آلام فهل يستعمل المسكن أم لا يستعمل؟ طبعاً لا يستعمل.

الإيمان بحسب النظرية الغربية مأخوذ على سبيل الطريق والواسطة وتحقيق الهدف وهو الراحة. إذا أنت مألوم ومحزون وتريد أن تبكي تذهب إلى الكنيسة والمسجد، أما إذا كنت فرحاً ومرتاحاً فلا يوجد داعي للذهاب إلى هذه الأماكن، هذه هي النظرية الغربية، الإيمان مأخوذ كطريق ليس له موضوعية وليس هو هدفاً، وهكذا نظرية الدين المدني.

الدين المدني:

ما هي نظرية الدين المدني؟

نظرية الدين المدني هي: أنه ليس المهم أن تكون مؤمناً، ليس المهم اعتقاداتك، المهم أنك تحقق خدمة لمجتمعك، للمدنية والمدينة التي تعيش فيها، لكي تكون إنساناً صالحاً، الإيمان مطلوب حتّى تسلك مع المجتمع وحتّى تخدم المجتمع، إذن الهدف والمهم هو التواصل المدني الاجتماعي. فالدين مطلوب، ولكن ليس بحد ذاته مطلوب. وأنت إذا كنت إنساناً صالحاً خادماً للناس حتّى ولو كنت مشركاً فلا مانع من ذلك. الدين والشرك شيء واحد، المهم خدمتك للمجتمع، إذا كان الدين يجعلك تخدم المجتمع كن متديناً، وإذا كان الكفر يجعلك تخدم المجتمع كن كافراً.

أصل الفكرة أن الإنسان عليه أن يخدم المجتمع، فبمقدار ما يهيئ لك الدين هذه الأمور اعمل به، وإذا كان شيء آخر يوفّر لك ذلك فاحتفظ به.

لاحظوا الدين _ هنا _ مطلوب على سبيل الطريقية، يعني هو ليس له موضوعية وقيمة ذاتية في نفسه.

الدين الموضوعي:

لكن الإسلام يقول: إن الإيمان بالله سبحانه وتعالى له موضوعية في نفسه. يعني هو شرط في نجاة الإنسان. هو مطلوب، هو هدف سواء في الدنيا كان يحقق لك راحة نفسية أو لا يحقق لك ذلك، بل ربما تكون في الدنيا معذبّاً ومطارداً، وذلك لا يمنع أن تكون مؤمناً.

الدين مطلوب، الإيمان مطلوب، سواء أكنت ترتاح أو لا ترتاح، لأن النجاة الأخروية هي عبر الإيمان. وهكذا أن تكون إنساناً صالحاً، صحيح أن الدين يقول لك كن إنساناً صالحاً، لكن الدين شرط ضروري.

سؤال: إذا كان الإنسان صالحاً وديعاً ولكنه لا يؤمن بالله، فبحسب نظريتنا الدينية القرآنية هل هذا من أهل الجنّة، أو من أهل النار؟ هل مقبول عند الله، أو غير مقبول؟ من الناجين يوم القيامة، أو ليس من الناجين؟

الجواب: إنه غير مقبول يوم القيامة؛ لأن الفلاح والنجاح هو للمؤمنين فقط: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾[1]، ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾[2]، أما إذا عمل الصالحات بدون إيمان فإنه لا يُقبل. وإذا كان مؤمناً بدون عمل صالح فإنه لا يكفي أيضاً.

بحسب النظرية الدينية هناك عنصران مطلوبان لنجاة الإنسان كل واحد هدفٌ لنفسه: العمل الصالح، والإيمان. فإذا قال أحد أنا مؤمن بالله

(١) الآية السابقة.
(٢) العصر: 1 -3.

ولكن ليس لدي عمل صالح بل أنا مثل البقية في المفاسد والمظالم والعدوان ولكنه مؤمن بالله، فهذا سيطول حسابه يوم القيامة. الإيمان وحده لا يكفي، العمل الصالح أيضاً وحده غير كافٍ، فلسفة الدين هذه.

قد يقول قائل: عجباً هل الله سبحانه وتعالى محتاج إلى إيماننا؟ أليس المهم هو أن نكون صالحين؟ فهل يحب الله تعالى أن يصير الإنسان مؤمناً لمجرد الإيمان؟ رُب إنسان طيّب يخدم المجتمع ويكتشف كشوفات علمية فيها خدمة للإنسانية ولكنه ليس مؤمناً. لماذا الله تعالى يشترط الإيمان؟

العلماء الذين خدموا البشرية مثل نيوتن واينشتاين وأديسون مكتشف الكهرباء ما أكثر خدمتهم للإنسانية، ولكن مع ذلك فهم في فهمنا الديني ليسوا من أهل الجنّة إذا لم يكونوا مؤمنين، أما إذا كانوا مؤمنين فإيمانهم مقبول.

السؤال: الله تبارك وتعالى ما يصنع بإيمان الإنسان؟ هل هو محتاج إلى محبة الآخرين؟ دع البشر لا يحبّون الله، فهل هو محتاج إلى محبّتهم؟

هذا السؤال قد يرد في ذهن البعض، قد تقولون هذا مؤمن ليس فيه فائدة، وهذا كافر فيه مليون فائدة للبشرية. يكتشف لهم أدوية وأجهزة علاج وأجهزة نقل وأجهزة تلفون ويخدم البشرية كثيراً، وأنتم تقولون إن المؤمن أفضل من الكافر، كيف نفسّر ذلك؟ وهكذا يقول القرآن الكريم: ﴿وَلأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾[1]، ﴿وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ

(١) البقرة:221.

خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ﴾[1]، وهكذا يبدو أن الإيمان هو أصل في التفاضل بين الناس، والعمل الصالح مطلوب أيضاً، لكنه يجب أن لا يبتعد عن الإيمان، الإيمان مطلوب، ﴿وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ ﴾، هل الله تعالى محتاج إلى أحد يؤمن به؟ ما فائدة إنسان مؤمن لكن ليس لديه خدمة للمجتمع؟، فلماذا يُذهب الله تعالى بهذا إلى الجنّة، وذاك الكافر يذهب به إلى النار؟ هذا سؤال مهم، وجوابه:

إن هذه قضايا ترتبط بعالم حياة الإنسان الأبدية وما هي عناصر النجاة فيها، وهو أمرٌ من عالم الغيب لا نستطيع أن نتحدّث عنه خارج إطار ما جاء من خلال الأنبياء. هذه أسباب ومسببات نحن لا نعرفها. الإيمان ما هو دوره فيما بعد الموت؟ الله تعالى وهو علاّم الغيوب يقول: إن عالم ما بعد الدنيا يحتاج له نور الإيمان، وبغير الإيمان لا يمكن العبور. هذه قضية غيب يحدّثنا الله تعالى بها.

هذا من ناحية. ومن ناحية أخرى فإن هذه قضية وجدانية، إن الله تعالى ليس محتاجاً إلى الإيمان ولا إلى العمل الصالح. لو أراد الله أن يجعل أهل الدنيا كلّهم أغنياء فلا يحتاج إلى عمل صالح. لا صدقة ولا نفقة، ولو شاء الله لجعل العباد كلهم صالحين. فهو غير محتاج لا إلى الإيمان ولا إلى العمل الصالح. لكننا نحن حينما نريد أن نتقرب إلى الله فسبيل القرب إلى الله هو ما ندركه وجدانياً من سبل القرب بين البشر، وهي المحبة، لذا فإن نفقة بلا محبة غير مرغوبة، ومائدة بلا محبة غير مطلوبة، وسفراً بلا محبة لا يُرغب فيه، وأكلاً بلا محبة لا يُراد، المحبة

---

(١) الآية السابقة.

هي سبيل التقارب، الله تعالى يريد منا محبته، صحيح أن هناك علماء خدموا البشرية، لكن المهم وحتّى يقبلهم الله تعالى فإنه يريد محبته والإيمان به في قلوبهم، وإذا كانت قلوبهم مشركة فهذا العمل غير مقبول، وإنما يأخذون أجرهم في الدنيا وينتهي الأمر، من الممكن أن يحصلوا على أجر دنيوي من الله، ولكن ذلك غير النجاة يوم القيامة، بل هو من الخاسرين؛ لأن القرآن يقول: ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾[1]، إذا لم يكن مؤمناً لم يكن ناجياً. ومع ذلك فإن الله تعالى يُعطيه شيئاً من كرمه.

رواية من كتاب ثواب الأعمال:

أنا أذكر بهذا الخصوص رواية من كتاب ثواب الأعمال للشيخ الصدوق وهو من كبار علماء الإسلام وصاحب مؤلفات رائعة، لديه كتاب اسمه (ثواب الأعمال وعقاب الأعمال). أنت إذا قرأت الكتاب لا تمل منه أبداً، يذكر حسب الروايات ثواب الصلاة، ثواب الصوم، ثواب الصدقة، ثواب صلة الرحم، المشي إلى المساجد، يشرح لك ثواب جميع الأعمال حسب الروايات، ثواب من يلبس ملابس جميلة يوم العيد، ثواب من يتعطّر، ثواب من يجلس على المائدة مع أُمّه وأبيه، ثواب من يمشي إلى المساجد، ثواب من يقول: الحمد لله، ثواب من يقدّم هدية لمؤمن، لكل عمل ثوابه، جمعه في كتاب لطيف الجزء الأوّل منه اسمه (ثواب الأعمال)، والجزء الآخر منه اسمه (عقاب الأعمال). الكذب ما هي عقوبته، الغيبة، جميع هذه الأعمال حسب الروايات، حوالي ألف

(١) العصر: 1 – 3.

وخمسمائة مورد للثواب وللعقاب، هو كتاب من الكتب الجميلة.

أقرأ لكم رواية بخصوص إنسان كافر لكن لديه عمل صالح، فماذا حكمه حسب نظريتنا الدينية التي تقول: إن الإيمان شرط النجاة. هل يعتبر من الناجين، أم من الخاسرين؟

يُعتبر من الخاسرين، لكن مع ذلك ولكرم الله تعالى ولطفه أيضاً يعطي ثواباً لهذا الإنسان.

هذه رواية جميلة، تقول الرواية في الكافر يصنع المعروف إلى المؤمن، هل يعطيه الله شيئاً يوم القيامة أم لا؟ هذا عمل إنساني، ولكنه في نفس الوقت يمشي على عكّازة واحدة وليس على اثنتين. على رجل واحدة وليس على رجلين اثنين، الإسلام يريد الإيمان والعمل الصالح ﴿آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ﴾، الطير لا يطير بجناح واحد، الرواية تحت عنوان: ثواب الكافر يصنع المعروف إلى المؤمن.

عن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام قال: «إنه كان في بني إسرائيل رجل مؤمن وكان له جار كافر، وكان يرفق بالمؤمن ويوليه المعروف في الدنيا، فلما أن مات الكافر بنى الله له بيتاً في النار من طين، فكان يقيه حرَّها ـ لا تمسه النار ـ ويأتيه الرزق من غيرها، ويقال له: هذا بما كنت تُدخل على جارك المؤمن فلان ابن فلان من الرفق وتوليه من المعروف في الدنيا»[1]، هذا الحديث يؤكد أن الإيمان شرط على سبيل الموضوعية، وليس على سبيل الطريقية.

الشيخ الصدوق هما شخصان أحدهما أبٌ والآخر ابن، الأب

(١) ثواب الأعمال169.

يكنّى أبو الحسن، والابن يكنّى أبو جعفر، الصدوق الأوّل هو الأب، والصدوق الثاني هو الابن، وكلاهما من العلماء الصالحين جدّاً. الأب كان في زمن الإمام الحسن العسكري عليه السلام، والابن في زمن الغيبة الصغرى، وكانت ولادته ببركة دعاء المعصوم عليه السلام. الإمام المعصوم صاحب العصر والزمان عليه السلام هو الذي دعا للصدوق الأب ليكون له الصدوق الابن، وعلى كل حال هؤلاء لهم منزلة.

وصية الإمام لشيعته:

أقرأ لكم هذه الرواية: الإمام الحسن العسكري عليه السلام كتب كتاباً إلى الصدوق الأب ويبعث فيه سلام لشيعته، يقول: «أما بعد أوصيك يا شيخي _ أنظروا الإمام العسكري يكتب لواحد من شيعته لكنه فقيه من الفقهاء، يعني لاحظوا احترام الأئمّة للعلماء والفقهاء _ أوصيك يا شيخي ومعتمدي أبا الحسن وفّقك الله لمرضاته وجعل من صلبك أولاداً صالحين برحمته، اصبر يا شيخي يا أبا الحسن، وأمر جميع شيعتي بالصبر ف ﴿إِنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ وَالْعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[(١)]»، ثمّ يقول: «والسلام عليك وعلى جميع شيعتنا ورحمة الله وبركاته»[(٢)]. الإمام يبعث لكم سلاماً ويوصيكم بالصبر.

جاءني أمس مجموعة شباب يشتكون من بعض الشدائد التي تمر بهم في النجف. تمر على بعض الناس الشدائد، بل في كل العراق، فقلت لهم: اصبروا يا شباب، يا مؤمنين، نحتاج إلى صبر، نحن في طريق صحيح، وأصبحنا على وشك الوصول إلى الهدف، نحتاج إلى صبر

(١) الأعراف: 128.
(٢) أنظر: مناقب آل أبي طالب 3: 527.

وتحمّل، الإمام يقول: «وأوصي جميع شيعتنا بالصبر»، المطلوب منا هو الصبر أيها المؤمنون. أنا أستمر في قراءة بعض روايات هذا الكتاب لحسنها حتّى تصبحوا في جو الصورة، وموضوعنا هو الإيمان، هل نأخذ الإيمان على سبيل الموضوعية، أو على سبيل الطريقية؟

نحن قلنا: الإيمان شرط في النجاة، وهو هدف بنفسه، وليس هو مجرد واسطة.

اسمعوا هذه الرواية عن الإمام الباقر عليه السلام:

عشر خصال توجب الجنّة:

قال عليه السلام: «عشر خصال من لقي الله بهن دخل الجنّة:

الأوّل: شهادة أن لا إله إلاّ الله.

الثاني: وأن محمّداً رسول الله.

الثالث: والإقرار بما جاء به من عند الله.

الرابع: إقام الصلاة.

الخامس: إيتاء الزكاة.

السادس: وصوم شهر رمضان.

السابع: وحج بيت الله.

الثامن: والولاية لأولياء الله.

التاسع: والبراءة من أعداء الله.

العاشر: واجتناب كل مسكر»[1].

هذه عشر خصال يقول الإمام الباقر عليه السلام: «من لقي الله بهذه

(١) ثواب الأعمال:14.

الخصال العشر دخل الجنّة».

فضل طلب العلم:

هذه رواية أخرى يرويها الشيخ الصدوق في ثواب مجلسكم هذا، لنقرأ كم هو ثواب هذا المجلس من كتاب الشيخ الصدوق، وهو أيضاً يرتبط بالإيمان وموقعه في تكامل البشر ونجاة البشر.

أقرأ لكم روايتين: رواية في ثواب طلب العلم؛ لأن من جاء منكم لهذا المجلس جاء لطلب العلم. جئتم حتّى تسمعوا كلمة وكلمتين تنفعكم، وعلى هذا الأساس أنتم مشمولون في ثواب طالب العلم، تقول الرواية عن الإمام الباقر عليه السلام: «ما من عبد يغدو في طلب العلم أو يروح إلاّ خاض الرحمة، وهتفت به الملائكة مرحباً بزائر الله، وسلك من الجنّة مثل ذلك المسلك»[١].

فضل الاجتماع في الدعاء:

ولكم ثواب آخر وفضيلة أخرى، وهي فضيلة الاجتماع في قراءة الدعاء، في اجتماعنا هذا نقرأ الدعاء، فلنا ثواب من اجتمع لقراءة الدعاء.

الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام يقول: «ما اجتمع أربعة قط على أمر واحد يدعون إلاّ تفرقوا عن إجابة»[٢]، يعني هؤلاء الناس الذين يجتمعون ثوابهم هو أن دعائهم مستجاب، وهذا نعمة من الله تعالى علينا، نستفيد علمياً ودعاءنا مستجاب.

الرواية بسند صحيح عن أحدهما يعني الإمام الباقر أو الصادق عليهما السلام قال:

---

(١) ثواب الأعمال:131.

(٢) ثواب الأعمال:160.

«إذا مات العبد المؤمن دخل معه في قبره ستة صور، فيهن صورة هي أحسنهنّ وجهاً، وأبهاهن هيأة، وأطيبهن ريحاً، وأنظفهن صورة، قال: فيقف صورة عن يمينه، وأخرى عن يساره، وأخرى بين يديه، وأخرى خلفه، وأخرى عند رجليه، ويقف التي هي أحسنهن فوق رأسه، فإن أتى عن يمينه منعته التي عن يمينه ، ثمّ كذلك إلى أن يؤتى من الجهات الست ، قال: فتقول أحسنهن صورة: من أنتم جزاكم الله عني خيرا؟ فتقول التي عن يمين العبد: أنا الصلاة، وتقول التي عن يساره: أنا الزكاة، وتقول التي بين يديه: أنا الصيام، وتقول التي خلفه: أنا الحج والعمرة، وتقول التي عند رجليه: أنا بر من وصلت من إخوانك، ثمّ يقلن: من أنت؟ فأنت أحسننا وجهاً، وأطيبنا ريحاً، وأبهانا هي أةً، فتقول: أنا الولاية لآل محمّد (صلوات الله عليه وعليهم)»[١].

مراتب الإيمان:

الإيمان في الحقيقة مجموعة مراتب، ومجموعة أقسام. لدينا إيمان مستقر، وإيمان مستودَع، المستقر يعني ثابت في القلب إلى حين فراق الدنيا، والإيمان المستودع هو الإيمان المؤقت، يعني سنة أو سنتين أو ثلاث ثمّ يترك الإيمان. هذا إيمان مستودَع.

ويوجد تقسيم ثانٍ للإيمان، هناك إيمان ظاهر، وهناك إيمان في القلب، والمطلوب هو الإيمان في القلب، ولهذا نقرأ في دعاء أبي حمزة الثمالي: «اللهم إني أسألك إيماناً تباشر به قلبي»، وليس فقط على لساني، بل قلبي يجب أن يدخله الإيمان.

وهناك تقسيم ثالث: إيمان مع الخشوع، وإيمان ليس فيه خشوع، مثل

(١) المحاسن 288/1/ ح432؛ عنه: بحار الأنوار 234/6.

الصلاة توجد صلاة فيها خشوع وأخرى ليس فيها خشوع، ولكنها كلها صلاة، كذلك يوجد إيمان معه خشوع وإيمان بلا خشوع، ولذا نقرأ في دعاء أبي حمزة: «اللهم إني أسألك خشوعَ الإيمان قبل خشوع الذل في النار».

يوجد تقسيم رابع للإيمان: إيمان مصحوب بعمل، وإيمان بلا عمل، يوجد إيمان فيه صلاة وصوم ومحاضرة ودعاء وقراءة قرآن وصلة رحم وبر الوالدين. ويوجد إيمان مع الخمر والفحشاء والكذب والغيبة وما شاكل ذلك، كلاهما مؤمن، ولكن هذا مع عمل، وهذا من دون عمل.

الرواية عن الصادق عليه السلام تقول: «لا يكون المؤمن مؤمناً حتّى يكون خائفاً راجياً، _ يعني خائفاً من الله راجياً ثواب الله _، ولا يكون خائفاً راجياً حتّى يكون عاملاً لما يخاف ويرجو»[1]، أنت تخاف من النار إذن ابتعد عنها، أنت تحب الجنّة إذن اقترب من الجنّة، هذا هو الإيمان الحقيقي.

هناك تقسيم خامس: يوجد إيمان متقدم، ويوجد إيمان متأخر، المتأخر يعني إذا نزل الموت على ابن آدم يقول: أشهد ألا إله إلاّ الله ومحمّداً رسول الله صلى الله عليه وآله، أما قبل ذلك فهو غير مؤمن، مثل إيمان فرعون.

القرآن يقول: ﴿حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ﴾[2]، يعني لما غرق فرعون في نهر النيل وليس في البحر الأحمر، حيث يبدو أنها كانت في نهر النيل بدليل أن القضية في مصر، والقرآن لم يقل أيّ بحر هو، وإنما قال: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ﴾[3]، وكلمة بحر تطلق على البحر والنهر، عجباً! أين كانت المعركة؟ على ساحل النيل، أو على

(١) الكافي 2:71.
(٢) يونس:90.
(٣) الشعراء:63.

ساحل البحر الأحمر؟

الجواب: على ساحل النيل؛ بدليل أن البحر لا يمكن للقوات أن تعبره مشياً، وموسى لم يعبر البحر الأحمر؛ لأن ذلك يحتاج له أسابيع أو شهور إذا أراد العبور، ولكن حينما عبره خلال دقائق كان معناه أن المسافة قصيرة، ولما جاء موسى ودخل مع قومه، الله تعالى جفف النهر حتّى صار كل فرق كالطود العظيم عن يمينه وشماله، فعبروه، ولما وصلوا إلى الساحل الآخر وجاء فرعون، الله تعالى رَدَم عليه أمواج الماء. يقول القرآن الكريم: ﴿حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُوا إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[1]، القرآن بعد ذلك يتساءل: ﴿آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾[2]، الآن لا ينفع الإيمان، والإنسان إذا نزل به الموت، وكل البشر عند ساعة الموت يندمون على مفاسدهم ويكتشفون الحقيقة، ولكن المطلوب أن يكتشفوا الحقيقة قبل ساعة الموت.

والحمد لله رب العالمين

* * *

---

(١) يونس:90.

(٢) يونس:91.

المحاضرة الثالثة والثلاثون:

دواعي الأمل وأسباب اليأس والقنوط

«اللَّهُمَ حَقِّقْ رَجَائِي ، وَآمِنْ خَوْفِـ ي، فَإِنَّ كَثْرَةَ ذُنُوبِي لا أَرْجُو فِيهَا إِلا عَفْوَكَ».

بسم الله الرحمن الرحيم

الجبر أم الاختيار؟

الإسلام يقوم بعملية توفيق وتأليف رائعة بين ما هي الحتمية الطبيعية وبين ما هي الإرادة الإنسانية.

الإنسان قد يجد نفسه في الدنيا مسيّر بحتمية يمكن أن نسمّيها الحتمية الطبيعية، ويمكن أن نسميها الحتمية التاريخية، يمكن أن نسميها الجبرية، الإنسان يجد نفسه أنه لم يولد باختياره، لا أحد منا استشاره أحد هل يولد أو لا يولد، هل يصير ذكراً أو أنثى، لا أحد منا مستشار في هذه القضية، ولا أنه يولد في فلان مكان أو في فلان زمان، هناك تسيير، الإنسان مسيَّر وفق قانون طبيعي، هذه حقيقة، لكن إلى جانب ذلك الإسلام يقوم بعملية تأليف وتوفيق بين ما هي الحتمية الطبيعية وبين ما هي الإرادة الإنسانية.

الإسلام يقول: أيها الإنسان، صحيح أنت لم تولد على ما تشاء وبالشكل الذي تريده، ولا بالزمان الذي تريده، ولا بالمكان. ولا الظروف المحيطة بك أنت صنعتها. هذا صحيح، لكن إلى جانب ذلك أيها الإنسان أنت في الدنيا وفي الآخرة تخضع لإرادتك أيضاً ولو بنسبة مئوية محدودة. طبيعي نسبي، وإرادة إنسانية نسبيّة.

لدينا روايات تقول: «الشقي من شقي في بطن اُمّه، والسعيد من

سعد في بطن أُمّه» [1]، إن الإنسان مكتوب على جبينه عندما كان في بطن أُمّه أنه سعيد أو شقي، مؤمن أو كافر. لكن هذا ليس بمعنى الحتمية، وإنما بمعنى أن الله تبارك وتعالى يعلم بهذا الإنسان وحركته أنه إلى أين سوف ينتهي، ينتهي سعيداً أو ينتهي شقياً. هذا في علم الله، لكن أنت أيها الإنسان قادر على التأثير في مساراتك. هذه فكرة فلسفية قد تحدّثنا عنها سابقاً.

اليوم حديثنا عن مسألة الأمل والثقة بالله تبارك وتعالى في الدنيا والآخرة، وأن هذا الأمر يفتح لنا باباً واسعاً لأمل لا ينقطع، بحيث يحرم على الإنسان المسلم اليأس، لاحظوا، يمكن للطبيب النفسي أن يعالجك، يمكن للأب والأُمّ أو العالم الديني حينما تقع في مشكلة أن يأتي ويشرح لك أن اصبر. إن الأبواب مفتحة لك، فطالما كان هناك أُناس في مأساة، ولكن الله تعالى فرّج عنهم. يشرح لك هذه القضايا، والطبيب النفسي كذلك، لكن الإسلام يقول: إن باب اليأس يجب أن يُوصد، حيث يُعتبر من الذنوب الكبيرة، يعني لا يجوز للإنسان أن يكون يائساً.

اليأس أحد الذنوب الكبيرة، ليس فقط على مستوى النصيحة التي يعطيها للإنسان، وإنما يقول له: حرام عليك أن تيأس من رحمة الله، مهما فعلت يجب أن يكون لديك أمل برحمة الله تبارك وتعالى، رحمة الله في الدنيا وفي الآخرة.

يوجد لدينا مفهومان: مفهوم اليأس، ومفهوم القنوط، كِلا المفهومين موجودان في القرآن الكريم في عدد من الآيات. وهما من كبائر الذنوب.

---

(١) أنظر: التوحيد/ الصدوق356/ باب السعادة والشقاوة/ ح 3.

معنى اليأس والقنوط:

أوّلاً: لنفهم معنى اليأس والقنوط، هل هما بمعنى واحد أو بمعنى متقارب؟ انقطاع الأمل بالتغيير، اليأس من النجاح في الدنيا، والنجاة في الآخرة. إذا انقطع الأمل عندك يسمى ذلك يأساً. اليأس هو عبارة عن انعدام الأمل. وإذا بلغ مستوىً راسخاً مستحكماً يسيطر على معالم حركة الإنسان، بحيث يصير الإنسان شاحب الوجه، قد أثّر اليأس حتّى على مظهره. ويصير عنده حالة من الكآبة النفسية والمرض النفسي. هذا يسمى قنوطاً. القنوط هو عبارة عن ظهور عوارض اليأس على وجه الإنسان. فلا يتحرك الإنسان ولا يتقدم خطوة للأمام. هذا قنوط. إذن هما شيء واحد، لكن أحدهما هو الأصل، والثاني عارض لذلك الشيء.

وهناك تفسير ثانٍ، وهو أن القنوط عبارة عن انقطاع الأمل في الأمور الدنيوية. الرحمة الدنيوية. واليأس هو عبارة عن انقطاع الأمل بالرحمة الأخروية، فذاك يصير يائساً من رحمة الله. في الدنيا إذا انقطع أمله من العافية، ومن النجاة، فهذا يسمى قنوطاً. واليأس عبارة عن انقطاع الأمل في الأمور الأخروية، ﴿أُولَئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي﴾[1]، حينما يصير الحديث عن رحمة الله في الآخرة يقول تعالى: ﴿يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾[2]، نفس انعدام الأمل حينما يرتبط بالآخرة يسمّى يأساً، وحينما يرتبط بالدنيا يسمى قنوطاً.

---

(١) العنكبوت:23.

(٢) الممتحنة:13.

هذه تفاسير، فالفكرة واحدة، اليأس والقنوط هما عبارة عن انقطاع الأمل. والإسلام ينهى عنه ويقول: أيها الإنسان، لا يجوز أن ينقطع أملك، سواء ينقطع أملك بالنجاح في الدنيا، أو ينقطع أملك بالنجاح في الآخرة، هذا يأس وقنوط.

القرآن يحدّثنا في أكثر من آية عن اليأس والقنوط، يقول: ﴿وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ﴾(١)، يؤوس وقنوط، القرآن يقول: إن اليأس والقنوط ليس من صفات المؤمن. المؤمن يمتلك أملاً عجيباً غريباً، يمتلك أملاً لا ينقطع. اليأس والقنوط من صفات الكفار. المؤمن لا يصير عنده يأس. ﴿وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّالُّونَ﴾(٢)، فقط أهل الضلال يصير عندهم قنوط من رحمة الله، وهكذا يقول: ﴿إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾(٣)، الكافر يكون يائساً من رَوح الله ونسيم الرحمة، الرَوح عبارة عن نسيم الرحمة، الكفّار وأهل الضلال يكونون يائسين، أما المؤمن فلا يكون يائساً لا من رحمة الله في الآخرة ولا من رحمة الله في الدنيا.

الذنوب الكبيرة:

والآن صار لدينا مفهومٌ أن اليأس والقنوط هما من الذنوب الكبيرة، ويوجد في مقابلها ذنوب صغيرة. فعندنا كبائر الذنوب وصغائر الذنوب.

---

(١) فصلت:49.
(٢) الحجر:56.
(٣) يوسف:87 .

الفقهاء يعدّون ثلاثين ذنباً من كبائر الذنوب، وهي التي عليها أحكام جزائية مشددة، ثلاثون ذنباً تُعتبر من أُمّهات الذنوب الكبائر، وهناك ذنوب صغائر، القرآن يقول أنتم إذا تركتم الذنوب الكبار يمكن أن نغفر لكم الصغار ، ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلاً كَرِيماً ﴾(١)، وهكذا القرآن الكريم يقول: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلاَّ اللَّمَمَ ﴾(٢)، الآن نعدد معاً بعض هذه الذنوب الكبيرة: الشرك بالله، اليأس من رحمة الله، القنوط من رَوح الله، قطيعة الرحم، عقوق الوالدين، التجسس على الآخرين، الغيبة، الكذب، إيذاء المؤمن، السرقة، الربا، الزنا، الاحتكار، التكبر على الآخرين، السب والشتم، هتك القرآن، هتك المساجد، هتك حرمة المؤمنين، معونة الظالمين، وكذلك الرياء، والحسد، والنميمة.

الحمد لله، فإن أكثر الشباب يعرفون هذه الذنوب، ولكن ربما لم يحصوها، هذه الذنوب الكبيرة التي يجب علينا أن نكون حذرين منها على مدار (24) ساعة؛ لئلاّ نتورط فيها.

القرآن الكريم يفتح باب الأمل، ويبيّن لنا أنه يا أيها الإنسان اليأس من رحمة الله واليأس من رَوح الله في الدنيا والآخرة هو ذنب كبير، حتّى لو كنت عاصياً مذنباً، ولو اشتدت عليك الخطوب، لكن يجب أن لا تقطع الثقة بالله تبارك وتعالى. انتظر يوم يأتيك الفرج. وارتبط بالله وتحرك وادعُ حتّى يأتيك

(١) النساء:31.

(٢) النجم:32.

الفرج، ﴿قُلْ يا عِبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلى أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً﴾(١).

المفسرون يقولون: إن هذه الآية فيها خمس دلائل للتعبير عن عمق اللطف الإلهي. أحياناً أنت تدعو أحداً إلى بيتك وتقول له: أدعوك إلى بيتي. ولكن أحياناً تأتي وتتلطف له في الكلام فتقول له: أنا ألتمسك وأرجوك أن تشرفني في البيت، وهذه العبارة تختلف عن تلك العبارة، هذا يسمى: تلطف في العبارة.

أنظروا القرآن الكريم يدعونا إلى أن يكون عندنا أمل بالله، ولكن تلطّف في العبارة، بحيث يوجد في الآية خمس ألطاف وعنايات أدبية تدل على عمق الحنان:

1 ـ ﴿قُلْ يا عِبادِيَ﴾، ولم يقل: أيها الناس، بل قال: ﴿يا عِبادِيَ﴾، كما يقول الأب لأولاده يا أولادي، هذه فيها حنان خاص، الله يقول: يا عبادي أنتم لي تعالوا.

2 ـ ﴿أَسْرَفُوا عَلى أَنفُسِهِمْ﴾ أنتم لم تؤذونني، وإنما آذيتم أنفسكم.

3 ـ ﴿لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ نهي عن القنوط.

4 ـ ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً﴾ الله تعالى يغفر كل ذنوبكم، ولم يقل: الله قد يغفر لكم، بل قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً﴾.

5 ـ إن الآية القرآنية لم تكتف بهذا، وإنما وصفت الله تعالى بالقول: ﴿إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾، فهذه كلها تأكيدات. ﴿قُلْ يا عِبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلى أَنفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾.

---

(١) الزمر:53.

أسباب اليأس:

ما هي أسباب اليأس؟ لماذا يصير لدى الإنسان يأس؟ الإنسان ضعيف، وأدنى الأزمات قد تترك لديه يأساً، وهكذا إذا دخل في المعاصي يأتي الشيطان ويقول له: أنت أصبحت من أهل جهنم، وما زال دخلت في هذه المعصية إذن لا ينفع الندم.

أسباب اليأس في الحقيقة أمران:

1 _ الجهل بقدرة الله سبحانه وتعالى.

أحياناً يأتوني رجال وكذلك بعض النساء، أو يبعثون لي رسائل أن هذا الرجل أو هذه المرأة ليس عنده أو عندها ولد، متزوجون منذ عدة سنوات ولم يُرزقا بولد.

الإسلام هنا ماذا يقول؟

يقول حرام عليكم أن يصير عندكم يأس من عطاء الله تبارك وتعالى. إذا الإنسان صار عنده يأس يعني هذا أنه جاهل بقدرة الله، حتّى إذا الدكتور قال له: أنت لا يصير عندك ولد، فإنه قد يقول له ذلك وفق الموازين والمقاييس الطبيعية، لكن قدرة الله فوق القدرة الطبيعية، فإذا كان عندنا ثقة بقدرة الله سبحانه وتعالى إذن بالإمكان أن يهب الله لنا ولداً.

دخول الملائكة على إبراهيم عليه السلام:

إبراهيم عليه السلام كان عمره مائة وعشرين سنة _ هكذا تقول الرواية _ وزوجته كان عمرها تسعين سنة، وليس لديهم ولد، الملائكة دخلوا عليهم البيت ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلاماً قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ﴾[1].

---

(١) الحجر:52.

توجد عدة آيات تصوغ هذه القصة.

تقول أحدها: ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلاماً﴾.

هو أجابهم: ﴿قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ﴾، أنا أشك فيكم، من أنتم؟ ووجوهكم غير طبيعية!

آية أخرى تقول: ﴿قَالَ سَلامٌ﴾، يعني رَدَّ لهم السلام، ﴿قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾ أنتم أُناسٍ غريبون لم أركم من قبل، ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْراهِيمَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلاماً قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ﴾(١) فلا يأخذ أحدكم إشكال على إبراهيم أنه لم يرد السلام؛ لأن آية أخرى تقول رد السلام، لكن هنا في هذه الآية اختزلها. آية أخرى تقول قال: ﴿سَلامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾(٢)، وهنا الآية اختصرت ﴿قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ﴾.

قالوا: ﴿لا تَوْجَلْ﴾ لا تخف، ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ عَلِيمٍ﴾.

﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾(٣)، هذه قضية لم تحدث من قبل.

آية أخرى تقول: ﴿وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ﴾ الظاهر أن هذه المرأة رأت الملائكة، جميل جدّاً أن يرى الإنسان الملائكة كيف شكلهم. امرأة إبراهيم عليه السلام عندها نصيب جميل، لمّا دخل الملائكة للبيت ظنت أنهم ضيوف جاءوا من البادية، فذهبت تذبح لهم ذبيحة، والظاهر أنها هي التي ذبحت الذبيحة؛ لأنه ليس عندها أولاد ولا خادم، وإبراهيم عليه السلام مع الضيوف، فذبحت الذبيحة وشوتها وقدمتها لهم خلال نصف ساعة

---

(١) الحجر:51 و52.

(٢) الذاريات:25.

(٣) الحجر:53 و54.

﴿وَامْرَأَتُهُ قائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْناها بِإِسْحاقَ وَمِنْ وَراءِ إِسْحاقَ يَعْقُوبَ * قالَتْ يا وَيْلَتى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهذا بَعْلِي شَيْخاً إِنَّ هذا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ * قالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾(١).

وأمّا إبراهيم عليه السلام فلما قدَّم لهم الذبيحة ورأى أيديهم لا تصل إليه نَكِرهم، قال: أنتم ليس عندكم أيدي _ الظاهر أنه لم يكن لهم أيدي _ أو كانوا لا يمدّون أيديهم، وربما كان لديهم أجنحة، ﴿فَلَمَّا رَأى أَيْدِيَهُمْ لا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قالُوا لا تَخَفْ إِنّا أُرْسِلْنا إِلى قَوْمِ لُوطٍ﴾(٢).

﴿قالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ * قالُوا بَشَّرْناكَ بِالْحَقِّ فَلا تَكُنْ مِنَ الْقانِطِينَ * قالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضّالُّونَ﴾(٣).

ذاك الضال الجاهل بقدرة الله يصير عنده يأس، أما أنا فعالم بالله سبحانه وتعالى وقدرته.

هؤلاء الذين ليس لديهم ذرية ليتوجهوا بالطلب إلى الله تعالى ويقرؤوا هذا الدعاء الذي هو دعاء زكريا، ﴿رَبِّ لا تَذَرْنِي فَرْداً وَأَنْتَ خَيْرُ الْوارِثِينَ ﴾، محل الشاهد أن إبراهيم عليه السلام لم يحصل عنده قنوط من رحمة الله تعالى، فالله عز وجل رزقه إسحاق.

قصة يعقوب عليه السلام:

يوسف عندما ألقاه إخوانه في الجبّ كان طفلاً، افتقده أبوه يعقوب أكثر من عشرين سنة، إلى أن صار وزيراً للمالية في مصر، وقبل

(١) هود:71 ـ73.

(٢) هود:70.

(٣) الحجر:54 ـ56.

ذلك لما بلغ سن البلوغ والمراهقة تعرض إلى مراودة زوجة ملك مصر، ﴿وَراوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِها﴾(١)، لنفترض أن عمره كان (15) سنة، فهو شاب مراهق، وبعد هذه القصة سُجن مدة معينة، ﴿فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾(٢)، وهذه بضع سنين غير المدة الأولية التي قضاها في السجن سنتين أو ثلاث، لكن أضافوا له سبع سنين، وربما صار عمره (25) سنة، وهذا معناه أن أكثر من عشرين سنة افتقده أبوه، لكن مع ذلك أبوه لم يحصل عنده يأس من أن يرجع إليه يوسف يوماً من الأيام.

قال لأولاده: ﴿يا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾؛ لأنه بعد ذلك فقد ابنه الثاني واسمه بنيامين، الأوّل يوسف افتقده قبل عشرين سنة، وهذا الأخير اسمه بنيامين، ﴿يا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللهِ إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكافِرُونَ﴾(٣).

اليأس سببه إما الجهل بقدرة الله تعالى، وإما سوء الظن بالله. بينما الإسلام يقول: «إذا كان يوم القيامة نشر الله تبارك وتعالى رحمته حتّى يطمع إبليس في رحمته»(٤).

أمس جاءني شاب بعد المجلس، قال: سيدنا أريد دعاءً للرزق.

أنا تذكرت هذا الدعاء الذي يستحب أن يدعو به الإنسان في السجود وخاصة في السجدة الأخيرة من الصلاة، وهو: «يا خير المسؤولين، ويا خير المعطين، ارزقني وارزق عيالي من فضلك، إنك ذو

---

(١) يوسف:23.

(٢) يوسف:42.

(٣) يوسف:87 .

(٤) الحديث للإمام الصادق عليه السلام، أنظر: أمالي الصدوق273/301/2.

الفضل العظيم» [١]، لكن في الحقيقة يوجد ثلاثة أمور هي سبب خير الدنيا وخير الآخرة، وعكس هذه الأمور هي سبب بؤس الدنيا وبؤس الآخرة.

أقرأ هذه الرواية عن رسول الله ﷺ، يقول: «ما أُعطي مؤمن قط خير الدنيا والآخرة إلاّ: 1 _ بحسن ظنه بالله ورجائه له، 2 _ وحسن خلقه، 3 _ والكف عن اغتياب المؤمنين» [٢].

فالرحمة الإلهية تأتي إليك، هذه الإرادة الإنسانية لها دور.

جابر بن عبد الله الأنصاري يقول: جاءت امرأة لرسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، هذه أُمّ قتلت ابنها متعمدة، هل يغفر الله لها؟

قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لو أنها تابت وندمت، ويعرف الله ذلك من قلبها، لقبل توبتها وعفا عنها، فإنّ باب التوبة مفتوح ما بين المشرق والمغرب، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له» [٣].

ولهذا تجدون هذا الدعاء _ دعاء أبي حمزة الثمالي _ شحنة من الأمل وشحنة بحسن الظن بالله.

يقول: «إلهي لَوْ قَرَنْتَني بالأصْفَادِ، وَمَنَعْتَنِي سَيْبَكَ مِنْ بَيْن الأشْهَادِ ، وَدَلَلْتَ عَلَى فَضَائِحِي عُيُونَ الْعِبَادِ ، وَأمَرْتَ بِي إلَى النَّارِ ، وَحُلْتَ بَيْنِي وَبَيْنَ الأبْرَارِ ، مَا قَطَعْتُ رَجَائِي مِنْكَ، وَمَا صَرَفْتُ تَأمِيلِي لِلْعَفْو عَنْكَ، وَلا خَرَجَ حُبُّكَ مِنْ قَلْبِي».

والحمد لله رب العالمين

* * *

---

(١) مصباح المتهجد199؛ 24/286.

(٢) الكافي2:71/ باب حسن الظن بالله ﷻ/ ح 2.

(٣) أنظر: مستدرك الوسائل12؛ 131؛ 3/13710.

المحاضرة الرابعة والثلاثون:

مفهوم اليد الإلهيّة

«يَا وَاسِعَ الْمَغْفِرَةِ، يَا بَاسِطَ الْيَدَيْنِ بِالرَّحْمَةِ».

بسم الله الرحمن الرحيم

الحديث هذه الليلة عن مفهوم في المعارف الإلهية، هذا المفهوم هو مفهوم اليد الإلهية ﴿يَدُ اللهِ﴾[1] هذا المفهوم باعتباره وارداً في القرآن الكريم، وباعتبار أننا نقرؤه بإلحاح في الأدعية الشريفة، إذن يجب أن نقف عنده.

ما معنى اليد الإلهية؟

ما هي أيادي الله تعالى حينما نقرأ: «يَا وَاسِعَ الْمَغْفِرَةِ، يَا بَاسِطَ الْيَدَيْن بالرَّحْمَةِ»؟

ما هي اليد التي يبسطها الله تبارك وتعالى بالرحمة؟

كما تعرفون أيها المؤمنون والمؤمنات إن القرآن الكريم هو المصدر الأوّل والأهم في معارفنا عن الله تبارك وتعالى؟

أقسام القرآن الكريم:

القرآن الكريم يُقسَّم إلى أربعة أقسام:

القسم الأوّل: أحكام تشريعية، مثل: ﴿السَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيدِيَهُما﴾[2]، ومثل: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيامُ كَما كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾[3]، هذه الآيات نسميها آيات الأحكام. ربع القرآن آيات أحكام شرعية.

---

(١) الفتح:10.

(٢) المائدة:38.

(٣) البقرة:183.

القسم الثاني في القرآن الكريم: مواعظ، مثل: ﴿أَفَلا يَنْظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾(١)، ومثل: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّماواتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهارِ لآياتٍ لأُولِي الأَلْبابِ﴾(٢)، ومثل: ﴿فَلْيَنْظُرِ الإِنسانُ مِمَّ خُلِقَ﴾(٣)، هذه آيات مواعظ، وعظ وتذكير بالآخرة. هذا هو الربع الثاني من القرآن الكريم.

القسم الثالث من القرآن الكريم: قصص وتاريخ الأنبياء، مثل: ﴿وَلَقَدْ جاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّناتِ فَما زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولاً﴾(٤)، قصص القرآن الكريم في الأنبياء جميعاً. هذا هو الربع الثالث من القرآن الكريم.

والقسم الرابع من القرآن الكريم هو: المعارف الإلهية، مثل: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾(٥)، هذه الآيات لا تتحدّث عن قصة، ولا تتحدّث عن حكم شرعي، ولا تتحدّث عن موعظة وتذكير بالآخرة، وإنما تتحدّث عن معرفة إلهية، المعرفة بالله تبارك وتعالى.

مجموعة من اليهود جاءوا إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يا محمّد، انسب لنا ربك؟ فمكث رسول الله ﷺ ثلاثة أيام _ على ما تذكر الرواية _ لم يُجبهم. نسب الله ما هو؟ النبي لا يستطيع الإجابة، حتّى

(١) الغاشية:17.
(٢) آل عمران:190.
(٣) الطارق:5.
(٤) غافر:34.
(٥) التوحيد:1 -4.

نزلت سورة الإخلاص فيها نسب الله، وهي تعطيك الهوية الكاملة، ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾، هذا هو نسب الله تبارك وتعالى(١).

هذه آيات وسور في المعارف الإلهية.

إذن المصدر الأصلي عندنا في المعارف الإلهية هو القرآن الكريم.

مفهوم اليد في القرآن:

القرآن الكريم ماذا يقول في مفهوم اليد؟ هل لله يد، أم لا ؟ وإذا كانت عنده يد كيف هي؟ هل هي مثل يدنا؟

في الدعاء نقرأ: «أنا لا أنسى أياديك عندي»(٢)، إذن الله له أيدي، وهكذا نقرأ: «يا باسط اليدين بالرحمة»، إذن الله له أيدي.

القرآن الكريم ماذا يقول؟

القرآن الكريم مرة يقول له يد، ومرة يقول له يدان، ومرة يقول له أيدي، إذن يجب أن نقف عند هذا المفهوم.

﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(٣).

أحياناً الآيات القرآنية تتحدّث أن الله تبارك وتعالى له يدان، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾(٤)، إذن الله تعالى له يدان اثنتان، أيضاً القرآن يقول

---

(١) أنظر: التوحيد للصدوق:93/ باب تفسير قل هو الله أحد/ ح 8.

(٢) من دعاء السحر في شهر رمضان، مصباح المتهجد:591/ 67/69.

(٣) الملك: 1.

(٤) المائدة:64.

عن الله تعالى: ﴿قالَ يا إِبليسُ ما مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِما خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[١]، يعني الله تعالى يقول: يا إبليس، ما منعك أن تسجد لآدم الذي خلقته بيديَّ الاثنين؟ الله تبارك وتعالى له يدان اثنتان، واحدة يمين وواحدة شمال، كما قال تعالى: ﴿وَالسَّماواتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾[٢]، يعني الله عنده يمين، وأيضاً الروايات تقول الله عنده شمال، ما زال عنده يمين إذن عنده شمال، وإلاّ ما معنى عنده يمين وليس عنده شمال؟ القرآن يقول: ﴿وَالسَّماواتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾، ما اليمين؟ هذه مفاهيم لا بدَّ أن نقف عندها؛ لأن في القرآن معارف الإلهية.

بعض الروايات تقول: «إن الله تبارك وتعالى لما خلق آدم قبض من طينته قبضتين: قبضة بيمينه، وقبضة باليد الأخرى، فقال للذي بيمينه: هؤلاء إلى الجنّة ولا أبالي، وقال للذي في يده الأخرى: هؤلاء إلى النار ولا أبالي، ثمّ ردّهم في صلب آدم، فهم يتناسلون على ذلك إلى الآن»[٣]. وهذا حديث مفصّل ولطيف جدّاً في فلسفة الطينة وتداخل الخلق، وكيف أن بعض الناس أهل اليمين وبعضهم أهل الشمال.

الفكرة أن الله قبض قبضة بيمينه فهؤلاء أهل الجنّة، وقبض قبضة بشماله فهؤلاء أهل النار، وهذا مفهوم يمكن أن نبيّنه فيما بعد، المهم إن الله تبارك وتعالى له يدان يمين وشمال.

ثمّ إن القرآن الكريم يتقدم أكثر ويقول: إن الله تعالى له أيدي، ليس يداً

(١) ص:75.

(٢) الزمر:67.

(٣) هكذا رواه محدّثوا العامة، أنظر: مجمع الزوائد: 1867. وأما مصادرنا فأوردته دون لفظة اليمين أو الشمال.

واحدة ولا يدين وإنما هي أيدي، حيث يقول: ﴿وَالسَّماءَ بَنَيْناها بِأَيدٍ وَإِنّا لَمُوسِعُونَ﴾[1]، ما قال: بيدٍ، ولا بيدين، وإنما قال: ﴿بِأَيدٍ﴾، إذن بالتأكيد القرآن الكريم يقول إن الله تعالى له يد، يدان، يمين، شمال، أيدٍ، ما هو المعنى؟

هل المعنى يد جسمية مثل يدنا هذه؟ طبعاً لا؛ لأن ذلك عقائدياً وفلسفياً ممتنع، الله تبارك وتعالى ليس جسماً له يد مثل يدنا وعين مثل عيننا، هذا مفروغ عنه عقائدياً وفلسفياً، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[2]، لو كان عنده يد مثل يدنا لصار محدوداً، وصار جزئياً، بمعنى صار ناقصاً، وصار محتاجاً إلى غيره، بينما الله تبارك وتعالى ﴿بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ﴾[3]، لا يمكن أن يصير جسماً مثل أجسامنا، هذا بحث عقائدي فلسفي مفروغ منه، الله ليس مثلنا، إذن ما هو المقصود حينما يقول: ﴿وَالسَّماءَ بَنَيْناها بِأَيدٍ﴾؟ هل يعني أنه مثل عامل البناء يبني؟ يضع طابوقة فوق أخرى؟ طبعاً لا، المقصود هو المعنى الكنائي، هذه كنايات عربية، اليد في الكناية العربية مرة تُستعمل إشارة إلى القدرة، ومرة إشارة إلى الكرم والعطاء، ومرة إشارة إلى الوجود أمام الناظر، ومرة إشارة إلى الملكية، هذه كلها كنايات عربية.

الاستعمالات العربيّة لكلمة اليد:

في اللغة العربية تستعمل كلمة اليد بأربع حالات _ كلها على سبيل الكناية _، مثلاً أنت أحياناً تقول: إن فلاناً يده طويلة، وليس

---

(١) الذاريات:47.

(٢) الشورى:11.

(٣) فصلت:54.

قصدك أن يده طويلة حقاً، وإنما المقصود تصرفاته يتجاوز بها الحدود، هذا نسميه كناية، اليد في الحقيقة في أربعة مجالات تستعمل على سبيل الكناية: مرة تأتي بمعنى القدرة، فتقول: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾(١)، بمعنى قدرة الله فوق قدرتهم. ومرة تأتي كناية عن الكرم والفضل، أقول: لك يدٌ عليَّ، يعني لك فضلٌ عليَّ، أو ليس لك عليَّ يد، يعني ليس لك عليَّ فضل.

أذكر كتاباً للسيد عبد الحسين شرف الدين اسمه: (الفصول المهمة)، في مقدمته وفي ترجمة حياته يقول السيد عبد الحسين شرف الدين: حينما كان في لبنان وأراد أن يؤسس مشروعاً دينياً، مدرسة، مكتبة، ولا بدَّ أن يجمع لذلك تبرعات، تَردَّد هل يذهب إلى فلان أو لا يذهب؟ وعلى كل حال، السيد عبد الحسين شرف الدين ـ وهو من علماء المذهب الكبار ـ يقول: كيفما كان ذهبت إلى ذلك الشخص التاجر الثري، وطرقت الباب عليه وطلبت منه مساعدة للعمل الديني وليس للعمل الشخصي، فردّني ولم يعطني شيئاً، فلما ردَّني أنشدت متمثلاً بيتاً:

أخطأت في طلبي وأخطأ في ... منعي وردّ يدي بغير يد
فلأجعلنَّ عقوبتي أبداً ... ألاّ أمـدّ يدي إلى أحد (٢)

وهنا محل الشاهد: (فردَّ يدي بغير يدِ) اليد هنا بمعنى العطاء والكرم والهدية؛ لأن بعض الناس ليس عنده عطاء، حينما نقول يده

(١) الفتح:10.
(٢) هذان البيتان منسوبان للشريف الرضي ﵀، أنظر: حقائق التأويل:59.

مفتوحة، هل حقيقة يده مفتوحة؟ المقصود إنه كريم، يعني كثير العطاء، هذا هو المعنى الثاني لليد.

واليد تأتي بمعنى المُلك، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ ﴾(١)، أنت أحياناً تقول لابنك: أمرك بيدي، يعني هو ملك لي وأنا أتصرف في شأنك، فاليد هنا بمعنى الملكية.

وتأتي بمعنى آخر وهو: أمام، كما جاء في قوله تعالى: ﴿مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ ﴾(٢)، المقصود من بين يديه هنا: قدّامه، وكذلك قوله: ﴿فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ﴾(٣)، بمعنى أمام المناجاة وقبلها، والمناجاة ما عندها يد، الدعاء ما عنده يد، لكن القرآن ماذا يقول؟ يقول: قدموا أمام المناجاة حينما تريدون المناجاة صدقة، حينما تريدون أن تذهبوا إلى مجلس دعاء، حينما تريدون أن تذهبوا إلى النبي ﷺ عندكم مسألة معه أوّلاً قدّموا صدقة، ﴿إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً﴾ هنا بين يدي يعني أمام وليس يعني اليد الجسدية.

هذه كنايات في اللغة العربية في كلمة اليد.

حينئذٍ القرآن الكريم حينما يقول: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ ﴾(٤)، هل له يد مثل يدنا هذه؟ أو حين يقول: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾، يداه مفتوحة، كما تقول: فلان يده مفتوحة، يعني كريم جدّاً.

اليهود معروفون بالبخل، ولحد الآن فإن أبخل الشعوب هم اليهود بشكل

---

(١) آل عمران:73.

(٢) الرعد:11.

(٣) المجادلة:12.

(٤) الملك: 1.

عجيب غريب، معروفون بالبخل والحرص وصفات أخرى، وهنا لأنهم بخلاء قالوا: ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ يعني: بخيل ـ والعياذ بالله ـ، القرآن الكريم يقول: ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾، الله فاتح يديه، هذا هو محل الشاهد.

صفات اليهود:

أنا حين قرأت هذه الآية في اليهود اليوم وجدت فيها أربع صفات لهم، القرآن الكريم يلخصها في هذه الآية:

لاحظوا قوله: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَاناً وَكُفْراً وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَاراً لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾[1]، هذه هي الصفة الأولى فيهم، وهي: الخبث، المشار إليه بقوله: ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾.

إلى أن يقول في الصفة الثانية: ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾، اليهود أهل حقد، في ما بينهم توجد أحقاد، ومع العالم عندهم أحقاد، لا توجد أُمّة حاقدة على الشعوب مثل اليهود.

هذه هي الصفة الثانية في اليهود.

الصفة الثالثة: ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَاراً لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾، تاريخياً اليهود لا يُنصرون، هذا خبر قرآني أنه تاريخياً سيبقى اليهود حالة استثنائية غير قادرين على أن تستتب لهم البلاد، وسيبقون حالة استثنائية وفي ديمومة حرب فاشلة، ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَاراً لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾، الله لا يدعهم ينتصرون على المسلمين، هذه الصفة الثالثة.

---

(١) المائدة:64.

الصفة الرابعة: ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَساداً﴾، هؤلاء مفسدون، ﴿وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾.

إذن الله تبارك وتعالى حينما يقول: ﴿بَلْ يَداهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾، أو يقول: ﴿وَالسَّماءَ بَنَيْناها بِأَيدٍ﴾، ليس المقصود هنا يد مثل يد البنّاء؛ لأن السماء ليست هي عبارة عن جدار من الطابوق حتّى يقول الله سبحانه وتعالى بنيناها بأيدٍ، وإنما يعني بنيناها بقدرة، اليد كناية عن القدرة، ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيدِيهِمْ﴾.

اليمين ما معناها؟ قد نقول: حسناً، الله له يد بمعنى له قدرة، إذن كيف يكون له يمين وشمال،﴿وَالسَّماواتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾؟

هذه أيضاً ــ كما يقول المفسرون ــ كناية عن اليُمن والخير والسعادة، الشمال علامة البؤس والشقاء، هذه اصطلاحات وكنايات، الله تبارك وتعالى خلق أهل السعادة بيد اليمين والبركة والسعادة، وخلق أهل الشقاء بيد البؤس، رغم أن الله كل ما يتصرف هو خير سواء في جانب الشقاء أو في جانب السعادة، ولهذا فإن الروايات تقول: «وكلتا يديه يمين»[(١)]، الله له يدان اثنتان كلاهما يمين، يعني كلَّه خير وبركة.

وعلى كل حال، هذه المفاهيم نطويها طيّاً سريعاً ونعود إلى الدعاء: «إلهي أنا لا أنسى أياديك عندي»[(٢)]، يعني الكرم والعطية التي أنا

---

(١) في الرواية عن رسول الله ﷺ قال: «المتحابّون في الله يوم القيامة على أرض زبرجدة خضراء، في ظلّ عرشه عن يمينه - وكلتا يديه يمين- وجوههم أشدّ بياضاً وأضوأ من الشمس الطالعة...». أُنظر: الكافي 2/125/ باب الحب في الله والبغض في الله/ ح 7.

(٢) من دعاء السحر في شهر رمضان، مصباح المتهجد: 1/591/ 67/69.

أتلقاها منك يا إلهي مرة بعد أخرى، لا أستطيع نسيانها، يا إلهي، انظروا العبارة الجميلة: «أنت الذي تفيض سيبك إلى من لا يسألك، وعلى الجاحدين بربوبيتك، فكيف سيدي بمن سألك، وأيقن أن الخلق لك والأمر إليك...» [(١)]، وهنا وصلنا إلى مفهوم الفيض في قوله: «تفيض سيبك».

مفهوم الفيض الإلهي:

الله تعالى هو فيض، فيض العطاء، فيض الرحمة ﴿كُلاًّ نُمِدُّ هؤُلاءِ وَهَؤُلاءِ مِنْ عَطاءِ رَبِّكَ ﴾[(٢)]، ولهذا فإن العلماء الفلاسفة يقولون: إن هناك مراتب للذات الإلهية، مرتبة اسمها مرتبة الفيض المقدس، ومرتبة اسمها الفيض الأقدس، ومرتبة اسمها مرتبة الأحديّة، ومرتبة اسمها مرتبة العماء، حيث لا وصف، ولا يمكن أن نتحدّث بشيء عن تلك المرتبة مرتبة العماء، وهناك عن هذه المرتبة ـ كما يقول هؤلاء العلماء ـ، وفي حديث الإسراء: «فلما بلغ إلى سدرة المنتهى وانتهى إلى الحجب، فقال جبرئيل: تقدم يا رسول الله، ليس لي أن أجوز هذا المكان، ولو دنوت أنملة لاحترقت»[(٣)]، هناك لا يمكن لبشر أن يصل إلى حدود تلك المرتبة.

هذه اصطلاحات فلسفية: الفيض المقدَّس، والفيض الأقدس، ومرتبة الأحدية.

هنا الدعاء يقول: «إلهي أنت الذي تفيض سيبك على من لم

(١) من دعاء السحر في شهر رمضان، مصباح المتهجد67/691/594.

(٢) الإسراء:20.

(٣) مناقب آل أبي طالب 1551.

يسألك، فكيف بمن سألك»، بينما اليهود قالوا: ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾، لاحظوا الوصف الإسلامي لله، فإنه مليء بالجمال والكمال، ولكن اليهود كل ما عندهم من أحقاد يصفون الله تبارك وتعالى بصفات تتناسب مع أخلاقهم، قالوا: ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾، هم بخلاء، معروفون بالبخل، ولكنهم قالوا: ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾.

القرآن الكريم يقول: ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾، اليهود يقدّمون صفات لله تعالى تتناسب معهم، بينما الإسلام والأديان الصحيحة تصف الله تعالى بأجمل الصفات، ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾[١]، كل اسم جميل هو وصف لله تبارك وتعالى.

«اللهم إني أسألك من جمالك بأجمله»، أنظروا جمال أدعية أئمّتنا عليهم السلام، كيف هي مزرَعة جميلة وحديقة فيها ورود عجيبة.

«اللهم إني أسألك من جمالك بأجمله، وكلّ جمالك جميل، اللهم إني أسألك بجمالك كله.

اللهم إني أسألك من كمالك بأكمله، وكل كمالك كامل، اللهم إني أسألك بكمالك كله.

اللهم إني أسألك من شرفك بأشرفه، وكل شرفك شريف، اللهم إني أسألك بشرفك كله»[٢].

هذا أروع وصف وتعبير تقدمه الأدعية عن الله تبارك وتعالى.

«يا أجمل من كل جميل، ويا أحب من كل حبيب»، «يا حبيب

---

(١) الأعراف.180.

(٢) أنظر: إقبال الأعمال 96:1.

القلوب، يا طبيب القلوب، يا مقلب القلوب»، هذا هو دعاء الجوشن الكبير حينما تقرؤونه وتفهمون معانيه لا يكاد الإنسان يملّه، «يا خير الساترين، يا خير الناظرين، يا خير المعطين، يا خير المسؤولين، يا خير الخالقين، يا خير الرازقين»[١]، هذا هو الوصف الديني لله تبارك وتعالى، ولأن الوقت لا يتسع لنا كثيراً أُريد أن أقرأ لكم بعض الروايات في الفهم الديني لجمال الله تعالى، لنرى نحن مع من نتعامل.

جمال الله تعالى:

جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، من يحاسب الخلق يوم القيامة؟ قال ﷺ: «الله عَزَّ وَجَلَّ».

قال الأعرابي: نجونا ورب الكعبة!

فقال رسول الله ﷺ: «وكيف ذاك يا أعرابي؟».

قال: لأن الكريم إذا قدر عفا[٢]. فحسابنا على الله، والله كريم فلماذا أخاف؟

هذا فهم لطيف فيه كثير من الوجدان الصادق الصحيح، الإسلام يريد أن نفهم الله تعالى بهذا الشكل أيضاً.

أقرأ لكم بعض الروايات من كتاب ثواب الأعمال للشيخ الصدوق رحمه الله، هذه الروايات لتربية النفس في الحقيقة.

مثلاً الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام تقول: «من تطهَّر ثمّ أوى إلى

(١) أنظر: مصباح الكفعمي: 352.

(٢) كنز العمال 2: 10، ح 39749.

فراشه بات وفراشه كمسجده»[(١)]، يعني هذه صورة من كرم الله تعالى أنك تتوضأ وتذهب لتنام يكون الفراش لك كما لو أنت في مسجد مشغول بالعبادة.

الآن ماذا تفعلون أيها الشباب؟ هل تتوضؤون وتنامون؟ أو تنامون بغير وضوء؟ «من تطهَّر ثمّ أوى إلى فراشه بات وفراشه كمسجده» هذا هو جمال الله، كرم الله تبارك وتعالى.

أقرأ لكم رواية ثانية، تقول الرواية عن جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام: أن النبي صلى الله عليه وآله قال: «إن الله عز وجل أوجب الجنّة لشاب...» لنرى هذا الشاب، وحينما نقول شاب لا يفرق أن يكون رجلاً أو امرأة، لا فرق، ماذا كان يعمل هذا الشاب؟ شيء بسيط جداً، لكنه يحتاج إلى توفيق، «إن الله عز وجل أوجب الجنّة لشاب كان يُكثر النظر في المرآة فيُكثر حمد الله على ذلك»[(٢)]، يومياً يخرج، يرجع، يغسل، يتعشى... ينظر في المرآة ويقول: الحمد لله، الله خلقني معافى جميلاً تام الخلقة، فيحمد الله تعالى. الرواية تقول: إن الله أوجب له الجنّة، هذا الشاب الشكور بدل أن يكون شاباً عاصياً أو شابةً عاصية تتخذ من الجمال والمرآة طريقاً للمعصية، وخدمة للشيطان، هذا الشاب ينظر إلى المرآة فيقول: الحمد لله الحمد لله، الله أعطاني العافية، أيها الشباب ليكن هذا دائماً على لسانكم: الحمد لله، الشكر لله. الله تعالى يزيدكم خير الدنيا وخير الآخرة.

أقرأ لكم أيضاً رواية ثالثة تقول: قال أبو عبد الله الصادق عليه السلام: «أيما مؤمن سجد لله سجدة لشكر نعمة من غير صلاة، كتب الله بها عشر

---

(١) ثواب الأعمال:18.

(٢) ثواب الأعمال:25.

حسنات، ومحى عنه عشر سيّئات، ورفع له عشر درجات في الجنان»[١].

والرواية الأخرى عن الإمام الصادق عليه السلام تقول: «إن العبد إذا أطال السجود حيث لا يراه أحد قال الشيطان: وا ويلاه، أطاعوا وعصيت، وسجدوا وأبيت»[٢].

وأقرأ لكم رواية أخيرة ونختم الحديث تدريجياً، هذه الرواية الجميلة عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «إذا كان يوم القيامة أمر الله عزّ وجلّ منادياً ينادي: أين الفقراء؟ فيقوم عُنق من الناس، فيؤمر بهم إلى الجنّة، فيأتون باب الجنّة، فيقول لهم خزنة الجنّة: قبل الحساب؟! فيقولون: أعطيتمونا شيئاً فتحاسبونا عليه؟! فيقول الله عزّ وجلّ: صدقوا عبادي، ما أفقرتكم هواناً بكم، ولكن ادخرت هذا لكم لهذا اليوم، ثمّ يقول لهم: أنظروا وتصفحوا وجوه الناس، أنظروا فمن أسدى إليكم معروفاً فخذوا بيده وأدخلوه الجنّة»[٣].

هذه صورة عن الجمال الإلهي في معارفنا الإسلاميّة في الروايات وفي النصوص القرآنية.

وأنا كان في ذهني أن أُحدّثكم عن الروايات المزوّرة، وهي ما نسميه بالإسرائيليات التي تنسب إلى الله تعالى صفات غير صحيحة، وعلماؤنا جهدوا ليل نهار حتّى يطهّروا الروايات ويخرجوا الغث من السمين، يخرجون الصحيح من غير الصحيح.

---

(١) ثواب الأعمال:35.

(٢) ثواب الأعمال:34.

(٣) ثواب الأعمال183.

بعض روايات بني إسرائيل تقول: إن الله تعالى يقول لجهنم: هل امتلأت؟ فتقول: هل من مزيد؟، هل امتلأت؟ فتقول: هل من مزيد؟، فيضع الله قدمه في جهنم فتمتلئ وتقول: قطني... قطني... قطني، يعني شبعت [1]. هذه إسرائيليات ليست مقبولة، علماؤنا تعبوا في تمحيص وتطهير الروايات، وهذا بحث لعلّي أتناوله معكم يوماً عن تطهير كتب الحديث، واهتمامات علمائنا في تطهير الحديث، والأصول التي وضعوها لتطهير كتب الحديث.

نختم هذا المجلس بجولة مع نصوص الأدعية الشريفة في وصف الله تبارك وتعالى كما نقرؤه في ليالي شهر رمضان، الدعاء هو وصف لله تبارك وتعالى، بنفس الوقت الذي هو سؤال من الله تبارك وتعالى، أنتم تقرأون هذه الأدعية في شهر رمضان وترون جمال هذه الأدعية.

والحمد لله رب العالمين

* * *

(١) أنظر: صحيح البخاري 47:6 و2257 و8: 176؛ وكذلك صحيح مسلم 8: 152.

المحاضرة الخامسة والثلاثون:

صفات الفعل الإلهي

«تُعَذّبُ مَنْ تَشَاءُ بِمَا تَشاءُ كَيْفَ تَشَاءُ ، وَتَرْحَمُ مَنْ تَشاءُ بِمَا تَشاءُ كَيْفَ تَشاءُ ، لا تُسْألُ عَنْ فِعْلِكَ ، وَلا تُنَازَعُ فِي مُلْكِكَ ، وَلا تُشارَكُ فِي أمْرِكَ ، وَلا تُضَادُّ فِي حُكْمِكَ، وَلا يَعْتَرِضُ عَلَيْكَ أحَدٌ فِي تَدْبِيرِكَ».

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه الليلة حديثنا عن هذا المقطع من الدعاء: «لا تُسأل عن فِعْلك»، يعني أن الله تبارك وتعالى لا يُسأل عن فعله، وهم يُسألون، الخلائق هم الذين يُسألون، هم الذين يُحاسبون، «تُعذّب من تشاء بما تشاء كيف تشاء، وترحم من تشاء بما تشاء كيف تشاء، لا تُسأل عن فعلك، ولا يعترض عليك أحد في تدبيرك».

الفعل الإلهي هل يخضع لضوابط؟

اليوم حديثنا عن هذا المفهوم، وهو أن الله تبارك وتعالى لا يُسأل عن فعله، ماذا يعني ذلك؟ هل يعني الفوضوية؟ هل يعني أنه لا يوجد في صنع الله تعالى قانون وضوابط؟ «لا يُسأل عن فعله»، يعني هو يفعل كيفما يشاء بدون أصول؟ «لا تُسأل عن فعلك» هل معناه العبثية في الكون؟ طبعاً لا. العمل الإلهي فيه أربع صفات سوف نشرحها، لكن لنقف أوّلاً عند معنى «لا يُسأل عن فعله».

معاني السؤال:

السؤال على عدة معانٍ.

المعنى الأوّل: الطلب:

مرة السؤال بمعنى الطلب، تقول: طرق علينا الباب سائل، ومنه

قوله: ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ﴾[1]، يعني يأتي أحد يستعطي منك، هذا أيضاً يُسمى سؤال، هذا السؤال من الله حسن أو غير حسن؟، هل نسأل الله أو لا نسأل؟

هذا المعنى من السؤال حسن وواجب، ﴿وَسْئَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾[2]، لابدَّ أن نسأل من الله بالمعنى الأوّل بمعنى الطلب، بمعنى الدعاء، ﴿وَسْئَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾، «الحمد لله الذي أسأله فيعطيني» إذن لا بدَّ أن نسأل الله، هذا هو السؤال بالمعنى الأوّل، وعبادات الإنسان ودعاء الإنسان هي كلها سؤال، هذا ما نقرؤه في الأدعية، «اللهم إني أسألك إيماناً تباشر به قلبي»، «اللهم إني أسألك خشوع الإيمان»، «اللهم إني أسألك علماً نافعاً ورزقاً واسعاً» هذا كله سؤال، السؤال بهذا المعنى أمر إيجابي، أمر مطلوب، كلّما نكثر من السؤال نكون محبوبين أكثر عند الله تعالى، هذا هو السؤال بالمعنى الأوّل.

المعنى الثاني: الاستفهام:

هناك سؤال بالمعنى الثاني، وهو الاستفهام، الإنسان يتعلم، الجاهل يسأل العالم مسألة، هذا السؤال هل هو حسن أم لا؟

وإذا الإنسان أو أيّ مخلوق من مخلوقات الله تعالى يسأل الله تعالى سؤالاً علمياً فهذا ليس فيه إشكال. الأنبياء يسألون الله تعالى، وهو يعلّمهم ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾[3]، أحياناً نستفهم، يعني أن المطلب غير واضح عندنا، الإنسان يسأل الله سبحانه، السؤال بهذا المعنى ليس فيه شيء، يوم

---

(١) الضحى:10.
(٢) النساء:32.
(٣) طه114.

القيامة الكافر يسأل الله سبحانه سؤال استفهام: ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيراً﴾(١)، الله تعالى هنا لم يقل له: لا تسأل، ليس لك حق، الله قال له: أُجيبك، سؤالك صحيح ومنطقي، أنا سأُجيبك، أنت الآن في الآخرة أعمى؛ لأنك في الدنيا كنت أعمى، ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيراً * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى﴾(٢).

المعنى الثالث: الاعتراض:

السؤال بالمعنى الثالث هو الاعتراض، تقول: لماذا فعلت كذا وكذا؟ هذا السؤال الذي يستبطن المحاسبة، هذا السؤال هو الممنوع، الله تعالى ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾(٣)، أنت ليس من حقك أن تعترض على الله تعالى، تقول: إلهي لماذا خلقتني؟ لماذا أوجدتني؟ لماذا بعثت الأنبياء؟ لماذا حرّمت الخمر؟ لماذا أوجبت الصيام؟

لو كان السؤال بحالة استفهام، تقول: إلهي ما هي فلسفة الصيام؟ حسناً يأتيك الجواب، قال رسول الله ﷺ: «الصوم جُنّة من النار»(٤)، ولكن مرة تعترض على الله، السؤال بمعنى الاعتراض والاستنكار، هذا السؤال ممنوع. «لا يُسأل عن فعله»، الله ربنا ونحن عبيده، العبد لا يسأل الرب ويعترض عليه: لماذا فعلت كذا؟ أنا لا أعرف شيئاً، أنا الجاهل وأنت العالم، الله هو العالم، السؤال بهذا المعنى مرفوض، ويعتبر درجة من درجات الشرك والكفر، أنت عندما تعترض على الله معناه إيمانك ضعيف، إلهي لماذا أمطرت السماء؟ إلهي لماذا أفقرت الناس؟

---

(١) طه:125.

(٢) طه:125 و126.

(٣) الأنبياء:23.

(٤) الكافي2:19/ باب دعائم الإسلام/ ح 5.

إلهي لماذا أمرضت المرضى؟ مرة سؤال استفهام لا بأس به، أما سؤال استنكار واعتراض فهو غير جائز.

تقول الرواية: مرَّ نبي من الأنبياء على رجل كافر وهو مغدق بالرفاهة والنِعَم، ومرّ على عبد مؤمن وإذا هذا العبد المؤمن ميت ومطروح على الشارع نصفه بالماء ونصفه الآخر بالتراب متروك ومهمل، وهو عبدٌ مؤمن، هذا النبي قال: إلهي هذا مؤمن شكور بهذا الحال، وذاك الكافر في نعمة؟! هذا السؤال مرة على سبيل الاعتراض، لا يجوز، ومرة على سبيل السؤال، ومن حق النبي أن يسأل: إلهي ما هي فلسفة هذا العبد؟ الله تبارك وتعالى أوحى له: هذا الكافر ما ادخرت له من الآخرة شيئاً، وادخرت الآخرة والجنّة لهذا المؤمن(١).

الشاهد هو أن السؤال إذا كان على سبيل الاستفهام لا بأس به، لكن ليس على سبيل الاعتراض.

أنواع الفعل الإلهي:

«لا يُسأل عن فعله»، الفعل الإلهي فعلان: فعل تكويني، وفعل تشريعي.

---

(١) في الكافي 4462/ باب تعجيل عقوبة الذنب/ ح 12: عن أبي جعفر عليه السلام قال: «مرَّ نبي من أنبياء بني إسرائيل برجل بعضه تحت حائط وبعضه خارج منه قد شعثته الطير وم زّقته الكلاب، ثمّ مضى فرفعت له مدينة فدخلها فإذا هو بعظيم من عظمائها ميّت على سرير مسجّاً بالديباج حوله المجمر ، فقال: يا رب ، أشهد أنك حكم عدل لا تجور، هذا عبدك لم يشرك بك طرفة عين أمتّه بتلك الميتة ، وهذا عبدك لم يؤمن بك طرفة عين أمتّ ه بهذه الميتة؟! فقال: عبدي ، أنا كما قلت ، حكم عدل لا أجور، ذلك عبدي كانت له عندي سيئة أو ذنب أمتّه بتلك الميتة لكي يلقاني ولم يبق عليه ش يء، وهذا عبدي كانت له عندي حسنة، فأمتّه بهذه الميتة لكي يلقاني وليس له عندي حسنة.

الله تعالى له نوعان من الأفعال: أفعال نسميها الفعل التكويني، يعني يكوّن الأشياء، خلق السماوات والأرض، خلقك أنت وأنا، وهذا سالم، وهذا مريض، وهذا يموت، وهذا حي، ﴿تَبارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَياةَ﴾ خلقاً تكوينياً ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾[١]، هذا فعل تكويني، السماء تمطر، السماء لا تمطر، الأرض تنبت، الأرض لا تنبت، ناس أغنياء، ناس فقراء، ناس عندهم قحط، ناس عندهم خير ورحمة، هذا فعل تكويني من الله تبارك وتعالى، ﴿وَإِذا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ * وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ * وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾[٢]، هذا كلّه فعل تكويني.

هناك فعل تشريعي، يعني أن الله يعطيني قانوناً، هذا ما نسميه فعلاً تشريعياً، ﴿أَقِمِ الصَّلاةَ﴾[٣]، ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيامُ﴾[٤]، ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصاصِ حَياةٌ يا أُولِي الْأَلْبابِ﴾[٥]، هذا نسميه فعلاً تشريعياً، الله أعطانا شريعة، ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ﴾، هنا ليست عملية تكوينية، وإنما عملية حرام وحلال، هذا نسميه فعلاً تشريعياً، ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ ما وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنا إِلَيْكَ﴾[٦]، هذا فعل تشريعي.

السؤال الاعتراضي على فعل الله تبارك وتعالى مرفوض، سواءً في الفعل التكويني أو في الفعل التشريعي.

---

(١) الملك: 1 و2.

(٢) الشعراء:80 -82 .

(٣) الإسراء:78.

(٤) البقرة183.

(٥) البقرة179.

(٦) الشورى:13.

يعني ليس من حقك كعبد من العباد أن تعترض على الله في فعله التشريعي، يمكن أن تسأل، لا بأس به يمكن أن تطلب، ﴿وَسْئَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ ﴾(١)، لا بأس به، لكن أن تعترض فهذا خلاف التسليم، يعني أنت عبدٌ متمرد، أنت طالب في المدرسة يمكن أن تسأل الأستاذ بالامتحان، لكن أنت كطالب ليس لك حق أن تعترض، إذا اعترضت، يقال لك: هذه أسئلة وزارية، أتت من بغداد، أنت أجب، إذا لم تعرف الجواب تأخذ صفراً، أعط الورقة بيضاء واخرج من المدرسة، وليس لك حق الاعتراض؛ لأنك طالب، أنا مدير وأنا أستاذ.

الله تبارك وتعالى له مقام الربوبية، أنا لا أقدر أن أعترض عليه، إلهي لماذا خلقتني جميلاً؟ أو لماذا خلقتني قبيحاً؟، لماذا خلقتني أُنثى؟ ولماذا خلقتني ذكراً؟ والله هو الذي يعطينا من فضله ما يشاء، نحن غير مستحقين شيئاً على الله تعالى، الاعتراض هو درجة من درجات الكفر بالله تبارك وتعالى.

أنا أقرأ لكم بهذا الصدد رواية عن الإمام الصادق عليه السلام: «لو أن قوماً عبدوا الله وحده لا شريك له، وأقاموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وحجوا البيت، وصاموا شهر رمضان، ثمّ قالوا لشيء صنعه الله أو صنعه رسول الله صلى الله عليه وآله: ألا صنع خلاف الذي صنع، أو وجدوا ذلك في قلوبهم، لكانوا بذلك مشركين...» هذا شرك بمستوى من المستويات، ليس بمعنى أنه غير مسلم وخارج عن الإسلام، لكن هذا الشرك مثل الرياء هو شرك بالله تعالى، ثمّ قرأ وتلا قوله تعالى: « ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيما

(١) النساء:32.

شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾[١]»، ثمّ قال أبو عبد الله عليه السلام: «عليكم بالتسليم»[٢].

التسليم أحد صفات المؤمن، التسليم لله، التسليم لرسول الله، التسليم لأولياء الله، هذا هو ولي الأمر وانتهى، ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾[٣].

صفات فعل الله:

فعل الله تبارك وتعالى يختلف عن فعل العبد، هناك أربع صفات في فعل الله تبارك وتعالى:

الصفة الأولى: نفي العبث.

الصفة الثانية: نفي الظلم.

الصفة الثالثة: نفي الخطأ.

الصفة الرابعة: نفي اللهو واللعب.

نحن أعمالنا قد يصير فيها خطأ، وقد يصير فيها لعب وترفيه ولهو، وقد يصير فيها ظلم، وقد يصير فيها عبثية وعدم فائدة، هذا هو فعل العبد، لكن فعل الله تعالى له أربع صفات:

1 _ نفي العبث، يعني لا يوجد عمل بدون هدف، ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّما خَلَقْناكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنا لا تُرْجَعُونَ ﴾[٤]، الله تعالى

(١) النساء:65.

(٢) الكافي 390:1/ باب التسليم وفضل المسلّمين/ ح 2.

(٣) النساء:59.

(٤) المؤمنون115.

يقول: أنا ليس عندي عبث لم أخلقكم لرغبة عابثة وبدون هدف.

2 _ نفي الظلم ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾(١)، ﴿وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً﴾(٢).

3 _ نفي الخطأ، الله ليس عنده خطأ في أي عمل من أعماله، ﴿ما تَرى فِي خَلْقِ الرَّحْمنِ مِنْ تَفاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرى مِنْ فُطُورٍ﴾(٣).

الله يقول أُنظر تأمل في السماوات والأرض لا تجد خطأ وتفاوتاً في فعل الله تعالى.

4 _ نفي اللهو واللعب، الله يقول أنتم البشر تملّون، عندكم لهو ولعب حتّى ترفهوا عن أنفسكم، الله تعالى يقول أنا ليس عندي ملل حتّى يصير عندي لهو ولعب، نفي اللهو واللعب عن عمل الله تبارك وتعالى ﴿لَوْ أَرَدْنا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْواً لاتَّخَذْناهُ مِنْ لَدُنَّا﴾(٤).

هذه أربع صفات لله تعالى، يعني الله تعالى عليم لا يخطأ، حكيم ليس لديه عمل عبثي، قائم على كل شيء، ليس عنده لهو ولعب أيضاً، وهكذا عادل ليس عنده ظلم، هذه أربع صفات للعمل الإلهي ناشئة من صفات يُسميها الفلاسفة (صفات الأفعال)، وهناك صفات الذات وصفات الأسماء، هذا بحث فلسفي عقائدي لعلنا في يوم من الأيام نشرحه لكم. ما هي صفات الأفعال والذات والأسماء؟ مثلاً نقول الله

---

(١) فصلت:46.

(٢) الكهف:49.

(٣) الملك:3.

(٤) الأنبياء:17.

تعالى حي، الله تعالى قيوم، هذه صفات الذات الإلهية، سواء كان يوجد خلق أو لا يوجد خلق، يوجد فعل أو لا يوجد، الله حي، هذه صفات الذات، ويوجد صفات الأفعال، مثل: الله رازق، الله كريم، الله رحيم، هذه صفات أفعاله مع الخلق، حينما خلق الكائنات صار رحيماً كريماً جواداً، لكن هو في نفسه حي، وفي نفسه قيوم، وهو في نفسه عظيم، هذه صفة العظمة وصفة الحيوية يسميها الفلاسفة صفات الذات، ويوجد عندنا صفات الأفعال، الله تعالى حكيم، يعني ليس عنده عمل عبثي، إذن يوجد عمل، والعمل فيه حكمة، هذه صارت من صفات الأفعال، عادل حكيم لا يخطأ أيضاً في فعله، نفي الخطأ من صفات الأفعال، نفي اللهو واللعب في أعماله، يعني يوجد عمل ليس لهواً وليس لعباً، هذا بحث أنا ذكرتكم به للانفتاح على الثقافة الإسلاميّة، وهو حديث العقائد وحديث العلماء، إذن الله تعالى طالما كان حكيماً وعليماً وعادلاً ومدبراً للأمور إذن الاعتراض على الله تعالى سواءٌ في فعله التكويني أو في فعله التشريعي مرفوض، ليس لك حق أن تعترض على الله تعالى.

إبليس هو أوّل من اعترض على الله تعالى، وكانت مشكلة إبليس أنه تمرد، إبليس هو مبدأ التمرد، هذا الذي ترونه من تمرد عند البشر هو ظاهرة إبليسية، أصل التمرد هو إبليس، أصل التمرد والتشكيك وتجاوز الحدود هو إبليس، قال: ﴿أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً﴾[1]. الله قال له: اُسجد لآدم، لو كان إبليس صالحاً لقال له: إلهي أريد أن تشرح لي لماذا أنا أسجد له، لما كان الله تعالى يعاقبه، لكن إبليس لم يسأل سؤالاً استفهامياً،

(١) الإسراء:61.

وإنما سأل سؤال اعتراض قال: ﴿أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً﴾.

قلنا: السؤال الاستفهامي ليس به بأس، موسى عليه السلام في الروايات يقول: «إلهي أقريب أنت فأناجيك، أم بعيد فأناديك؟ فقال الله تعالى: أنا خلفك وأمامك وعن يمينك وعن شمالك يا موسى، أنا جليس عبدي حين يذكرني، وأنا معه إذا دعاني»(١)، إلهي أنت قريب فأناجيك _ يعني أتكلم معك بهدوء وصوت خافت _ أم بعيد فأناديك بصوت عال. الله تعالى قال: «أنا جليس عبدي حين يذكرني».

هذا سؤال استفهامي ليس فيه إشكال، الإنسان يسأل: «إلهي أرضيت عني فأشكر أم لم ترض عني فأعتذر»، هذا السؤال لا بأس به هو سؤال استفهامي.

إبليس لو كان صالحاً وكان يسأل سؤالاً استفهامياً لأجابه الله تعالى ولقال له: آدم له فضل عليك. لكن إبليس اعترض على الله وصار عنده تمرد وعصيان وقال: ﴿أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً﴾.

الله قال: ﴿فَاخْرُجْ مِنْها فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾(٢)، أنت لا تستحق أن تبقى في مدرسة العباد الصالحين، أنت تذهب إلى مدرسة المطرودين.

نرجع إلى السؤال من الله، السؤال بمعنى الطلب، قلنا شيء جيد ﴿وَسْئَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً﴾(٣)، ولهذا نجد أن الأدعية تعلّمنا الأسئلة، كيف نسأل الله تعالى أسئلة

---

(١) كنز العمال 4331/ ح187.

(٢) الحجر:34.

(٣) النساء:32.

لطيفة.

الأدعية الجامعة:

يوجد أدعية نسميها الأدعية الجامعة، وهي عبارة عن أسئلة جامعة لأمور الدنيا والآخرة، مثل: «اللهم إني أسألك من كل خير أحاط به علمك، وأعوذ بك من كل شر أحاط به علمك، اللهم إني أسألك عافيتك في أموري كلها، وأعوذ بك من خزي الدنيا وعذاب الآخرة»(١).

هذا من الأسئلة والأدعية الجامعة.

تقول الرواية التي يرويها الشيخ الصدوق، بسند معتبر ـ يعني أنها رواية صحيحة ـ أنا راقبت سند هذه الرواية ووجدت أنها رواية صحيحة، الناقلون لها ثقات.

عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، قال: «إن أبا ذر رحمه الله، مرَّ برسول الله صلى الله عليه وآله وعنده جبرئيل عليه السلام في صورة دحية الكلبي، وقد استخلاه رسول الله صلى الله عليه وآله، فلما رآهما انصرف عنهما، ولم يقطع كلامهما. فقال جبرئيل عليه السلام: يا محمّد، هذا أبو ذر قد مرَّ بنا، ولم يسلم علينا، أما لو سلّم علينا لرددنا عليه. يا محمّد، إن له دعاء يدعو به معروفاً عند أهل السماء، فسله عنه إذا عرجت إلى السماء. فلما ارتفع جبرئيل عليه السلام جاء أبو ذر إلى النبي صلى الله عليه وآله، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما منعك ـ يا أبا ذر ـ أن تكون قد سلّمت علينا حين مررت بنا؟ فقال: ظننت ـ يا رسول الله ـ أن الذي كان معك دحية الكلبي، قد استخليته لبعض شأنك. فقال : ذاك كان جبرئيل عليه السلام يا أبا ذر، وقد قال: أما لو سلم علينا لرددنا عليه. فلما علم أبو ذر أنه

(١) أنظر: الكافي 2/578/ باب دعوات موجزة لجميع الحوائج للدنيا والآخرة/ ح 3.

كان جبرئيل عليه السلام دخله من الندامة ما شاء الله حيث لم يسلم. فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: ما هذا الدعاء الذي تدعو به؟ فقد أخبرني أن لك دعاء معروفاً في السماء. قال: نعم يا رسول الله، أقول: اللهم إني أسألك الإيمان بك، والتصديق بنبيك، والعافية من جميع البلاء، والشكر على العافية، والغنى عن شرار الناس»[1].

خمسة أشياء مهمة، هذه الأسئلة نسميها الأسئلة الجامعة.

أنا أريد أن أقرأ لكم في هذه الليلة رواية جميلة عن بعض مشاهد القيامة، لكن نبقى مع قضية السؤال، الرواية تقول عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتّى يُسئَل عن أربع: عن عمره فيم أفناه، وعن شبابه فيم أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن حبّنا أهل البيت»[2].

هذه أربعة أمور يجب أن نحضّر لها جواباً.

﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ﴾[3]، الروايات تقول في تفسير العقبة: أنها الولاية، لا يعبر القيامة إذا لم يقدم شهادة حب وولاء لأهل البيت عليهم السلام.

مشاهدات النبي صلى الله عليه وآله في المعراج:

أنا أقرأ لكم رواية وأختم الحديث، هذه الرواية رواية تربوية، رواية نافعة لكم إن شاء الله تعالى، الرواية يرويها أيضاً الشيخ الصدوق

(١) أمالي الصدوق: 426/562/3.

(٢) الخصال: 253/125.

(٣) البلد: 11 و12.

عن بعض أصحاب رسول الله ﷺ قال: كنّا عند رسول الله ﷺ يوماً، فقال : «إني رأيت البارحة عجائب» . قال : فقلنا : يا رسول الله، وما رأيت ؟ حدّثنا به فداك أنفسنا وأهلونا وأولادنا . فقال : «رأيت رجلاً من أمّتي وقد أتاه ملك الموت ليقبض روحه ، فجاءه بره بوالديه فمنعه منه ، ورأيت رجلاً من أمّتي قد بسط عليه عذاب القبر ، فجاءه وضوؤه فمنعه منها ، ورأيت رجلاً من أمّتي قد احتوشته الشياطين ، فجاءه ذكر الله ﷻ فنجاه من بينهم ، ورأيت رجلاً من أمّتي يلهث قد احتوشته ملائكة العذاب ، فجاءته صلاته فمنعته منهم ، ورأيت رجلاً من أمّتي يلهث عطشاً ، كلما ورد حوضاً مُنع منه ، فجاءه صيام شهر رمضان فسقاه وأرواه، ورأيت رجلاً من أمّتي والنبيون حلقاً حلقاً ، كلما أتى حلقة طُرد ، فجاءه اغتساله من الجنابة فأخذ بيده فأجلسه إلى جنبي ، ورأيت رجلاً من أمّتي بين يديه ظلمة ومن خلفة ظلمة وعن يمينه ظلمة وعن شماله ظلمة ومن تحته ظلمة مستنقعاً في الظلمة ، فجاءه حجّة وعمرته فأخرجاه من الظلمة وأدخلاه النور ، ورأيت رجلاً من أمّتي يكلّم المؤمنين فلا يكلمونه ، فجاءه صلته للرحم ، فقال : يا معشر المؤمنين ، كلّموه، فإنه كان واصلاً لرحمه ، فكلمه المؤمنون وصافحوه وكان معهم ، ورأيت رجلاً من أمّتي يتقي وهج النيران وشررها بيده ووجهه ، فجاءته صدقته فكانت ظلاً على رأسه وستراً على وجهه ، ورأيت رجلاً من أمّتي قد أخذته الزبانية من كل مكان ، فجاءه أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر فخلصاه من بينهم وجعلاه مع ملائكة الرحمة ، ورأيت رجلاً من أمّتي جاثياً على ركبتيه بينه وبين رحمة الله حجاب، فجاءه حسن خلقه فأخذه بيده وأدخله في

رحمة الله، ورأيت رجلاً من أمّتي قد هوت صحيفته قِبَل شماله ، فجاءه خوفه من الله ﷻ فأخذ صحيفته فجعلها في يمينه ، ورأيت رجلاً من أمّتي قد خفّت موازينه ، فجاءه أفراطه فثقلوا موازينه . ورأيت رجلاً من أمّتي قائماً على شفير جهنم ، فجاءه رجاؤه من الله ﷻ فاستنقذه من ذلك ، ورأيت رجلاً من أمّتي قد هوى في النار ، فجاءته دموعه التي بكى من خشية الله فاستخرجته من ذلك ، ورأيت رجلاً من أمّتي على الصراط يرتعد كما ترتعد السعفة في يوم ريح عاصف ، فجاءه حسن ظنه بالله فسكن رعدته ومضى على الصراط ، ورأيت رجلاً من أمّتي على الصراط يزحف أحياناً ويحبو أحياناً ويتعلق أحياناً ، فجاءته صلاته عليَّ فأقامته على قدميه ومضى على الصراط ، ورأيت رجلاً من أمّتي انتهى إلى أبواب الجنّة كلها ، كلما انتهى إلى باب أُغلق دونه ، فجاءته شهادة أن لا إله إلاّ الله صادقاً بها، ففتحت له الأبواب ودخل الجنّة»[(١)].

هناك سؤال يوم القيامة، الله ﴿لا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ﴾[(٢)].

ولهذا نحن يجب أن نعد أنفسنا يوم السؤال ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُلُونَ﴾[(٣)].

والحمد لله رب العالمين

* * *

(١) أمالي الصدوق:1/342/301.

(٢) الأنبياء:23.

(٣) الصافات:24.

المحاضرة السادسة والثلاثون:

أهمّية العلاقات الاجتماعيّة في الإسلام

«اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ، الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ ، وَتَابِعْ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ بِالْخَيْرَاتِ ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِحَيِّنَا وَمَيِّتِنَا ، وَشَاهِدِنَا وَغَائِبِنَا ، ذَكَرِنَا وَأُنْثَانَا ، صَغِيرِنَا وَكَبِيرِنَا، حُرِّنَا وَمَمْلُوكِنَا».

بسم الله الرحمن الرحيم

الحديث هذه الليلة عن لمحة من النظام الاجتماعي في الإسلام.

الإسلام كما تعلمون نظام شامل لحياة الإنسان الفرد، الأُسرة، المجتمع، العالَم، ما من شيء إلاّ ولله فيه حكم.

رسول الله ﷺ يقول: «ما من شيء يقربكم إلى الجنّة ويباعدكم من النار إلاّ وقد أمرتكم به، وما من شيء يقربكم من النار ويباعدكم من الجنّة إلاّ وقد نهيتكم عنه»[1]، نظام كامل، هذا هو الإسلام.

الإسلام نظام شامل:

هناك رؤيتان وقراءتان للإسلام:

الرؤية الأولى تقول: الإسلام خاص بالأحكام الشخصية، قانون الأحوال الشخصية، تأكل، تتزوج، تصلي. وهذه الرؤية غير صحيحة.

الرؤية الثانية _ وهي الصحيحة _ تقول: إن الإسلام نظام شامل للحياة فيه معالجة للمشاكل الاجتماعية، معالجة للمشاكل الاقتصادية، معالجة للمشاكل السياسية، معالجة للواقع الإداري، الإسلام يرتب كل هذه الأمور للإنسان على مستوى التشريع وبيان الحكم الفقهي، ويبقى للإنسان مجال الإبداع والابتكار والتطبيق، وفي ضوء ذلك لسنا بحاجة إلى استيراد نظم وتشريعات من خارج الإسلام. لكن الرؤية الأولى تقول:

(١) الكافي 74:2/ باب الطاعة والتقوى/ ح 2.

إن الإسلام لما كان خاصاً بالأحكام الشخصية فنحن لا بدَّ أن نستورد نظماً اقتصادية ونظماً اجتماعية وسياسية، نستوردها من الآخرين! إما من الغرب أو من الشرق.

الاتجاه الأوّل يسمى الاتجاه العلماني، علماني نسبة للعلم، كلّما يقول به العلم، إذا قال العلم: إن الربا ضرورة اقتصادية فنحن نمارس الاقتصاد الربوي، وإذا قال العلم: إن القصاص عمل غير حسن وغير حضاري فنحن لا نمارس القصاص، هؤلاء العلمانيون قسم منهم يرفضون الدين مطلقاً، وبعضهم ينتمي إلى دين لكن يرى أن الدين يجب أن يختص بأمور الأحوال الشخصيّة والعبادية لا غير، فيقول: أنا مسلم ولكن أنا علماني، أنا أصلي وأصوم وأذهب للحج لكن أنا علماني في الاقتصاد وفي السياسة وفي الاجتماع، التجارب ماذا تقول، التجارب البشرية العلميّة. هؤلاء يُسمون علمانيين، يمكن أن يكون مسلماً أو مسيحياً أو ليس لديه مذهب أو دين، هؤلاء علمانيون.

لكن نحن نعتقد أن الإسلام هو دين شامل للحياة، فيه نظام اجتماعي واقتصادي وسياسي.

أسباب الاتجاه العلماني:

والآن السؤال هو: لماذا اتجه بعض الناس للرؤية الأولى، وأصبحوا يقولون: إن الدين خاص بالأحكام الشخصية؟، وبعض هؤلاء من المسلمين!، وبعضهم ينتمي لأحزاب تؤمن بالإسلام؟ لماذا هؤلاء اتجهوا إلى هذه النظرية الخاطئة.

أربعة أسباب دعت هؤلاء لأن يصيروا علمانيين:

السبب الأوّل: الجهل بالدين، هؤلاء في الحقيقة غير مطّلعين على الدين ولا قارئين مصادرنا الفكرية الإسلاميّة، ولا مطلعين على القرآن ولا السُنّة النبوية ولا سُنّة أهل البيت بشكل جيد، ولا كتبنا الإسلاميّة، الجهل هو السبب الأوّل، الجهل بالدين، ولو كانوا مطلعين على شمولية الدين ونظرياته العظيمة ما كانوا يَصلون إلى هذه النتيجة.

السبب الثاني: التأثر بالفكر الغربي، هؤلاء اُناس تأثروا بالغرب، رأوا أن الغرب قد فصل الدولة والاقتصاد والمجتمع عن الكنيسة، وقالوا للقساوسة: أنتم اجلسوا في الكنيسة ونحن نحترمكم وليس لكم دخل بالسياسة، السياسة لنا والدين لكم، (ما لقيصر لقيصر، وما لله لله)، يعني الدنيا والملك والإدارة والسياسة هي لرجال الدولة، وما لله وهي العبادات لله، أنتم لكم الآخرة ونحن لنا الدنيا.

والحقيقة أن الغرب حينما فصل الدين عن الدولة والسوق والمجتمع كان معذوراً بفعل تخلف الكنيسة التي حاربت العلم، فقاموا بثورة على الكنيسة، بخلاف الإسلام الذي يؤمن بالعلم ويبني دولة حضارية تستفيد من كل التجارب العلميّة. هناك فرق كبير بين الإسلام وبين الكنيسة، وعلماء الكنيسة الذين وقفوا سنوات طويلة ضد العلم وكانوا يحكمون بالإعدام على أصحاب الكشوفات الحديثة.

السبب الثالث: هو عزل الإسلام سياسياً، إن الإسلام عُزل عن الحكم مئات السنين، ولما عزل عن الحكم مئات السنين تولّدت بفعل اللاشعور رؤية أن الإسلام غير قادر على الحكم والإدارة وتدبير شؤون الاقتصاد والاجتماع والمؤسسات المدنيّة.

السبب الرابع: هو الطريقة التقليدية الخاطئة في التبليغ الديني، لذلك فإن الناس يقولون: نحن لا نفهم كلام هؤلاء العلماء، يتكلمون بكلام قديم ليس فيه حداثة ولا جدّة، ولا نفهم منهم سوى هذا حرام وهذا حلال وهذا واجب بعيداً عن الإقناع العلمي، ولا ملامسة لمشاكل المجتمع الحقيقية.

المنهج الصحيح في الدعوة للدين:

نحن نحتاج أن نبيّن الدين كما بيّنه رسول الله ﷺ، وكما شرحه القرآن، عدي بن حاتم الطائي قبل أن يُسلم جاء إلى رسول الله ﷺ، فدخل عليه وهو في مسجده، فسلم عليه، فقال: من الرجل؟ فقال: عدى بن حاتم، فقام رسول الله ﷺ فانطلق به إلى بيته، فلقيته امرأة ضعيفة كبيرة فاستوقفته، فوقف لها طويلاً تكلمه في حاجتها. قال عدي بن حاتم: فقلت في نفسي: والله ما هذا بملك. ثمّ مضى رسول الله حتّى دخل بيته فتناول وسادة من أدم محشوة ليفاً فقذفها إليه، وقال له: أجلس على هذه. يقول عدي: قلت: لا، بل أنت فاجلس عليها. فقال: لا بل أنت. فجلست وجلس رسول الله ﷺ بالأرض، فقلت في نفسي: والله ما هذا بأمر ملك[1]. فأسلم عدي وكان من خلّص أصحاب النبي ﷺ وأصحاب أمير المؤمنين عليه السلام.

نحتاج إلى طريقة جديدة، ونحتاج إلى شرح جديد للإسلام، كما كان أئمّتنا عليهم السلام يصنعون ذلك ويكسبون قلوب الناس.

يمكن أن نقول إن هناك منهجان: منهج طرد الناس، ومنهج جذب

---

(١) أنظر: تاريخ الطبري 2:377.

الناس. يجب أن نشرح الدين بواقعياته، الدين ليس فقط أن نصلي ونصوم، الدين هو الأخلاق، البرّ بالوالدين، الإخلاص في العمل الإداري، انتخاب الإنسان الصالح، الدين يعني خدمة المجتمع في خدمات التعليم والبلدية وغيرها، هذا هو الإسلام، إذا شرحنا الإسلام بهذه الطريقة فإن الناس سوف يقبلون على الإسلام.

هذا هو السبب الرابع، ولا بدَّ أن أختصر ونؤجل هذا الموضوع إلى أوقات أخرى، هذه هي الأسباب الأربعة لظهور الاتجاه العلماني في الوسط الإسلامي.

اليوم حديثنا عن وجود نظام اجتماعي في الإسلام، مفردات في النظام الاجتماعي الإسلامي، ليتنا نستطيع أن نقدمها في مجموعة محاضرات، رؤية الإسلام في مفردات النظام الاجتماعي، الأمّة، الدولة، القومية، المواطنة، الأُسرة، الثورة، التغيير، هل الفكر هو انعكاس للواقع الاجتماعي، أم الواقع الاجتماعي انعكاس للفكر.

الإسلام ماذا يقول؟ هذه مفردات في النظام الاجتماعي، هذه لا يمكن شرحها الآن.

الفن في الإسلام:

الفن في الإسلام ما هو؟ الفن هو مفردة من مفردات حركة المجتمع، المسرح، الشعر، الرسم، الخط. ماذا يقول الإسلام؟ الإسلام حتّى في كل هذه القضايا المهمة في المجتمع لديه رأي.

جاء في الحديث الشريف: «من كتب بسم الله الرحمن الرحيم فجوّده _ أي خطّها بخط حسن _ تعظيماً لله، غفر الله له»[1].

---

(١) مستدرك الوسائل 4:1 3/4974 3.

هذه القضية فنية، الشعر كذلك، فقد ورد: «من أنشد في الحسين بيتاً من الشعر فبكى أو تباكى وجبت له الجنّة» [1]، هذه الأعمال الفنيّة هي أعمال صالحة، لكن نحن حينما لا نسلّط الضوء عليها، يتصور الناس أن الدين هو مجرد تقاليد خاصة وطقوس خاصة.

الإسلام يهتم بالفن، يهتم بالخط، يهتم بالمسرح.

مسيرة الإمام الحسين عليه السلام حينما نجعلها مسرحية ونقدّمها للمشاهدين فإن ثوابه ليس أقل من ثواب العالم الذي يقدّم المحاضرات، هذا العمل يهدي قلوب الناس، وهؤلاء يجب أن نشكرهم في الحقيقة.

أسس النظام الاجتماعي في الإسلام:

أحد الأُسس المهمة في النظام الاجتماعي في الإسلام هو اعتماد البعد الإنساني والمعنوي، وليس البعد المصلحي فقط.

يبقى الانسجام الروحي بينك وبين صاحب العمل، بينك وبين الجار، بينك وبين الأقرباء، العلاقات قائمة على أُسس معنوية، هذه أهم خصوصية في الإسلام، الإنسان بُعده المعنوي هو الأصل وليس بُعده المادي، النظام الاجتماعي في الإسلام يعتمد على البُعد المعنوي، ولهذا لدينا في المجتمع الإسلامي مشاهد ومحافل هي غير موجودة في المجتمعات الغربية، اجتماعاتنا القائمة على أساس المحبة الإنسانية، مسألة تعميق الروابط الإيمانية، هذه أصل في بناء المجتمع الإسلامي، وتجدون هذا الأمر في الأدعية، حينما يقول: «اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات، الأحياء منهم والأموات، تابع اللهم

---

(١) أنظر: وسائل الشيعة14؛596؛5/19888.

بيننا وبينهم بالخيرات»[1]، لماذا هذا التعميم لجميع المؤمنين والمؤمنات، وللأحياء والأموات؟ لأن العلاقات بيننا قائمة على أساس معنوي، وعلى أساس إنساني وليس على أساس مصلحي.

هذا هو نظام العلاقات الاجتماعية في الإسلام، طبعاً هذه مفردة من مفرداته، أنا لا أتناول إلاّ مفردات بسيطة منه، ولا أستطيع أن أدخل في عمق ذلك، إن من أدعية الصباح والمساء أن تقول في كل صباح خمساً وعشرين مرة: «اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات»، هذا الذكر البسيط يقوي الوشائج بينك وبين المؤمنين، المجتمع يصير مجتمعاً قائماً على المحبة، العلاقات الإيمانية، أنا أريد اليوم أن أذكر لكم بعض الأحاديث في مسألة العلاقات بين المؤمنين.

ثواب العلاقات الاجتماعية:

الرواية التي يرويها الشيخ الكليني في كتاب الكافي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ، يقول: «المؤمن أخو المؤمن كالجسد الواحد إن اشتكى شيئاً منه وجد ألم ذلك في سائر جسده، وأرواحهما من روح واحدة، وإن روح المؤمن لأشد اتصالاً بروح الله من اتصال شعاع الشمس بها»[2].

الرواية الأخرى عن الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ تقول أيضاً: «إن الله عَزَّ وَجَلَّ خلق المؤمنين من طينة الجنان، وأجرى فيهم من ريح روحه، فلذلك هم إخوة لأب واحد، فإذا أصاب روحاً من تلك الأرواح في بلد من البلدان حزن حزنت هذه؛ لأنها منه»[3].

---

(١) إقبال الأعمال 40:3.

(٢) الكافي 1662/ باب أخوّة المؤمنين بعضهم لبعض/ ح 4.

(٣) الكافي 1662/ باب أخوّة المؤمنين بعضهم لبعض/ ح 2.

وقال رسول الله ﷺ: «حدّثني جبرئيل عليه السلام أن الله عزّ وجلّ أهبط إلى الأرض ملكاً، فأقبل ذلك الملك يمشي حتّى وقف على باب رجل يستأذن على صاحب الدار ـ رأى شاباً واقفاً بباب بيت يطرق الباب، هذا المشهد جديد على هذا الملك، واحد يطرق الباب، يبدو أوّل مرة ينزل للأرض ـ فوقف على باب رجل يستأذن على صاحب الدار ـ جاء الملك على صورة إنسان ـ وقال: ما حاجتك إلى ربّ هذه الدار؟ قال: أخ لي مسلم زرته في الله تبارك وتعالى ـعلاقة محبة ليس لي شغل معه ولا مصلحة ـ قال له الملك: ما جاء بك إلاّ ذلك؟ قال: ما جاء بي إلاّ ذلك، فقال الملك: إني رسول الله إليك، وهو يقرؤك السلام ـ الله يبلغك السلام ـ ويقول: وجبت لك الجنّة. إن الله عزّ وجلّ يقول: أيما مسلم زار مسلماً فليس إيّاه زار، إيّاي زار، وثوابه عليَّ الجنّة»(١).

حديث الإمام الصادق عليه السلام: «أيما ثلاثة مؤمنين اجتمعوا عند أخ يأمنون بوائقهُ، ولا يخافون غوائلهُ، ويرجون ما عنده، إن دعوا الله أجابهم، وإن سألوه أعطاهم، وإن استزادوه زادهم، وإن سكتوا ابتدأهم»(٢).

عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «إن المؤمنَين إذا التقيا وتصافحا أدخل الله يده بين أيديهما فصافح أشدهما حباً لصاحبه»(٣).

يقول الإمام الصادق عليه السلام: «ما اجتمع ثلاثة من المؤمنين فصاعداً إلاّ حضر من الملائكة مثلهم، فإن دعوا بخير أمّنوا، وإن استعاذوا من شر

(١) الكافي 1762/ باب زيارة الإخوان/ ح 2.
(٢) الكافي 1782/ باب زيارة الإخوان/ ح14.
(٣) الكافي 1792/ باب المصفحة/ ح 2.

دعوا الله ليصرفه عنهم، وإن سألوا حاجة تشفعوا إلى الله وسألوه قضاها»[١].

قصة المعلّى بن خُنيس:

هناك رواية للمعلّى بن خنيس، وله قصة في زمن الإمام الصادق عليه السلام، وهو من الرواة المختلف في حالهم، رحم الله علماءنا مثل الأردبيلي صاحب كتاب (جامع الرواة)، والسيد الخوئي صاحب كتاب (معجم رجال الحديث) يذكر قصة هذا الرجل المعلّى بن خُنيس، ولكن فقهاءنا متفقون على أن الإمام الصادق بعد شهادة المعلّى قال إنه دخل الجنّة، وقصة هذا الرجل أن الإمام الصادق عليه السلام أعطاه بعض المعلومات وقال له: «لا تذع علينا سراً، إنك إن أذعت علينا سراً تُقتل»، ويبدو أن هذا الرجل كان متحمساً جدّاً، أذاع سرَّ أهل البيت عليهم السلام. هذا الرجل التقى الإمام الصادق عليه السلام ذات مرّة كما يبدو أن ذلك في العراق، هذه الرواية التي يرويها الأردبيلي في كتاب (جامع الرواة)[٢]، ويرويها السيد الخوئي في كتابه (معجم رجال الحديث)[٣]، عن حفص الأبيض التمّار قال: دخلت على أبى عبد الله عليه السلام أيّام طلب المعلى بن خنيس، فقال لي: «يا حفص، إني أمرت المعلى فخالفني فابتلى بالحديد، إني نظرت إليه يوماً وهو كئيب حزين، فقلت: يا معلّى، كأنك ذكرت أهلك وعيالك، قال: أجل، قلت: ادن مني، فدنا مني، فمسحت وجهه، فقلت: أين تراك؟

---

(١) الكافي 187:2/ باب تذاكر الإخوان/ ح 6.

(٢) أنظر: ج 249:2.

(٣) أنظر: ج26:19.

فقال : إني في أهل بيتي ، وهو ذي زوجتي ، وهذا ولد ي. قال : فتركته حتّى تملأ منهم ، حتّى نال ما ينال الرجل من أهله ، ثمّ قلت : ادن مني، فدنا مني، فمسحت وجهه ، فقلت : أين تراك ؟ فقال : أراني معك في المدينة .
قال : قلت : يا معلّى ، إن لنا حديثاً من حفظه علينا حفظه الله على دينه و دنياه ، يا معلّى ، لا تكونوا أسراء في أيدي الناس بحديثنا إن شاءوا أمنوا عليكم و إن شاءوا قتلوكم ، يا معلّى إنه من كتم الصعب من حديثنا جعله نوراً بين عينيه ، وزوّده القوة في الناس ، ومن أذاع الصعب من حديثنا لم يمت حتّى يعضه السلاح أو يموت بخبل، يا معلّى أنت مقتول فاستعد».

ويقول إسماعيل بن جابر : كنت عند أبي عبد الله عليه السلام مجاوراً بمكّة ، فقال لي : يا إسماعيل، أخرج حتّى تأتي مرّاً وعسفان فتسأل هل حدث بالمدينة حدث ؟ قال : فخرجت حتّى أتيت مرّاً فلم ألق أحداً ، ثمّ مضيت حتّى أتيت عسفان فلم يلقني أحد ، فارتحلت من عسفان ، فلما خرجت منها لقيني عير تحمل زيتاً من عسفان، فقلت لهم : هل حدث بالمدينة حدث ؟ قالوا : لا، إلاّ قتل هذا العراقي الذي يقال له المعلّى بن خنيس . قال : فانصرفت إلى أبي عبد الله عليه السلام، فلما رآني قال لي : يا إسماعيل، قُتل المعلّى بن خنيس ؟ فقلت : نعم ، قال : أما والله لقد دخل الجنّة.

وفي رواية أنه لما أخذ داود بن علي ـ والي المدينة ـ المعلّى بن خنيس حبسه ، وأراد قتله ، فقال له معلّى بن خنيس : أخرجني إلى الناس ، فإن لي ديناً كثيراً ومالاً ، حتّى أشهد بذلك ، فأخرجه إلى السوق، فلما اجتمع الناس ، قال : يا أيها الناس أنا معلّى بن خنيس، فمن عرفني فقد

عرفني، اشهدوا أن ما تركت من مال ، من عين ، أو دين ، أو اَمة ، أو عبد أو دار، أو قليل ، أو كثير ، فهو لجعفر بن محمّد عليه السلام، فشدّ عليه صاحب شرطة داود فقتله، فلما بلغ ذلك أبا عبد الله عليه السلام خرج يجر ذيله حتّى دخل على داود بن علي ، وإسماعيل ابنه خلفه ، فقال : يا داود قتلت مولاي وأخذت مالي . فقال : ما أنا قتلته ولا أخذت مالك . فقال : والله لأدعونّ الله على من قتل مولاي وأخذ مالي . قال : ما قتلته، ولكن قتله صاحب شرطتي . فقال : بإذنك أو بغير إذنك؟ فقال: بغير إذني. فقال : يا إسماعيل شأنك به. قال : فخرج إسماعيل والسيف معه حتّى قتله في مجلسه.

قال الراوي: فلم يزل أبو عبد الله عليه السلام ليله ساجداً وقائماً، فسمعت في آخر الليل وهو ساجد ينادي: «اللهم إني أسألك بقوتك القوية وبمحالك الشديد، وبعزتك التي خلقك لها ذليل، أن تصلي على محمّد وآل محمّد، وأن تأخذه الساعة». قال: فوالله ما رفع رأسه من سجوده حتّى سمعنا الصايحة. فقالوا: مات داود بن علي. فقال أبو عبد الله عليه السلام: «إني دعوت عليه بدعوة بعث بها الله إليه ملكاً، فضرب رأسه بمرزبة انشقت منها مثانته»(١).

هذه قصة المعلّى ابن خُنيس.

حق المؤمن:

الشيخ الطوسي عنده روايات تؤيّد أن هذا الإنسان كان إنساناً صالحاً. له رواية مهمة جدّاً يسأل فيها الإمام الصادق عليه السلام عن حق المسلم على المسلم.

(١) أنظر: معجم رجال الحديث19: 261.

عن معلّى بن خنيس قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما حق المؤمن على المؤمن؟ قال: «سبع حقوق واجبات، ما منها حق إلاّ واجب عليه، إن خالفه خرج من ولاية الله، وترك طاعته، ولم يكن لله فيه نصيب». قال: قلت: حدّثني ما هن؟ فقال: «ويحك يا معلّى، إني عليك شفيق، أخشى أن تضيع ولا تحفظ، وأن تعلم ولا تعمل». قال: قلت: لا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم. قال عليه السلام: «أيسر حق منها أن تحب له ما تحب لنفسك، وتكره له ما تكره لنفسك، والحق الثاني أن تمشي في حاجته وتتبع رضاه ولا تخالف قوله، والحق الثالث أن تصله بنفسك ومالك ويديك ورجليك ولسانك، والحق الرابع أن تكون عينه ودليله ومرآته وقميصه، والحق الخامس أن لا تشبع ويجوع ولا تلبس ويعرى ولا تروى ويظمأ، والحق السادس أن يكون لك امرأة وخادم وليس لأخيك امرأة وخادم فتبعث بخادمك فتغسل ثيابه، وتصنع طعامه، وتمهد فراشه، فإن ذلك كله لما جعل بينك وبينه، والحق السابع أن تبر قسمه، وتجيب دعوته، وتشهد جنازته، وتعود مريضه، وتشخص ببدنك في قضاء حوائجه، ولا تلجئه إلى أن يسألك، فإذا حفظت ذلك منه فقد وصلت ولايتك بولايته وولايته بولايته تعالى»[1].

هذه سبع حقوق للمؤمنين نستفيدها من ليالي شهر رمضان المبارك في توطيد العلاقات الاجتماعية، وهي مفردة من مفردات النظام الاجتماعي في الإسلام.

والحمد لله رب العالمين

* * *

(١) أنظر: أمالي الطوسي:98/3/149.

المحاضرة السابعة والثلاثون:

أسس العلاقات الاجتماعية في الإسلام

«اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرا ، اجْزِهِمَا بِالْإِحْسَانِ إِحْسَاناً ، وَبِالسَّيِّئَاتِ غُفْرَانا».

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه الليلة لنا حديثان: حديث في علم الاجتماع، وحديث ديني وفقهي، وذلك ارتباطاً بقوله في الدعاء: «اللهم اغفر لي ولوالديَّ»، هذا الموضوع _ العلاقة بين الولد والوالدين _ له ارتباط ببحث في علم الاجتماع، وارتباط ببحث فقهي.

دوافع تشكيل الكيان الاجتماعي:

يقول علماء الاجتماع: إن الكيان الاجتماعي يعتمد في تشكيله على ثلاثة دوافع: الدوافع الذاتية، ثمّ الدوافع المصلحية، ثمّ الدوافع الأخلاقية.

لنضرب لذلك مثالاً: الأُسرة التي هي عبارة عن مجتمع مصغّر من أربعة أو خمسة أفراد، هذه الأُسرة لا تتشكل إلاّ بعد توفر ثلاثة أنواع من الدوافع، وهي:

1 _ الدوافع الغريزية الذاتية، مثل غريزة علاقة الرجل بالمرأة، والإبن بالأب، والابن بالأُمّ، والأُمّ بالأولاد، هذه علاقات غريزية ودوافع ذاتية، المرأة تريد طفل، الطفل يحب اُمّه وأباه، هذه دوافع نسميها دوافع غريزية ذاتية، وإذا لم يكن لدى الإنسان دوافع غريزية كي يرتبط في حياته بالجنس الآخر رجل بامرأة وامرأة برجل، فإنه لا تتشكل اُسرة، الله تعالى يقول: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾[1]، هذه الروابط الغريزية هي ألف باء تكوين الأُسرة.

---

(١) الروم:21.

2 _ الدوافع المصلحية، فإن الرجل لديه مصلحة في أن يكون لديه بيت وربّة بيت، والمرأة أيضاً عندها مصلحة أن يكون لديها رجل يؤويها ويظلّها ويحميها ويرعاها وما شاكل ذلك، الأولاد لهم مصلحة في العلاقة مع الأبوين، الابن حينما هو صغير مصلحته تقتضي أن يرتبط بأبيه، وإلاّ فإنه يضيع، والطفل الصغير الرضيع عنده مصلحة أن يرتبط بأُمّه، وإذا أُمّه غير موجودة فمَن يغذيه؟ هذه بقطع النظر عن الغريزية، هذه مصلحية وروابط ودوافع مصلحية، الابن محتاج إلى أبيه وحتّى إذا لم يكن يحبه، الأب أيضاً محتاج إلى أولاده، محتاج إلى أُسرة، حتّى إذا كانت الدوافع الغريزية مفقودة، لكن هناك مصالح تفرضها، هذه نسميها الدوافع المصلحية.

3 _ الدوافع الأخلاقية، وهي بقطع النظر عن الحالة الغريزية والحالة المصلحية يوجد سنخ روابط وحبل أخلاقي بين الأبوين والأولاد، بين الزوج والزوجة، هذه روابط أخلاقية مؤلّفة من محبة وحنان ورقة قلب وشوق، وأُنس وأُلفة، هذه غير دافع الغريزة وغير الدوافع المصلحية، وربما تكون المصالح مفقودة، لكن يوجد روابط أخلاقية، حنان قلبي، وهكذا الأُمّ ممكن ابنها لا يخدمها، لكن هي تبقى عندها روابط أخلاقية مع هذا الإبن، البنت مع أُمّها، وهكذا هذه الأُسرة التي هي عبارة عن خلية اجتماعية لا تتشكل بدون هذه الروابط الثلاثة الغريزية، المصلحية، الأخلاقية.

المدرسة التي تدرسون فيها لا تتكون بدون وجود ثلاث أركان: دوافع ذاتية، ثمّ دوافع مصلحية، ثمّ دوافع أخلاقية.

الأوّل: الدوافع الذاتية، وهي الحب الذاتي للعلم والتعلم، وإذا كانت هذه المحبة غير موجودة فإن الإنسان لا يذهب إلى المدرسة، يغيب عن الدرس، لا يرغب في الصف والمدرّس، هؤلاء الطلاب لا يرغبون في الدرس ولا يرغبون في المدرسة، هذه الدوافع الغريزية مفقودة، إذا كانت مفقودة لا يتحقق تعليم وتعلّم، حتّى إذا ذهب الطالب للصف فإنه لا يحصّل فائدة، يحضر بجسمه، أما روحه فهي في غير مكان.

الثاني: الدوافع المصلحية، فهذا الإنسان مصلحته أن يتعلم، وغداً فرص العمل أمامه مفتوحة، مصلحته أن يدرس بقطع النظر عن الحالة الغريزية، كثيرون ليس لديهم اندفاع ذاتي للعلم، لكن مصلحتهم أن يدرسوا لكي تُفتح لهم فرص العمل، هذه هي الدوافع المصلحية.

الثالث: الدوافع الأخلاقية، التي تربط بين الطالب والعلم والكتاب وباقي الزملاء، فلولا هذه الأصول والروابط لانهار بناء المدرسة.

نرجع إلى المجتمع كما هو في علم الاجتماع، المجتمع يتقوّم ويعتمد على أركان ثلاثة، يعني ثلاثة أعمدة:

العمود الأوّل: دوافع غريزية، الإنسان اجتماعي بالطبع، يعني الطبيعة الاجتماعية لدى الإنسان، هذه قضية غريزية سواء كانت هناك مصلحة أم لا، الإنسان ذاتياً مدفوع لكي يعيش في مجتمع، هذا هو العمود الأوّل لتكوّن المجتمع.

العمود الثاني لتكوّن المجتمع: الدوافع المصلحية، الإنسان بدون مجتمع لا يستطيع أن يعيش، بدون كاسب وبدون عامل بناء وبدون

موظف بلدية وبدون مدرسة وبدون طبيب وسائق تكسي، وما شاكل ذلك، الإنسان لا يستطيع أن يعيش وحده، حياة الإنسان تحتاج مئات الخدمات التي يقدمها الآخرون، والدوافع المصلحية تفرض على الإنسان أن يعيش في مجتمع، الإنسان في المجتمع يحتاج إلى تسعين بالمئة من الخدمات التي يوفرها غيره، وعشرة بالمئة هو الذي يوفرها شخصياً، هذه الدوافع المصلحية.

العمود الثالث هو: الدوافع الأخلاقية، وهذا هو الذي تهتم به المناهج التربوية في المدارس، وهو ما يمسى بـ(التربية الوطنية)، التربية الوطنية تعني أن الإنسان يحتاج إلى روابط أخلاقية تربطه بالمجتمع.

هذه العوامل الثلاثة: ذاتية، ومصلحية، وأخلاقية يتقوم بها المجتمع ويعتمد عليها، هذا شيء ثابت في علم الاجتماع، والمجتمعات اليوم كلما تضعف في واحد من هذه الجوانب كلما الكيان الاجتماعي يكون متهرئاً، إذا صارت الروابط الأخلاقية ضعيفة تفوقت الأهداف المصلحية، وذلك يعني أن كل واحد يعيش بروحه حسب مصالحه، تلك المجتمعات مجتمعات مفككة، ليس فيها تلك العلاقات التي تجعل الإنسان مستعداً للدفاع عن مجتمعه، عن قِيَمه، عن تاريخه.

الدوافع الدينية:

جاء الإسلام وقام بعملية تطور نوعي، الدوافع الذاتية موجودة في الإنسان ذاتياً، والدوافع المصلحية هو مضطر لها، والدوافع الأخلاقية أيضاً هي بدرجة نسبيّة موجودة فطرياً في الإنسان، الأُلفة والمحبة والإحسان والعدل وكظم الغيظ وما شاكل ذلك، لكن جاء الإسلام

بعملية تطوير نوعي، فقام بعملية تقنين هذه الدوافع ووضعها ضمن قانون، وبهذا سوف يختلف النظام الاجتماعي في الإسلام بين الإنسان وبين الحيوان، فالحيوان لديه أيضاً دوافع غريزية ومصلحيّة وأخلاقية، لكنها لا تخضع لقانون إرادي.

جاء الإسلام وصنع قانوناً لتنظيم الدوافع الغريزية، وقانوناً لتنظيم الدوافع المصلحية، وقانوناً لتنظيم الدوافع الأخلاقية، وهنا صار عندنا حلال وحرام وواجب، من أين جاء الحلال والحرام؟ الحلال والحرام والواجب والمكروه والمستحب هو قانون وضعه الإسلام لتنظيم الدوافع الغريزية في الأكل، والجنس، والنوم، والسياحة، وما شاكل ذلك، جاء الإسلام فوضع قوانين وآداباً للطعام، وآداباً للجنس، وآداباً للعلاقات الاجتماعية، رغم أنها جميعاً تملك جذوراً عميقة في ذات الإنسان.

لكن جاء الإسلام وقننها، فقال: الظلم حرام، والصدق واجب، والغش حرام، والكذب حرام، والسرقة حرام، الصلة واجبة، التزاور بين المؤمنين واجب، ووضع قانون لتنظيم الروبط الأخلاقية، وهكذا حقق الإسلام ربطاً عجيباً فيما هي قضايا عبادية وما هي قضايا اجتماعية.

العلاقة بين الله والإنسان:

أقرأ لكم رواية جميلة جدّاً عن النبي ﷺ قال: «إن الله تعالى يقول: يا بن آدم، مرضت فلم تعدني. قال: يا رب، كيف أعودك وأنت رب العالمين! قال: مرض فلان عبدي، ولو عدته لوجدتني عنده، واستسقيتك فلم تسقني. قال: يا رب كيف وأنت رب العالمين! قال: استسقاك عبدي فلان، ولو سقيته لوجدت ذلك عندي، واستطعمتك فلم

تطعمني. قال: يا رب، كيف وأنت رب العالمين! قال: استطعمك عبدي، ولو أطعمته لوجدت ذلك عندي»[١].

يقول الله: فلان طلب منك ماءً واستسقاك فلم تسقه، ألم تعلم أنك لو سقيته لوجدتني عنده؟

أُنظروا إلى الربط بين العلاقات الاجتماعية وبين العلاقات الإلهية، أطعم إنساناً تُطعم الله، اسق إنساناً تَسقي الله، زُر إنساناً تزر الله، هذه هي روعة الإسلام، روعة في تنظيم العلاقات بين البشر وبين الله تعالى، وهذه لا بدَّ أن ندرسها من منطلقات علم الاجتماع في الإسلام والنظام الاجتماعي في الإسلام، كيف نظمها الإسلام فصار عندنا قانون تنظيم الدوافع الغريزية والمصلحية والأخلاقية.

أقسام القانون الإسلامي:

هذا القانون الذي هو عبارة عن واجبات ومحرمات ينقسم إلى خمسة أقسام:

القسم الأوّل: واجبات عقائدية، مثل الاعتقاد بالله والاعتقاد بالنبي، ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾[٢].

القسم الثاني: واجبات عبادية، وهي الأعمال التي تتعبد وتتقرب بها إلى الله، مثل الصلاة، والصوم، فهذه واجبات عبادية، يعني أنها مظهر من مظاهر العبودية لله.

القسم الثالث: واجبات مالية، مثل وجوب الزكاة والخمس من

(١) أمالي الطوسي:630/1296/9.

(٢) النساء:136.

أموال الإنسان الفائض عن مؤنته، هذا يجب أن يعطيه للفقراء والضعفاء وشؤون الدولة، الزكاة أيضاً كذلك لها نظام، في الغَلاّت، في الذهب والفضة، ولها نصاب معين، هذه حقوق وواجبات مالية.

طبعاً في مقابل كل هذه الحقوق والواجبات يوجد محرّمات عقائدية، وعبادية، ومالية.

القسم الرابع: واجبات سياسية، إطاعة ولي الأمر، انتخاب الأصلح، التشاور في الأمر السياسي، ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورى بَيْنَهُمْ﴾(١).

هذه مجموعة أمور ممكن نرتبها في سلسلة بحوث اسمها الواجبات السياسية في الإسلام.

طبعاً _ مع الأسف _ كانت الثقافة الإسلاميّة ملاحقة من قِبَل الحكومات الجائرة، ولهذا لم يُسمح لعلمائنا أن يكتبوا شيئاً في هذه الأمور.

هذه في الحقيقة معارف ضخمة يجب أن يمتلئ الشارع بها، وكل واحد منكم حينما يُسأل: ما هي الواجبات السياسية؟ يجب أن يعرفها، ما هي الواجبات المالية؟ ما هي الواجبات العقائدية؟ ما هي الواجبات الاجتماعية؟

القسم الخامس: واجبات اجتماعية، وهي الواجبات التي تُنظِّم علاقة الإنسان مع المجتمع.

قلنا: إن الإسلام جاء ونظمها ووضع فيها حلالاً وحراماً وواجباً ومستحباً ومكروهاً، فهناك واجبات اجتماعية، وبالمقابل هناك محرمات اجتماعية.

---

(١) الشورى:38.

الواجبات الاجتماعية مثلاً: النصيحة للمؤمنين، التزاور بين المؤمنين، نصرة المؤمنين، إنقاذ الضعفاء والمحرومين، المحبة بين المؤمنين، حسن الظن بالآخرين، الزواج فيما بين المؤمنين، هذه واجبات اجتماعية، طبعاً قد تكون بمستوى استحباب، وقد تكون بمستوى وجوب، العلاقات مع الجيران قد تكون بمستوى الوجوب، وقد تكون بمستوى المستحب، صلة الرحم كذلك.

منظومة الواجبات الإسلاميّة:

وهذه كلها ندخلها في منظومة اسمها (منظومة الواجبات الاجتماعية في الإسلام)، طبعاً أنت حينما تبحث الآن في الكتب لا تجد كتاباً بهذا الاسم (الواجبات الاجتماعية في الإسلام)، لكن تجدها متناثرة في كتب الأخلاق وكتب الحديث، والحال هي منظومات خمسة:

1 _ منظومة الواجبات الاعتقادية.

2 _ منظومة الواجبات العبادية.

3 _ منظومة الواجبات السياسية.

4 _ منظومة الواجبات المالية.

5 _ منظومة الواجبات الاجتماعية، وهي متناثرة في كتب علم الأخلاق.

برّ الوالدين:

أوّل واجب من تلك الواجبات الاجتماعية هو البر بالوالدين، هنا نكتشف رؤية إسلاميّة، حيث إن أوّل أمر في الواجبات العقائدية هو التوحيد، وأوّل أمر في الواجبات الاجتماعية هو البر بالوالدين، يعني من الله إلى الوالدين، وهذا يتكرر في القران الكريم في أكثر من مرة

﴿وَقَضى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً﴾[1]، هذا واجب عقائدي وواجب اجتماعي.

أوّل واجب من الواجبات الاجتماعية هو البر بالوالدين، وهو أمر مذكور في كتبنا تحت عنوان (الأخلاق)، رغم أنه يمثل أصلاً من أصول بناء المجتمع الإسلامي، كما أن التوحيد هو أصل من أصول بناء الثقافة الإسلاميّة كذلك بر الوالدين هو أصل من أصول بناء المجتمع الإسلامي، في بعض الدول الغربية المعاصرة أصبحت الدولة بمكان الأبوين، وأصبحت الدولة هي الأب الحقيقي للطفل؛ لأن حقوق الطفل من الدولة، والغرفة من الدولة، والملابس من الدولة، والتعليم من الدولة، والصحة من الدولة، والوظيفة من الدولة، وليس الأب إلاّ مجرد واسطة مؤقتة، وهكذا ضَعُفت العلاقة مع الأُمّ، وأصبحت دور الحضانة والروضات هي الأُمّ الحقيقية، والابن هناك يعرف الحاضنة أكثر مما يعرف أُمّه.

وتطور الأمر إلى أن أصبح الكلب بدل الابن، هناك الرجل أو المرأة يذهب ليشتري كلباً، وأضحى الكلب أعزّ من الابن، الابن فيه بليّة ومشكلة ويجب أن تُربيه، بينما الكلب ليس فيه مشكلة.

قرأت في بعض التقارير الخبرية أن عاصمة الصين (بكين) ذات الخمسة عشر مليون نسمة _ بحسب طبيعة التنظيم السكاني رغم أن نفوس الصين فاقت مليار ونصف _ يقول التقرير: بعد انفتاح الصين على

---

(١) الإسراء:23.

الغرب كان نتيجة هذا الانفتاح عدة أمور: أحدها: أنه يوجد في بكين ذات الخمسة عشر مليون إنساناً يوجد مليون كلب مدلّل _ هذا فيما عدا الكلاب السائبة _.

راتب ومصرفات الواحد من هذه الكلاب المدللة (125) دولار شهرياً، وهذا هو متوسط الراتب في العراق لصاحب العائلة الذي لديه خمسة أطفال إلى عشرة.

الصين أصبحت لديها مشكلة اقتصادية من جرّاء ذلك؛ لأن مجموع النفقات التي تحتاجها هذه الكلاب في (بكين) وحدها شهرياً هو عبارة عن مائة وخمس وعشرين مليون دولار!!

ذكرْتُ هذا كحقائق من الواقع المعاصر، الغرب له نمط خاص في حياته. أمّا الإسلام فإنه يبني المجتمع الإنساني على نمط آخر.

وقد قلنا: إن أوّل ركن في بناء المجتمع الإنساني على الطريقة الإسلاميّة هو العلاقات بين الأبوين والأولاد، وهي العلاقة القائمة على البر والإحسان كما قال تعالى: ﴿وَقَضى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً﴾(١) هذه القضية يطوّرها الإسلام من حالة ذاتية مصلحية إلى خُلُق رفيع، ثمّ إلى وجدان، ثمّ إلى شريعة ونظام تكاملي لحياة الإنسان في الدنيا والآخرة.

يوجد خط أحمر في العلاقة بين الوالدين والأبناء، ألا وهو الطاعة لغير الله، قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ جاهَداكَ عَلى أَنْ تُشْرِكَ بِي ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُما وَصاحِبْهُما فِي الدُّنْيا مَعْرُوفاً﴾(٢).

---

(١) الإسراء:23.

(٢) لقمان:15.

القرآن يقول: ﴿وَبِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً﴾(١)، ﴿وَبَرّاً بِوالِدَتِي﴾(٢)، ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوالِدَيْكَ﴾(٣)، الواجب هو البر والإحسان والشكر لهما، هذا هو الواجب، أما الطاعة فهي لون من ألوان البر، أصل الواجب أن تكون محسناً لهما، بارّاً بهما، فإذا أمراك بمنكر لا يجب عليك الطاعة، وإذا أمراك بطاعة غير الله لا يجب الطاعة، ورغم ذلك فإنه يجب معاملتهما بالمعروف. ولكن ليس لك حق أن تستغفر لهما، الاستغفار هنا غير جائز، لا يجوز أن يستغفر الإنسان لأبويه المشركَين وهما متمردان على الله تعالى.

تفسير استغفار إبراهيم عليه السلام لأبيه:

وهنا يأتي قوله تعالى: ﴿وَما كانَ اسْتِغْفارُ إِبْراهِيمَ لِأَبِيهِ إِلاَّ عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَها إِيَّاهُ﴾(٤)، هنا أيضاً أقف معكم في فسحة تاريخية جميلة، حيث القرآن هكذا يقول: ﴿وَإِذْ قالَ إِبْراهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْناماً آلِهَةً إِنِّي أَراكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾(٥)، هنا سوف نواجه سؤالاً: هل كان أبو إبراهيم مشركاً؟ علماء الشيعة بالخصوص يقولون: إن آباء الأنبياء لا يكونون مشركين، إذن كيف يقول القرآن: ﴿وَإِذْ قالَ إِبْراهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْناماً﴾؟ علماؤنا يقولون: إن آزر هو عمّ إبراهيم وليس أباً له، أمّا أبو إبراهيم فاسمه تارخ، في اللغة العربية يوجد سعة في الاستعمال، وعلماء الشيعة يستدلون على ذلك بدليلين:

(١) الإسراء:23.
(٢) مريم:32.
(٣) لقمان:14.
(٤) التوبة114.
(٥) الأنعام:74.

الدليل الأوّل: قوله تعالى: ﴿الَّذِي يَراكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾(١)، التي تفيد أن النبي ﷺ جاء من سلاسة وأصلاب أبويّة طاهرة لا يقربها الشرك، ولا يمكن أن يكون أب في سلسلة آباء الأنبياء مشركاً، ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ ﴾ تعني أنك تتقلب في أصلاب الرجال وأرحام الأُمّهات وكلهم ساجدون لله ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾، إذن ليس عندنا واحد من آباء الأنبياء مشركاً.

الدليل الثاني: القرآن الكريم هكذا يقول على لسان أولاد يعقوب لمّا جمعهم: ﴿قالَ لِبَنِيهِ ما تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قالُوا نَعْبُدُ إِلهَكَ وَإِلهَ آبائِكَ إِبْراهِيمَ وَإِسْماعِيلَ وَإِسْحاقَ﴾(٢)، كان يعقوب لديه أحد عشر ولداً قد جمعهم وقال: ماذا تعبدون من بعدي؟ وإذا عرفنا أن إسماعيل ليس أباً ليعقوب، إسماعيل هو عم يعقوب، وأبو يعقوب إسحاق، بينما الآية تقول: ﴿نَعْبُدُ إِلهَكَ وَإِلهَ آبائِكَ ﴾، حيث أطلق على العم _ وهو إسماعيل _ كلمة أب، ولهذا القرآن حينما يقول أيضاً: ﴿وَإِذْ قالَ إِبْراهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ﴾ يعني لعمه آزر.

الاستغفار للأب إذا كان مشركاً لا يجوز، ربما لأن الاستغفار أحد الأمور التي تكفّر السيئات، بينما الشرك لا يُغتفر.

فضل البرّ:

قال رسول الله ﷺ: «إن لله ملكَين يناجي أحدهما الآخر، يقول أحدهما: اللهم احفظ البارّين بعصمتك _ هذا يدعو للأبناء البارّين بآبائهم _ ويقول الثاني: اللهم أهلك العاقّين بغضبك»(٣).

---

(١) الشعراء: 218 و219.

(٢) البقرة: 133.

(٣) مستدرك الوسائل: 15/ 176/ 17917/14.

وقال ﷺ: «برّ الوالدين يزيد في العمر»[١].

لاحظوا الإسلام كيف يطوّر الدوافع الغريزية حين تقول الرواية عن رسول الله ﷺ: «من قبّل ولده كتب الله ﷻ له حسنة»[٢].

وتقول الرواية أيضاً عنه ﷺ: «ما ولدٌ بارّ نظر إلى أبويه برحمة إلاّ كان له بكل نظرة حجة مبرورة»، فقالوا: يا رسول الله، وإن نظر في كل يوم مائة نظرة؟ قال: «نعم، الله أكبر وأطيب»[٣].

البر بالوالدين هو أوّل ركن من أركان الواجبات الاجتماعية في الإسلام.

ولهذا نقرأ في دعاء أبي حمزة الثمالي مرةً يقول: «اللهم اغفر لي ولوالدي»، ومرة يقول: «اللهم إني أسألك قرة العين في الأهل والمال والولد»، ولنجعل ذلك في محاضرة أخرى عن قرة العين.

والحمد لله رب العالمين

* * *

---

(١) كنز العمال16: 466/ ح45475.

(٢) الكافي 6: 49/ باب برّ الأولاد/ ح 1.

(٣) بحار الأنوار71: 73.

المحاضرة الثامنة والثلاثون:

عوامل الستر الإلهي

«وَاغْفِرْ لِي مَا خَفِيَ عَلَى الآدَمِيِّينَ مِنْ عَمَلِي ، وَأَدِمْ لِي مَا بِهِ سَتَرْتَنِي».

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه الليلة حديثنا عن العلاقات المتبادلة بين الله وبين الإنسان، هذا الموضوع ندرسه في هذا المقطع من الدعاء: « وَاغْفِرْ لِي مَا خَفِيَ عَلَى الآدَمِيِّينَ مِنْ عَمَلِي وَأَدِمْ لِي مَا بِهِ سَتَرْتَنِي » هذا هو مقطع الحديث الذي نريد أن نقف عنده، لاحظوا أيها المؤمنون، إن الإنسان في الدنيا يعيش في مخاطر تحفّه من كل جانب، وهكذا في الآخرة، ومخاطر الآخرة أشد من مخاطر الدنيا، لكن الإنسان في غفلة عن هذه المخاطر، نحن لا ننام في ليلة من الليالي إلاّ ونحن لا ندري هل نستيقظ غداً صباحاً أو لا نستيقظ؟ وهكذا إلى أن يموت هو في مخاطر عن يمينه وعن شماله، من أمامه ومن خلفه، ومن فوقه ومن تحته، وفي كل يوم وفي كل ساعة وفي كل لحظة.

الستر الإلهي:

نحن في عمق هذه المخاطر، الله هو الساتر علينا، ستر الله هو المحيط بنا.

أهوال الآخرة أكثر، أهوال القبر، وأهوال الحشر والنشر، هناك المخاطر والشدائد، ليس عندنا قدرة في مواجهتها، ولهذا فإن الدعاء يقول: «وأدم لي ما به سترتني»، الدين منهجه التذكير، الأنبياء والدين دائماً يُذكّر الإنسان، أيها الإنسان لا تكن غافلاً، لا تكن من الغافلين، «الناس نيام، فإذا ماتوا انتبهوا»[1].

---

(١) عيون المواعظ والحكم:66.

ولهذا تجدون في الأدعية تذكيراً بالستر الإلهي، وهذا ما نقرؤه في دعاء أبي حمزة الثمالي، «وأدم لي ما به سترتني».

الستر الإلهي على نوعين:

1 _ ستر المخاطر.

2 _ ستر الفضائح والقبائح.

«كم من قبيح سترته، وكم من فادح من البلاء أقلته، وكم من عثار وقيته، وكم من مكروه دفعته، وكم من ثناءٍ جميل لست أهلاً له نشرته»[(١)].

قانون اللطف الإلهي:

حديثنا هذه الليلة عن الستر الإلهي.

الستر الإلهي هو صورة من صور اللطف الإلهي بالإنسان.

هناك لطفان لله تبارك وتعالى: لطفٌ ابتدائي، مثل: ﴿الرَّحْمنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الإِنْسانَ * عَلَّمَهُ الْبَيانَ﴾[(٢)]، هذا لطف ابتدائي، الله خلق الإنسان ابتداءً وعلّمه النطق، ذاك لطف ابتدائي من الله تعالى، ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى * وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدى * وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعى * فَجَعَلَهُ غُثاءً أَحْوى﴾[(٣)]، هذا نسميه لطف ابتدائي.

القدرة التي أعطانا الله تعالى إيّاها لطف ابتدائي، العافية من الله تعالى لطف ابتدائي، الفكر لطف ابتدائي، الإيمان لطف ابتدائي، هذه نسميها ألطاف ابتدائية.

---

(١) من دعاء لأمير المؤمنين عليه السلام المعروف بـ(دعاء كميل). أنظر: مصباح المتهجد: 845/910/25.

(٢) الرحمن: 1 ـ 4.

(٣) الأعلى: 2 ـ 5.

اللطف الابتدائي واللطف المشروط:

لكن هناك ألطاف مشروطة، ذلك لطف ابتدائي مطلق غير مشروط، وهناك ألطاف مشروطة، مثل: ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ﴾(١)، النصر لطف من الله تعالى، لكنه مشروط، فإذا لم تنصروا الله فإنه لا ينصركم، هذا اللطف نسميه لطف مشروط وليس لطفاً ابتدائياً.

وهكذا ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾(٢)، يعني إذا لم تذكروني لا أذكركم، هذا اللطف نسميه لطف مشروط.

وهكذا ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾(٣)، الاستجابة لطف من الله تعالى، لكنها مشروطة بالدعاء، إذا لم تدعُ الله تعالى لا يعطيك.

وكذلك المحبة من الله، فهي لطف مشروط ، ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾(٤)، لطف المحبة من الله مشروط، والشرط هو اتّباع النبي ﴿فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾، هذا نسميه لطف مشروط.

حينئذٍ نأتي للستر الإلهي في قوله: «وأدم لي ما به سترتني»، هذا الستر الإلهي هل هو لطف ابتدائي، أو هو لطف مشروط؟

الجواب: أن أصل الستر هو لطف ابتدائي، الله ستر علينا منذ كنّا في أصلاب الرجال وأرحام الأمهات، ومنذ كنّا أجنّة في بطون اُمّهاتنا وإلى أن أولدتنا اُمّهاتنا وكنّا صغاراً لم يكن لنا حول ولا قوة، هذا اللطف ابتدائي.

---

(١) محمّد: 7.

(٢) البقرة: 152.

(٣) غافر: 60.

(٤) آل عمران: 31.

الله تعالى علّم الإنسان ما لم يعلم، أصل الستر هو من الله تعالى لطف ابتدائي، لكن ديمومة الستر علينا هذا لطف مشروط، الله تعالى يريد من العباد أموراً وعناصر وعوامل نسميها عوامل ديمومة الستر ونبتعد عن عوامل هي سبب لهتك الستر.

دعاء الرسول ﷺ في سجوده:

أنا كنت أقرأ في أدعية شهر شعبان دعاءاً أوقفني، ولحد الآن هذا الدعاء أخذ مأخذه من قلبي، دعاء رسول الله ﷺ في سجدتين:

السجدة الأولى يقول: «سجد لك سوادي وجناني، وآمن بك فؤادي، هذه يداي وما جنيت بهما على نفسي، يا عظيم يرجى لكل عظيم، اغفر لي الذنب العظيم، فإنه لا يغفر الذنب العظيم إلاّ العظيم»، هذه السجدة الأولى.

ثمّ السجدة الثانية لرسول الله ﷺ يقول فيها: «إلهي أعوذ بنور وجهك الذي أضاء له السماوات والأرضون، وتكشفت له الظلمات، وصلح عليه أمر الأوّلين والآخرين من فجأة نقمتك ومن تحويل عافيتك ومن زوال نعمتك، اللهم ارزقني قلباً تقياً نقياً، من الشرك بريئاً، لا كافراً ولا شقياً»[1].

يجب أن نخاف فجأة النقمة الإلهية، حتّى لو كان نبياً يجب أن يخاف من فجأة النقمة.

نبي الله يونس رأى نفسه في بطن الحوت، كيف حدث هذا؟ يونس بعد العز، وإذا به نُسي ولا يذكره أحد لولا أن أدركه الله.

---

(١) فضائل الأشهر الثلاثة:44/62.

«من فجأة نقمتك»، تأتي النقمة مفاجأة.

«ومن تحويل عافيتك»، العافية قد تغادر الإنسان وتذهب ولا ترجع.

«ومن زوال نعمتك».

هذه ثلاثة أشياء النبي يستعيذ بالله تعالى منها، «من فجأة نقمتك، ومن تحويل عافيتك، ومن زوال نعمتك».

إن ديمومة الستر من الله تعالى هي لطف مشروط يحتاج إلى أمور يجب أن يعملها الإنسان حتّى يدوم له الستر، ولهذا الإمام يقول: «وأدم لي ما به سترتني»، أي: أدم لي تلك العناصر والعوامل التي كانت سبب الستر.

عوامل دوام الستر الإلهي:

أنا الليلة أريد أن أقف على بعض عوامل ديمومة الستر الإلهي، هذه نسميها علاقات متبادلة، الستر من العلاقات المتبادلة، من الألطاف المشروطة.

ما هي عوامل ديمومة الستر؟

الرواية تقول: إن أُمّ سَلَمة سمعت النبي ﷺ يقول في دعائه: «اللهم ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين أبداً»، فسألته في ذلك، فقال ﷺ: «يا أُمّ سَلَمة، وما يؤمنني، وإنما وكل الله يونس بن متى إلى نفسه طرفة عين، فكان منه ما كان»[(١)].

ولهذا كان النبي ﷺ يقول: «اللهم لا تكلني إلى نفسي طرفة عين أبداً»[(٢)].

---

(١) بحار الأنوار38414.

(٢) مناقب آل أبي طالب 52:1.

هناك مجموعة عوامل لديمومة الستر:

العامل الأوّل: التوبة:

بهذا الخصوص أقرأ لكم رواية يرويها العلامة الكليني في كتابه الكافي عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «إذا تاب العبد توبةً نصوحاً أحبّه الله فستر عليه في الدنيا والآخرة».

قيل: وكيف يستر عليه؟

قال: «ينسي مَلَكيه ما كتبا عليه من الذنوب، ويوحي إلى جوارحه اكتمي عليه ذنوبه، ويوحي إلى بقاع الأرض اكتمي ما كان يعمل عليك من الذنوب، فيلقي الله حين يلقاه وليس شيء يشهد عليه بشيء من الذنوب» [١]. ولكن الأعجب من ذلك أن الذنوب يحوّلها الله تعالى إلى حسنات، ﴿أُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾[٢]، وهذا هو معنى «خير الساترين».

العامل الثاني: الاستغفار:

الرواية الثانية التي يرويها الشيخ الكليني في كتابه الكافي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «العبد المؤمن إذا أذنب ذنباً أجّله الله سبع ساعات، فإن استغفر الله لم يكتب عليه، وإن مضت الساعات ولم يستغفر كُتِبت عليه سيئة، وإن المؤمن ليذكر ذنبه بعد عشرين سنة فيستغفر ربه فيغفر له، وإن الكافر لينساه من ساعته»[٣].

هذا هو العامل الثاني من عوامل ديمومة الستر.

---

(١) الكافي 2:431/ باب التوبة/ ح 1.

(٢) الفرقان:70.

(٣) الكافي 2:437/ باب الاستغفار من الذنب/ ح 3.

العامل الثالث: صلاح الأبوين:

العامل الثالث من ديمومة الستر هو صلاح الأب، فلعلَّ هذا الإنسان غير صالح، لكن الله تعالى بلطفه وكرمه وبسبب صلاح الأب يستر عليه كما جاء في قصة الغلامين مع الخضر، ﴿وَكانَ أَبوهُما صالِحاً فَأَرادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغا أَشُدَّهُما وَيَسْتَخْرِجا كَنزَهُما﴾، في قصة الخضر حينما بنى الجدار للغلامين فسأله موسى عن السبب، فقال: ﴿وَأَمَّا الْجِدارُ فَكانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُما وَكانَ أَبوهُما صالِحاً فَأَرادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغا أَشُدَّهُما وَيَسْتَخْرِجا كَنزَهُما﴾[(١)]، الخضر جاء وأصلح الجدار ليبقى مدة عشرين سنة إلى أن يبلغ هذان اليتيمان، وحينها يقع الجدار ويرون الكنز.

لأجل صلاح الأب كان هذا الستر على الغلامين.

العامل الرابع: الصدقة:

الصدقة أحد عوامل ديمومة الستر المشروط، كما قلنا، وليس الستر الابتدائي.

قال رسول الله ﷺ: «أرض القيامة نار، ما خلا ظل المؤمن، فإن صدقته تظله»[(٢)].

أيضاً الرواية عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «من تصدق في شهر رمضان بصدقة، صرف الله عنه سبعين نوعاً من البلاء»[(٣)].

---

(١) الكهف:82.

(٢) الكافي 4: 3/ باب فضل الصدقة/ ح 6.

(٣) ثواب الأعمال:142.

أيضاً عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «صدقة العلانية تدفع سبعين نوعاً من البلاء، وصدقة السر _ التي لا يعلم بها أحد _ تطفئ غضب الرب»[١].

جاء في الحديث: «إذا خرج المرء من منزله عرض له الشيطان أنواع البلاء، فإذا قال: بسم الله، قال المَلكان: كفيت.

فإذا قال: آمنت بالله، قال الملكان: هُديت.

فإذا قال: توكلت على الله، قال المَلكان: وُقيت.

فيتنحى الشيطان، فيقول الشياطين بعضهم لبعض: كيف لنا بمن هُدي وكُفي ووُقي»[٢].

الحقيقة أن الهدف من هذه المحاضرات هو التربية، لأن المحاضرات على عدة أنواع:

النوع الأوّل: نسميها المحاضرة التربوية الشعبية، مثل هذه المحاضرات.

النوع الثاني: المحاضرة الحوزوية التي نعطيها للحوزة.

النوع الثالث: المحاضرة العلمية التي نعطيها للجامعة.

النوع الرابع: المحاضرة السياسية الدينية التي نعطيها في صلاة الجمعة.

الآن نحن اخترنا لكم في هذه المجالس في شهر رمضان محاضرات تربوية شعبية، وعلمية أيضاً لكنها شعبية.

إذا خرجتم من المنزل اقرأوا القلاقل الأربعة، وهي عبارة عن أربع سور قرآنية تبدأ بـ (قُل).

---

(١) ثواب الأعمال:143.

(٢) الكافي 2: 541/ باب الدعاء إذا خرج الإنسان من منزله/ ح 2.

الأولى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾.

الثانية: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾.

الثالثة: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾.

الرابعة: ﴿قُلْ يا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾.

العامل الخامس: ذكر الله:

العامل الخامس في ديمومة الستر هو ذكر الله، «بسم الله، وتوكلت على الله».

العامل السادس: الدعاء:

العامل السادس وهو الأخير في مجلسنا هذا هو دعاء المؤمنين لكم، ممكن أنت لا تستحق الستر من الله تعالى، لكن يوجد أُناس صالحون يدعون لك، أنت بدعاء أولئك المؤمنين الله يستر عليك.

رحمة الله على السيد الحكيم شهيد المحراب، بعدما خرجت من السجن سنة(1979م)، وكان المفروض إجراء تنفيذ حكم الإعدام علينا، لكن مشيئة الله تعالى اقتضت أن نخرج، حينما خرجت زرت السيد، وكان مشغولاً ببناء بيته في مقابل الجامعة الدينية في النجف الأشرف ليتظاهر أمام السلطة أنه مشغول ببيته ولا علاقة له بالشأن السياسي، هذا كله للتمويه، ورُبّ بعض عمّال البناء مدسوسون من قِبَل السلطة، أنا زرته في ذلك المكان، ويومئذٍ تشاورنا معه في بعض الأمور بشكل سرّي، ولكنه سألني سؤالاً، قال: كيف خرجت من الإعدام؟ قلت: سيدنا الدعاء، أنا لا أعرف غير الدعاء. وإلى الآن أيضاً أنا لا أعرف شيئاً غير الدعاء، دعاء المؤمنين الصالحين، دعاء السادة، الوالدين، مراجع دين، باعتبار نحن كنا مصابين بإعدامات سابقة وشهادات سابقة مفجعة موجعة، فكان له أثر كبير.

وكان من جملة من توسلوا به للإفراج عني ـ وأنا أذكر هذه الأمور لكم، أريد أن أُبين لكم أن الأمور بيد الله تعالى ـ الدعاء، ﴿قُلْ ما يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْ لا دُعاؤُكُمْ﴾[(١)]، كان عندي طفلة صغيرة هي بنتي الصغيرة ويومئذٍ كان عمرها شهرين أو ثلاثة، هذه الطفلة الصغيرة على ما نقلوا لي فيما بعد كانوا يصعدونها إلى سطح الدار وهي في القماط، وهي علوية بنت رسول الله يخرجون أيديها من القماط ويقولون: إلهي بحق هذه العلوية فرّج عن أبيها، الله تعالى كتب لي الفرج، ﴿قُلْ ما يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْ لا دُعاؤُكُمْ﴾.

الإمام الصادق عليه السلام يقول: «دعاء المرء لأخيه بظهر الغيب يدرّ الرزق ويدفع المكروه»[(٢)].

رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «ما من مؤمن دعا للمؤمنين والمؤمنات إلاّ ردّ الله عزّ وجلّ عليه مثل الذي دعا لهم به من كل مؤمن ومؤمنة، مضى من أول الدهر أو هو آت إلى يوم القيامة، إن العبد ليؤمر به إلى النار يوم القيامة فيسحب، فيقول المؤمنون والمؤمنات: يا رب هذا الذي كان يدعو لنا، فشفعنا فيه، فيشفعهم الله عزّ وجلّ فيه فينجو»[(٣)].

والحمد لله رب العالمين

* * *

---

(١) الفرقان:77.

(٢) الكافي 507:2/ باب الدعاء للإخوان بظهر الغيب/ ح 2.

(٣) الكافي 5082/ باب الدعاء للإخوان بظهر الغيب/ ح 5.

المحاضرة التاسعة والثلاثون:

نظرية الرزق في الإسلام

«اللَّهُمَّ أعْطِنِي السَّعَةَ فِي الرِّزْقِ ، وَالأمْنَ فِي الْوَطَن ، وَقُرَّةَ الْعَيْن فِي الأهْل وَالْمَالِ وَالْوَلَدِ».

بسم الله الرحمن الرحيم

الليلة لدينا حديثان: حديث فلسفي، وحديث ديني.

الفلسفة الإسلاميّة فلسفة واقعية:

الحديث الفلسفي عن الفلسفة الإسلاميّة ما هي؟

والنظم الإسلاميّة في معالجة مشاكل الإنسان ما هي؟

الفلسفة الإسلاميّة تسمى الفلسفة الواقعية في مقابل الفلسفة المثالية.

يعني أن هناك مدرستان فلسفيتان: مدرسة تسمى المدرسة المثالية، ومدرسة أخرى تسمى المدرسة الواقعية. المدرسة المثالية تقول: إن هذا الوجود والكون الذي أمامك هو قضايا خيالية، وهو انعكاس لتصورات الإنسان، فإذا حُذفت هذه التصورات إذن لا يوجد في الخارج أو الواقع الخارجي شيء، الواقع الخارجي هو عبارة عن أفكارنا، كما إنك مثلاً ترى سماءً، والحال أن السماء ليست جداراً مبنياً، وإنما هي انعكاس الأمواج الضوئية على العين، الماء مثلاً أنت ترى الماء أزرقاً والحال أن الماء ليس كذلك، الماء شفاف بلا لون، لكن الذي يقف على البحر يراه أزرقاً خاصة من بعيد، ولهذا يرسمه الرسّامون باللون الأزرق، والحال أن الماء شفاف ليس له لون، هذه الزرقة هي انعكاس الأمواج فيما بين العين وما بين سطح الماء، هذه الانعكاسات تعطينا لوناً أزرقاً.

الفلسفة المثالية هكذا تقول: إن الوجود بالشكل الذي نتصوره سماوات ونجوم وكواكب وأفلاك هو في الحقيقة انعكاس لذات الإنسان، مثل قصة السماء الزرقاء والماء الأزرق، هذه الفلسفة تسمى الفلسفة المثالية، وهنا يقول الشاعر:

كل ما في الكون وهمٌ أو خيال ... وَعكوسٌ في المرايا أو ظلال

هذه هي الفلسفة المثالية.

الفلسفة الواقعية تقول: إن هناك واقع خارجي، خارج دائرة الإنسان، هناك شمس وقمر وسماوات، خالق ومخلوق، حيوان وإنسان، وهذا كله خارج دائرة أفكارنا، بل له واقع خارجي.

الفلسفة الإسلاميّة هي فلسفة واقعية، تؤمن بوجود واقع خارجي، ﴿وَالسَّماءِ وَما بَناها * وَالأَرْضِ وَما طَحاها * وَنَفْسٍ وَما سَوَّاها فَأَلْهَمَها فُجُورَها وَتَقْواها﴾[1]، توجد سماء، وتوجد أرض، ويوجد عالم خارجي، ويوجد خالق هو الذي خلق كل ذلك.

هذا المعنى وهو كون الإسلام فلسفة واقعية ينعكس على النظم الإسلاميّة، فتصير النظم الإسلاميّة نُظماً واقعيةً وليست مثالية، ولهذا أنت ترى الإسلام في كل معالجاته البشرية في الاقتصاد والاجتماع والسياسة ليس ديناً مثالياً نظرياً خيالياً أبداً، بل هو دين واقعي. معالجات الإسلام معالجات واقعية، أي تتناسب مع الواقع الخارجي للإنسان. ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾[2]، هذه رؤية واقعية، إن الإنسان سواء في دنياه أو في

---

(١) الشمس: 5 -8 .

(٢) المدثر: 38.

آخرته يخضع لمدى جِدّه واجتهاده، اُدرس تصبح دكتوراً، مهندساً، تاجراً، مديراً، وإذا لم تعمل تصبح جالساً على حافة الطريق يتصدق عليك الناس.

النُظم الإسلاميّة نُظم واقعية، قال رسول الله ﷺ: «ارحم من في الأرض يرحمك من في السماء»[1]، ترابط بين واقع الإنسان واستحقاقاته في الدنيا والآخرة. هذه المفاهيم هي مفاهيم معلومة لديكم، لكن نذكرها من أجل أن نربطها ونبين كيف أن الفلسفة والنُظم الإسلاميّة نظم واقعية.

هذه معالجات من الواقع، وليست معالجات من خارج الواقع، أو حلول تنزل بها الملائكة، أو حلول ينزل بها الكهنة والجن، كلا... الإنسان نفسه يجعل هذه الحلول، ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنسانِ إِلاَّ ما سَعى﴾[2]، يعني هي تداعيات الواقع لا غير، أصل القضية هي السعي الإنساني، ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنسانِ إِلاَّ ما سَعى﴾، هذه نسميها النُظم الواقعية، هذه الفكرة تمتد مع الإسلام في القضايا الاجتماعية، في القضايا الاقتصادية، في القضايا العائلية، في القضايا الصحية، في القضايا الدنيوية، وأيضاً في القضايا الأُخروية، هذه النظرية ضعوها بيديكم. ضعوا بيدكم اليمنى أن الفلسفة الإسلاميّة فلسفة واقعية، وضعوا في يدكم اليسرى أن النُظم الإسلاميّة نُظم واقعية، في القضايا السياسية أيضاً الإسلام يريد أن تبدأ عملية التغيير من نفس الإنسان، ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ ما بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا ما بِأَنْفُسِهِمْ﴾[3]، مثل ذلك في قضايا سعادة الإنسان، فرغم أن هناك دور للوراثة ودور للقسمة

---

(١) من لا يحضره الفقيه 4/379/5806.

(٢) النجم:39.

(٣) الرعد:11.

الذي سوف نتحدّث عنه، وهو التقدير الإلهي، لكن يبقى هذا كله في إطار : ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنسانِ إِلاَّ ما سَعى * وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرى﴾[1]، ترى الواقع بعينك، (مَن جدَّ وَجد، ومَن زَرَع حَصد)، هذه القبضة الثانية التي وضعتموها بيدكم اليسرى، وهي أن النظريات الإسلاميّة في المعالجات هي نظريات واقعية، هذا هو البحث الفلسفي الأوّل، حينئذٍ ننتقل إلى البحث الديني.

البحث الديني:

البحث الديني في قوله في الدعاء «اللهم إني أسألك السَعَة في الرزق»، اليوم حديثنا عن هذا المقطع (السعة في الرزق)، ثمّ يقول: «والأمن في الوطن، وقرة العين في الأهل والمال والولد»، تلك المقاطع الأخرى نؤجلها.

حديثنا اليوم فقط عن المقطع الأوّل، وهو: «اللهم إني أسألك السعة في الرزق».

الرزق في الإسلام:

ما هي نظرية الإسلام في الرزق؟ هذا الأمر طبعاً فيه شرح واسع، علم الاقتصاد ماذا يقول؟ الإسلام ماذا يقول؟ لأقف معكم قليلاً عند قوانين علم الاقتصاد.

علم الاقتصاد له قوانين، وهو يقول: إن اقتصاد السوق يخضع لقوانين، أنت سائق، أنت خياط، أنت تاجر تشتري بالجملة، هذه كلها تخضع لقوانين، لا يوجد شيء بدون قانون.

---

(١) النجم:39 و40.

عِلم الاقتصاد يشرح قوانين الحياة الاقتصادية، لماذا ترتفع الأسعار؟ لماذا تهبط الأسعار؟ كان مذهب الأشاعرة، وهو مذهب من مذاهب السُنّة، أو هو بالحقيقة المدرسة السُنّية في المجال الفكري وليس في المجال التشريعي، هؤلاء يُسمّون الأشاعرة نسبةً إلى إمامهم أبي الحسن الأشعري، هؤلاء يعتقدون مثلاً _ انظروا هذه المثالية _: أن ارتفاع الأسعار أو انخفاضها، سعر التمور ارتفع، أو سعر الفواكه انخفض، وهكذا المستوردات يرتفع سعرها وينزل، سعر الدينار يصعد وينزل، سعر برميل النفط يصعد مرة وينزل أخرى، هؤلاء الأشاعرة المساكين يقولون: إن هذه القضايا في الحقيقة خارجة عن دائرة علم الاقتصاد، وأن الله تعالى هو الذي يُسعّر هذه الأشياء، يعني لا دخل هنا لمنظمة (أُوبك) الذين يجلسون ويبحثون سعر البرميل وكمية المنتوج النفطي، إنما هو الله تعالى، يرفع سعر النفط أو يخفض أسعار النفط، هذه هي الرؤية المثالية، بينما الإسلام خصوصاً مدرسة أهل البيت عليهم السلام يقول: صحيح أن الله تبارك وتعالى هو مسبّب الأمور، لكن لها أسباب، «أبى الله أن تجري الأشياء إلاّ بأسباب» [1]، مثلاً: العافية من الله، لكن يجب أن تذهب للطبيب وتستعمل الدواء، أما أن تجلس في البيت ولا تستعمل الدواء فإنك سوف لا تشفى، ولو دعوت فإنه لا يُستجاب دعاؤك، الأسعار كذلك تخضع إلى قوانين علم الاقتصاد، قوانين العرض والطلب، وقوانين مقدار المعروض قياساً إلى مقدار الحاجة، هذه قوانين علم الاقتصاد، الإسلام يقبل هذه القوانين، إن الإنسان في رزقه وفي غناه وفي فقره وفي تجارته

(١) الكافي 1831/ باب معرفة الإمام والردّ إليه/ ح 7.

يخضع لقوانين، أصل الفكرة أن الإسلام دين واقعي يقبل بالواقعيات، ولا يقبل بالمثاليات.

حديثنا عن الرزق في الإسلام، الإسلام يقبل بقوانين علم الاقتصاد، لكن الإسلام لديه إضافتان على قوانين علم الاقتصاد، يمتاز بهما عن علم اقتصاد السوق.

الإضافة الأولى: نظرية التقدير الإلهي:

بمعنى أن هذه الأرزاق تخضع للتقدير الإلهي، رغم أن الجهد الإنساني له دور كبير، لكن إلى جانب هذا الجهد الإنساني يوجد عامل آخر نسميه التقدير الإلهي، والإنسان لا يستطيع أن يتجاوز التقدير الإلهي، لأصور لكم الفكرة: لو أن الإنسان يأكل ما يأكل، يعيش ما يعيش، يشرب ما يشرب، يدخل تمارين رياضية ما يدخل، مع ذلك لا يمكن في يوم من الأيام أن هذا الإنسان يصير طوله ثلاثين متراً، فلو افترضنا أن هذا الإنسان بدل أن يأكل برتقالة ليأكل مئة برتقالة، بدل أن يأكل ثلاث وجبات ليأكل ثلاثين وجبة، فإنه لا يمكن في يوم من الأيام يصير ارتفاعه ثلاثين متراً وعرضه عشرة أمتار؟ لا يمكن ذلك علمياً؛ لأن البنية البشرية لا تتغيّر، صحيح يوجد شيء اسمه الجهد البشري، لكن يوجد شيء وراء الجهد البشري اسمه التقدير الإلهي، في ضوء ذلك تقول النظرية الإسلاميّة: إن الله تعالى هو مقدّر الأرزاق، وهو فوق كل هذه القوانين الطبيعية، ﴿وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشاءُ بِغَيْرِ حِسابٍ﴾[1]، ﴿يَهَبُ لِمَنْ يَشاءُ إِناثاً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشاءُ الذُّكُورَ * أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْراناً وَإِناثاً وَيَجْعَلُ مَنْ يَشاءُ

(١) البقرة: 212.

عَقِيماً ﴾[1]، انتهى، الله ﷻ قدّر لك، هذا خارج الجهد البشري، نسميه التقدير الإلهي، وقد يُدخل عليه الجهد البشري قليلاً من التغييرات، لكنه يبقى في حدود التقدير الإلهي. هذه نظرية التقدير الإلهي، تمشي في موازاة قوانين العرض والطلب.

الإضافة الثانية: عوامل البُعد المعنوي:

وهي عبارة عن وجود عوامل نسمّيها عوامل البُعد المعنوي وهذه العوامل لا يعترف بها علم الاقتصاد الحديث، ولا يفهمها، يعني علم الاقتصاد يقول: الربح والخسارة تخضع لقوانين خارجية مادية مدروسة. الإسلام يقول: هناك قوانين خارجية مادية، وهناك عوامل معنوية، مثل عامل الدعاء، عامل التقوى، عامل الصلاح، عامل الصدقة، عامل صلة الرحم، هذه عوامل في الحقيقة ليست عوامل مادية، الإسلام يقول: توجد قضايا معنوية قلبيّة فيما بينك وبين مسبّب الأسباب وهو الله تعالى، كن إنساناً صالحاً وصولاً، فقد يرزقك الله من حيث لا تحتسب. هذا المفهوم (كن إنساناً صالحاً) غير موجود في علم الاقتصاد، علم الاقتصاد يقول كن صالحاً أو غير صالح هذه القوانين تنطبق عليك. الإسلام يقول: لا، هذه القوانين تنطبق عليك، لكن إذا أضفت لها التقوى والصلاح والصدقة وبر الوالدين وصلة الرحم وغيرها، هنا تأتي يد أخرى خارج القوانين الطبيعية لتؤثر أثرها.

مجموعة مفاهيم حول الرزق:

سوف نتحدّث عن مجموعة مفاهيم في نظرية الدخل والرزق في الإسلام:

---

(١) الشورى:49 و50.

المفهوم الأوّل: أن الرزق على نوعين: رزق تكويني، ورزق تشريعي.

العلامة الطباطبائي يقول: الرزق رزقان: رزق تكويني، ورزق تشريعي، الرزق التشريعي هو ما سمحت به الشريعة الإسلاميّة مثل البيع، بخلاف الربا المحرّم في الشريعة الإسلاميّة فإنه لا يُعتبر رزقاً، بل يُعتبر بمثابة سرقة أموال الآخرين.

أما الرزق التكويني فهو كل ما يصل إلى الإنسان مما يتقوم به وجوده البدني، قبل أن نصل إلى مرحلة التشريع هل هذا حلال أو حرام، هنا يقول الإسلام: إن هذا الرزق التكويني هو من الله تبارك وتعالى؛ لأن كلما في الوجود هو من الله، ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾(١)، ﴿هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾(٢)، ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾(٣).

هذا الرزق التكويني، الرزق الذي به قوام الدواب، الحيوانات، حيث يتوقف قوامها على المأكولات والمشروبات، الله تعالى هو الذي وفّر تلك المقومات.

نحن حينما ندعو ونقول: «اللهم إني أسألك السعة في الرزق»، أو نقول: «اللهم إني أسألك رزقاً واسعاً حلالاً طيباً» فإننا ندعو بأمور ثلاثة:

1 _ «رزقاً واسعاً»؛ لأن الإسلام لا يريد الفقر للإنسان. الإسلام يؤمن بالزهد، ولكن ليس معناه أن تصير فقيراً.

2 _ رزقاً «حلالاً»، وليس حراماً.

3 _ رزقاً «طيباً»، مباركاً هنيئاً.

---

(١) الجمعة:11.

(٢) الذاريات:58.

(٣) هود:6.

نحن نسأل الله تعالى رزقاً واسعاً، حلالاً، طيباً.

المفهوم الثاني: أن الله تعالى هو مصدر الرزق، ﴿ما مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُها﴾[(١)]، كما أن الله تعالى هو مصدر نور الشمس، وهو مصدر ضوء القمر، وهطول الأمطار، هو مصدر كل رزق وجودي على الأرض وفي السماء.

الله تعالى هو مصدر الأمطار، ومصدر الرياح، ومصدر النور، ومصدر أرزاق البشر، ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾[(٢)]، ﴿وَفِي السَّماءِ رِزْقُكُمْ وَما تُوعَدُونَ﴾[(٣)]، هذه النظرية إذا فهمناها فإن فيها عدة نتائج.

النتيجة الأولى: الارتباط بالله.

النتيجة الثانية: شكر الله تبارك وتعالى.

النتيجة الثالثة: السؤال من الله تعالى.

قصة أصحاب الجنّتين:

القرآن الكريم يضرب لنا قصة اثنين لديهم بستانين، لكن واحداً منهما كان يذكر الله، والآخر لا يذكر الله، هذا هو البعد المعنوي الذي لا يقبل به علم الاقتصاد.

القرآن يقول: ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً رَجُلَيْنِ جَعَلْنا لأَحَدِهِما جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنابٍ وَحَفَفْناهُما بِنَخْلٍ وَجَعَلْنا بَيْنَهُما زَرْعاً * كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَها وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئاً وَفَجَّرْنا خِلالَهُما نَهَراً * وَكانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقالَ لِصاحِبِهِ وَهُوَ يُحاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مالاً وَأَعَزُّ نَفَراً * وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظالِمٌ لِنَفْسِهِ قالَ ما أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هذِهِ أَبَداً﴾[(٤)].

---

(١) هود:6.

(٢) الحج:58.

(٣) الذاريات:22.

(٤) الكهف:32 ـ35.

قال الكافر: ﴿ما أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هذِهِ أَبَداً * وَما أَظُنُّ السَّاعَةَ قائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْراً مِنْها مُنْقَلَباً﴾[1].

﴿قالَ لَهُ صاحِبُهُ وَهُوَ يُحاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرابٍ﴾؟ نسيت أن أصلك من تراب؟ ﴿ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً * لكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَداً * وَلَوْ لا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ ما شاءَ اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾[2]، كان عليك أن تذكر الله وتقول: ﴿ما شاءَ اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ ولا تعتمد على نفسك وتثق بالطبيعة بشكل مطلق بعيداً عن الله.

﴿إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مالاً وَوَلَداً * فَعَسى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْراً مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْها حُسْباناً مِنَ السَّماءِ فَتُصْبِحَ صَعِيداً زَلَقاً * أَوْ يُصْبِحَ ماؤُها غَوْراً فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَباً * وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلى ما أَنْفَقَ فِيها وَهِيَ خاوِيَةٌ يَقُولُ يا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَداً﴾[3].

جاءت العاصفة عليه، الأوبئة، الجراد، جلس صباحاً فوجد أرضه خالية، ﴿وَهِيَ خاوِيَةٌ﴾، يعني منكفئة على وجهها على عروشها، أنظروا إلى البعد المعنوي والتركيز القرآني عليه.

العوامل المعنويّة:

العامل الأوّل: الدعاء:

نقرأ في أدعية تعقيبات صلاة العشاء: « اللَّهُمَّ إِنَّهُ لَيْسَ لِي عِلْمٌ بِمَوْضِعِ رِزْقِي، وَإِنَّمَا أَطْلُبُهُ بِخَطَرَاتٍ تَخْطُرُ عَلَى قَلْبِي فَأَجُولُ فِي طَلَبِهِ الْبُلْدَانَ فَأَنَا فِيمَا أَنَا طَالِبٌ كَالْحَيْرَانِ لا أَدْرِي أَفِي سَهْلٍ هُوَ أَمْ فِي جَبَلٍ أَمْ فِي أَرْضٍ أَمْ فِي سَمَاءٍ أَمْ

(١) الكهف:35 و36.
(٢) الكهف:37 ـ39.
(٣) الكهف:39 ـ42.

فِي بَرٍّ أمْ فِي بَحْرٍ، وَعَلَى يَدَيْ مَنْ، وَمِنْ قِبَلِ مَنْ ، وَقَدْ عَلِمْتُ أنَّ عِلْمَهُ عِنْدَكَ ، وَأسْبَابَهُ بِيَدِكَ، وَأنْتَ الَّذِي تَقْسِمُهُ بِلُطْفِكَ وَتُسَبِّبُهُ بِرَحْمَتِكَ»(١).

هذا هو دعاء صلاة العشاء.

الدعاء هو العامل الأوّل المعنوي في سعة الرزق.

في الرواية عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: «ادْعُ في طلب الرزق في المكتوبة ـ الصلاة الواجبة ـ وأنت ساجد: يا خير المسؤولين، ويا خير المعطين، ارزقني وارزق عيالي من فضلك، فإنك ذو الفضل العظيم»(٢)، الدعاء هو العامل الأوّل من العوامل ذات البُعد المعنوي في الرزق.

العامل الثاني: الصدقة:

الإنفاق في سبيل الله، ﴿وَما أَنفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾(٣)، الله يعوّضه، بل يضاعفه، ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضاعِفَهُ لَهُ﴾(٤).

أمس قرأت لكم رواية عن الإمام الباقر عليه السلام يقول: «البر والصدقة ينفيان الفقر، ويزيدان في العمر، ويدفعان سبعين ميتة سوء»(٥).

العامل الثالث: صلة الرحم:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من يضمن لي بر الوالدين وصلة الرحم، أضمن له كثرة المال، وزيادة العمر، والمحبة في العشيرة»(٦).

---

(١) مصباح المتهجد: 109/184/157.

(٢) الكافي 2: 551/ باب الدعاء للرزق/ ح 4.

(٣) سبأ: 39.

(٤) البقرة: 245.

(٥) ثواب الأعمال: 143.

(٦) مستدرك الوسائل 15: 176/17914/11.

قصة الشاب الفقير:

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «اشتدت حال رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله، فقالت له امرأته: لو أتيت رسول الله صلى الله عليه وآله فسألته، فجاء إلى النبي صلى الله عليه وآله، فلما رآه النبي صلى الله عليه وآله قال: «من سألنا أعطيناه، ومن استغنى أغناه الله»، فقال الرجل: ما يعني غيري، فرجع إلى امرأته فأعلمها، فقالت: إن رسول الله صلى الله عليه وآله بشر فأعلمه، فأتاه، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «من سألنا أعطيناه، ومن استغنى أغناه الله»، حتّى فعل الرجل ذلك ثلاثاً، ثمّ ذهب الرجل فاستعار معولاً، ثمّ أتى الجبل فصعده فقطع حطباً، ثمّ جاء به فباعه بنصف مد من دقيق، فرجع به فأكله، ثمّ ذهب من الغد، فجاء بأكثر من ذلك فباعه، فلم يزل يعمل ويجمع حتّى اشترى معولاً، ثمّ جمع حتّى اشترى بكرين وغلاماً، ثمّ أثرى حتّى أيسر، فجاء إلى النبي صلى الله عليه وآله فأعلمه كيف جاء يسأله وكيف سمع النبي صلى الله عليه وآله، فقال النبي صلى الله عليه وآله: قلت لك: «من سألنا أعطيناه ومن استغنى أغناه الله»[1].

والحمد لله رب العالمين

* * *

(١) الكافي 2/139/ باب القناعة/ ح 7.

المحاضرة الأربعون:

نظرية الملكية في الإسلام

المحرمات والواجبات الاقتصادية

«اللَّهُمَّ أعْطِنِي السَّعَةَ فِي الرِّزْقِ».

بسم الله الرحمن الرحيم

نظرية الملكية في الإسلام:

ماذا يرى الإسلام؟

وما هو موقفه تجاه نزعة التملك لدى الإنسان؟

هذا الإنسان مفطور على مجموعة قضايا، هذه تسمى في علم النفس وفي علم اللغة: نزعة، والنزعة بمعنى الرغبة الذاتية، فهناك نزعة للتفوّق، هذه نزعة ذاتية، نزعة الإنسان في طلب العلم، البحث عن المجهول، الإنسان يحب أن يعرف المجهول، يكتشف المجهول، هذه نزعة فطره الله عليها، هذه نزعة ذاتية يندفع نحوها.

الإنسان مفطور ذاتياً على الاجتماع (اجتماعي بالطبع) هذه نزعة ذاتية، الإنسان لا يأنس وحده، وإنما يريد له أنيساً، يريد له رفيقاً، هذه نزعة ذاتية، هذه القضايا نسميها نزعة، لغوياً واصطلاحياً.

ومن جملة تلك النزعات الذاتية عند الإنسان: نزعة التملك. يحب أن يملك شيئاً حتّى وهو طفل صغير، يُسمّوه في علم النفس: نزعة التملك، أصل النزعة نزعة ذاتية، قد تصل إلى حد متطرف، وقد تبقى بحد اعتدال، وقد تتكامل وتصبح مَعلم من معالم كمال الإنسان.

حديثنا عن نزعة التملك ونظرية الإسلام في الملكية، يرتبط هذا بالحديث عن المال حيث جاء في الدعاء « اللَّهُمَّ أعْطِنِي السَّعَةَ فِي الرِّزْقِ».

ما هي نظرية الإسلام الاقتصادية في التملك؟

كما تعرفون هناك القطاع العام، والقطاع الخاص، والقطاع المشترك، يعني ملكية عامة، وملكية خاصة، وملكية مشتركة، ما معنى ذلك؟

القطاع العام: يعني ممتلكات غير تابعة لإنسان مخصوص، مربوطة بالدولة.

القطاع الخاص: وهو شركات ومعامل شخصية، ممتلكات خاصة تُسمّى قطاعاً خاصاً.

القطاع المشترك: تشترك الدولة مع مجموعة من الأشخاص في مشروع، وهذا يسمونه قطاعاً مشتركاً.

ما هي نظرية الإسلام في القطاع العام، وفي القطاع الخاص، وفي القطاع المشترك؟ وهذا لا بدَّ أن نذكره محشواً بالأحاديث والقصص والروايات.

مجموعة نقاط في النظرية:

أما رأي الإسلام في التملك، فهناك مجموعة نقاط يذكرها الإسلام في النظرية:

النقطة الأولى: أن المالك الحقيقي هو الله تبارك وتعالى، ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(١).

نعم، الشرع يقول: هي ملكك، لكن بالبُعد العقائدي هي في الحقيقة مؤقتة بيدك، وسوف تنتقل إلى غيرك، المالك الحقيقي الذي

(١) الملك: 1.

وهب لك هذه الممتلكات هو الله تبارك وتعالى، ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، حينئذٍ الفلاسفة يميّزون بين نوعين من الملكية، وسأشرحهُ بشكل موجز:

هناك ملْكية تسمى ملْكية حقيقية.

وهناك ملْكية تسمى ملْكية اعتبارية، يعني ليس لها واقع، وإنما هي اعتبارات اتفقنا عليها، مثلاً: اللون الأحمر يدل على الخطر، وعلامة (الضرب) تدل على أن السير ممنوع، هذه قضايا اعتبارية نحن اصطلحنا عليها، علامة (صح) يضعها معلم على ورقة الامتحانات يعني أن الجواب صحيح، وعندما يضع علامة (ضرب) يعني أن الجواب غير صحيح، كان من الممكن أن نتفق على علامات أخرى، هذه العلامات وأمثالها نُسمّيها قضايا اعتبارية وليست قضايا حقيقية.

إذن توجد قضايا حقيقية في الوجود. مثلاً المرض قضية حقيقية وليست قضية اعتبارية. الصحة قضية حقيقية، القوة قضية حقيقية، الغنى والفقر، والأبوة والبنوة، هذه قضايا حقيقية في الخارج.

وفي مقابل ذلك قضايا اعتبارية، مثل الزوجية، والملكية.

إن الزوجية هي قضية تخضع للشرع والقانون، إذن هي علاقة اعتبارية وليست علاقة حقيقية، الملكية من القضايا الاعتبارية، إنك تملك داراً مثلاً، هذه القضية قضية اعتبارية تخضع لرأي القانون، فقد يعترف بها، وقد لا يعترف بها.

ولكن رغم أنها قضية اعتبارية، إلاّ أنّ لها جذوراً نفسية، الله خلق الإنسان يحب الزواج، لهذا فإن الإسلام شرّع الزوجية، يحب التملك، لهذا فإن الإسلام شرّع الملكية، ذلك لأن لها أصولاً ذاتية في الإنسان،

وهي أصول صحيحة ونزعات صحيحة وليس انحرافية، نعم هي اعتبارات، ولكن جذورها وأصولها صحيحة.

بخلاف النظرية الشيوعية حين قالوا: إن حبّ التملك عند الإنسان ليس نزعة حقيقية؛ لأن البرجوازيين هم الذين ثَقّفوا عليها، لهذا تقول الشيوعية أنه يجب أن نمحي حب التملك لدى الإنسان، ونجعل كل الناس يعيشون في منازل تابعة للدولة، هذه هي النظرية الشيوعية.

أمّا النظرية الرأسمالية فهي تقول: إن الملكية شيء صحيح، وتعبّر عن نزعة ذاتية، ونحن يجب أن نُفعّل هذا العشق ونُرسّخ هذه النزعة بحيث يحصل تنافس شديد بين الناس على التملّك. هذا الشخص ينتج أكثر، وذاك الشخص ينتج أكثر، هذا بضاعته أفضل حتّى يكون لها مشترٍ أسرع، ذاك بضاعته أفضل، هذا التنافس كلما يترسّخ في المجتمع فإن المجتمع يتكامل، إذن لا بّد من تطوير وتعميق نزعة التملك، ولنجعل الإنسان مفرطاً في حب التملك، وكلما يفرط في حب التملك يذهب ليعمل أكثر ويجمع المال أكثر، وهذا ينفع المجتمع.

جاء الإسلام فقال: لا للاتجاه الأوّل ولا للاتجاه الثاني، كلاهما غير صحيح، نزعة التملك فطرية، ولكن تحتاج إلى تهذيب، مثل نزعة الأكل، فإذا أردنا أن نسلب من الإنسان شهوة الأكل فإنه يموت، وإذا قلنا نقوي عنده شهوة الأكل بحيث يأكل ولا يشبع فإنه يصل إلى حد التخمة، لا بدَّ من تهذيب نزعة الأكل، وهكذا سائر النزعات، الإنسان يحب الراحة، ولكن هذه النزعة يجب أن نربّيها؛ كي لا يصبح حب الراحة مطلقاً، طوال اليوم هو نائم في البيت، هذه ليست حب راحة، هذا يصبح مرضاً، يصبح انحرافاً، وهكذا النزعات الذاتية تحتاج إلى تهذيب.

الإسلام يقول: نزعة التملك ذاتية صحيحة لا يجوز إعدامها ولا يجوز إطلاقها بلا حدود، وإنما تحتاج إلى تهذيب، على هذا الأساس جاءت نظرية الواجبات الاقتصادية في الإسلام.

الواجبات الاقتصادية، والمحرمات الاقتصادية:

هناك محرّمات، وهناك واجبات لتهذيب هذه النزعة، حتّى لا تكون حالة تفريطيّة ولا إفراطية.

بهذا الخصوص الإسلام يقول التملك نزعة فطرية، مثل حب الأكل، وحب الجاه، وحب التفوّق، وحب الجنس الآخر، ولكن يجب أن يكون لها حدود، ولغرض تكامل الإنسان وتلبية حاجاته المادية والمعنوية.

فالإسلام يؤمن بالملكية الخاصة، ويؤمن بالملكية العامة، مثل ملكية الدولة للمعادن والثروات الطبيعية. هذه ملكية عامة، وهناك أيضاً قطّاع مشترك، حيث تتعاقد الدولة مع مجموعة من أصحاب الأموال وتكون مشاريع مشتركة، الإسلام يقبل بهذه الثلاثة. الشيء الذي يختص به الإسلام عن الرأسمالية والشيوعية هو تهذيب نزعة التملك.

الإمام الباقر عليه السلام يقول: «أوحى الله عزّ وجلّ إلى موسى عليه السلام قال: يا موسى، لا تفرح بكثرة المال، ولا تدع ذِكري على كل حال، فإن كثرة المال تنسي الذنوب، وإن ترك ذكري يقسي القلوب»[(١)].

هنا نصل إلى قصة ثعلبة، في زمن النبي صلى الله عليه وآله كان شخص اسمه ثعلبة، جاء ثعلبة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله، ادع الله أن

(١) الكافي 2:497/ باب ما يجب من ذكر الله عزّ وجلّ في كل مجلس/ ح 7.

يرزقني مالاً، فقال: «يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه، أما لك في رسول الله ﷺ أسوة؟ والذي نفسي بيده لو أردت أن تسير الجبال معي ذهباً وفضة لسارت»، ثمّ أتاه بعد ذلك فقال: يا رسول الله، ادع الله أن يرزقني مالاً، والذي بعثك بالحق لئن رزقني الله مالاً لأعطين كل ذي حق حقه، فقال ﷺ: «اللهم ارزق ثعلبة مالاً»، قال: فاتخذ غنماً فنمت كما ينمي الدود، فضاقت عليه المدينة، فتنحى عنها فنزل وادياً من أوديتها، ثمّ كثرت نمواً حتّى تباعد من المدينة، فاشتغل بذلك عن الجمعة والجماعة، وبعث رسول الله ﷺ المصدق ليأخذ الصدقة، فأبى وبخل، وقال: ما هذه إلاّ أخت الجزية، فقال رسول الله ﷺ: «يا ويح ثعلبة، يا ويح ثعلبة»، فأنزل الله ﷻ ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتانا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ * فَلَمَّا آتاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾(١) (٢).

الله تبارك وتعالى في القرآن يقول: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ ما فِي السَّماواتِ وَما فِي الأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظاهِرَةً وَباطِنَةً﴾(٣).

كنت أقرأ في إحدى التقارير العلمية أن الصين فيها (26) مليون إنسان تحت مستوى الفقر، الصين التي تشهد تطوراً اقتصادياً كاسحاً! لكن مع ذلك التقارير تقول أن (26) مليون تحت مستوى الفقر، يعني الدخل السنوي للفرد (80) دولار فقط، والذي لا يملك هو دون خط الفقر، والذي فوق خط الفقر هو من يملك سدس دولار يومياً، يعني

---

(١) التوبة:75 و76.

(٢) بحار الأنوار22:40.

(٣) لقمان:20.

حوالي (250) دينار، والذي عنده أقل من سدس يعني أقل من (250) دينار هو دون مستوى خط الفقر، الآن الصين (26) مليون واحد منهم لا يملك سدس دولار يومياً، أي (250) دينار، هذا فقط الإحصاء الرسمي في القرى.

الواجبات الاقتصادية:

هناك واجبات على نوعين: واجبات ثوابت، وهناك واجبات متحركة.

الواجبات الثابتة عبارة عن الخمس والزكاة.

والواجبات المتحركة عبارة عن الصدقات والإنفاق في سبيل الله عند الحاجة، مرّة يصبح واجباً، ومرّة يصبح مستحباً باختلاف الحالات واختلاف الميادين، هذه واجبات متحركة.

عن رسول الله ﷺ قال: «ما آمن بالله واليوم الآخر من بات شبعاناً وجاره جائع» [1]، هذه واجبات متحركة. ممكن تعطي خمساً وزكاة، لكن من غير الممكن أن تبيت شبعاناً وجارك جائع، وفي ذلك بحث مفصل.

الواجبات الثوابت الكبرى هي: الخمس، والخمس هو ضريبة على كل إنسان يملك شيئاً زائداً على حاجته السنوية.

والواجب الثاني هو الزكاة، والزكاة للذهب والفضة والغلاّت الأربع: الحنطة والشعير والتمر والزبيب، وهكذا على الأنعام الثلاثة: الغنم

(١) وسائل الشيعة 1/22354/20917.

والبقر والإبل، وهذا ما نسميه الواجبات الاقتصادية الكبرى الثوابت في الإسلام.

وهناك واجبات متحركة يشير إليها قوله تعالى: ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾[1].

والحمد لله رب العالمين

* * *

---

(١) الذاريات:19.

المحاضرة الحادية والأربعون:

الوطن في الإسلام

«اللَّهُمَّ أعْطِنِي السَّعَةَ فِي الرِّزْقِ ، وَالأمْنَ فِي الْوَطَنِ ، وَقُرَّةَ الْعَيْنِ فِي الأهْل وَالْمَالِ وَالْوَلَدِ».

بسم الله الرحمن الرحيم

اليوم لدينا بحثان حول الوطن، انطلاقاً من قوله: «اللهم أعطني السعة في الرزق، والأمن في الوطن»، وقد تحدّثنا عن الرزق في الإسلام، اليوم حديثنا عن الوطن، وهنا بحثان: بحث فقهي، وبحث سياسي.

ما هو الوطن؟

ما هو الوطن فقهياً؟

وما هي أحكامه شرعياً وفقهياً؟

وهناك بحث سياسي مهم. الوطن ، والمواطنة، وواجبات المواطن، وحقوق المواطن، وشروط المواطنين.

والإسلام له في كلا البحثين رأي.

في البحث الفقهي الإسلام له رأيه في ما هو الوطن، وفي البحث السياسي أيضاً الإسلام عنده رأي، كما شرحت لكم سابقاً.

الموطنة في الإسلام:

ما هي المواطنة في الإسلام؟ حقوق المواطن ما هي؟ شروط المواطن في الإسلام ما هي؟ قرآنياً وفي السُنّة، في سيرة النبي والأئمّة الأطهار عليهم السلام توجد هناك دراسة، وتوجد هناك رؤية عن هذا الموضوع، إذن مرة نبحث عن الوطن فقهياً، ومرة نبحث عن الوطن سياسياً.

أما فقهياً، فهذا الموضوع الفقهاء يذكرونه في مسألة الصلاة، صلاة

الإنسان في الوطن، وصلاة الإنسان في السفر، هنا تأتي المسألة الفقهية، أنه ما هو الوطن؟ من الناحية الفقهية لا نتحدّث هنا عن الجنسية ولا عن الانتماء، هذا الإنسان ما هي جنسيته؟ انتماؤه إلى أيّ وطن وأيّ مدينة؟ لا، ليس هذا الحديث، الحديث أن الوطن له أحكام، هذه الأحكام متى تنطبق؟ الفقهاء يقولون: الوطن هو عبارة عن المكان الجغرافي الذي يتخذه الإنسان مقراً دائماً لسكناه، سواءً كان مسقط رأسه _ يعني ولد فيه _ أو لم يكن مسقط رأسه، وعلى هذا الأساس يمكن للإنسان أن يكون عنده وطنان، يمكن أن يكون عنده ثلاثة أوطان، ممكن هذا الإنسان صاحب ثروة صاحب تجارة عنده هنا وطن وفي مدينة أخرى اتخذها وطناً، وعنده مدينة ثالثة اتخذها وطناً، هذا ممكن فقهياً كما هو في عصرنا هذا، يمكن التجنس بثلاث جنسيات، يعني هو مواطن عراقي، وألماني، وسويدي، عنده ثلاث جنسيات.

الفقهاء يذكرون إمكانية تعدد الوطن.

حكم الوطن فقهياً فقط يظهر في مسألتين: في مسألة الصلاة، وفي مسألة الصوم، والبقية ليس له أثر، الإنسان في وطنه يصلّي صلاة كاملة، وإذا سافر يصلي قصراً، وهناك حالات استثنائية كما تعرفون في السفر، وهكذا الإنسان في وطنه يصوم شهر رمضان، لكنه إذا كان في سفر يسقط عنه الصوم، إلاّ في حالات معينة، كما إذا نوى الإقامة عشرة أيام وما شاكل ذلك، أو كان كثير السفر، وهذا بحث فقهي مفصّل يمكن لنا تناوله يوماً ما، لكن أصل الفكرة أن الوطن يصلّي فيه الإنسان صلاة كاملة، ويصوم، ولكن إذا سافر يُعتبر السفر استثناءً، فيوجد تخفيف،

يوجد تسامح من الشارع، هذا تخفيف عن العباد، هذا هو حكم السفر عن الوطن، وحكم الوطن من الناحية الفقهية.

من المفيد أن أُشير إلى حكم فقهي يختص بالمساجد الأربعة، وحكم فقهي آخر يختص بالأماكن الأربعة للتخيير ، هناك أماكن أربعة يخيّر فيها الإنسان بين القصر والتمام، وهي: الأوّل: مكّة المكرمة، الثاني: المدينة المنورة، الثالث: مسجد الكوفة، الرابع: الحرم الحسيني، وما يسمى بالحائر الحسيني، يخير الإنسان هناك بين القصر أو التمام، هذه نسمّيها الأماكن الأربعة.

وهناك المساجد الأربعة عندنا في الإسلام، أعظم المساجد أربعة أيضاً: الأوّل: المسجد الحرام في مكّة المكرمة، الثاني: مسجد النبي، الثالث: المسجد الأقصى، الرابع: مسجد الكوفة.

ولنرجع إلى أصل الموضوع، وهو حكم الإنسان في وطنه التمام والصيام، وفي السفر القصر والإفطار، هذا هو الوطن فقهياً، ولا يترتب عليه أيّ حكم آخر، من الناحية الفقهية لا يوجد فيه مسؤوليات خاصة.

لننتقل إلى الوطن في المفهوم السياسي، قبل أن نصل إلى ذلك عندنا شيء فقهي أيضاً لنذكره وهو التغرب عن الوطن، وحكم التغرب عن الوطن.

أنواع التغرب عن الوطن:

حسناً، نحن ذكرنا أن الإنسان في وطنه حكمه الصلاة التامة والصيام، لكن إن تغرّب عن الوطن فسوف يصير مسافراً، وذكرنا أن حكمه القصر وترك الصيام، لكن التغرب عن الوطن له أربعة أنواع: نوع حرام، ونوع مستحب، ونوع واجب، ونوع مكروه.

ما هي الأنواع الأربعة؟

النوع الأوّل: التغرب عن الوطن لأجل العلم، «اطلبوا العلم ولو في الصين، فإن طلب العلم فريضة على كل مسلم»[1]، هذا النوع الأوّل، ما هو حكمه الفقهي؟ الإنسان يسافر لكي يطلب العلم، لكي يخدم بلده ومجتمعه، ما هو حكمه الفقهي؟ لا يمكن أن تقول حرام أو مكروه، بل حكمه يتبع حجم المهمة، فقد يكون واجباً إذا كان ذلك العلم ضرورياً والمجتمع لا يستغني عن هؤلاء الطلاب، ويكون مستحباً إذا كان تحصيل ذلك العلم يمثل زيادة في سعادة المجتمع، وإن لم تكن بمستوى الضرورة.

النوع الثاني: التغرب للكسب، الإنسان يريد أن يتكسب، حل على وظيفة في الموصل، في بغداد، في الحلة، يسافر لأجل التكسب، مقاول مهندس، أديب، صاحب شركة معينة، هذا التغرب للتكسب، هذا ما هو حكمه؟ أيضاً الكسب الحلال مستحب، فإذا كان هذا الكسب كسباً حلالاً، وحتّى لا يكون عيالاً على غيره، فقيراً يمد يده للناس، الإسلام يحب العمل والتكسب، و«الكاد على عياله كالمجاهد في سبيل الله»[2]، إذن هذا شيء مستحب (التغرب للكسب).

النوع الثالث: التغرّب لأجل الدين، هذا الذي يسمى فقهياً: (الهجرة)، المهاجرون في سبيل الله، الهجرة إذا كانت للدين هرباً بدينه أو لطلب نشر الدين كلتا الحالتين تسمى هجرة شرعية، هذه الهجرة

---

(١) وسائل الشيعة 27: 27/ 33119/ 20.

(٢) الكافي 5: 88/ باب من كدّ على عياله/ ح 1.

الشرعية لها فضل عظيم، وهي قد تكون مستحبة، وقد تكون واجبة، إذا كان الإنسان يتعرض للخطر يجب عليه أن يهاجر، وإذا كانت الهجرة لأجل التوسع في نشر الدين فإن تكون مستحبة، وربما تكون واجبة إذا لم يكن هناك من يقوم بنشر الدين غيره، هذه مراتب في الفضل والفضيلة، هذه الهجرة مستحبة، وقد تصير واجبة حسب ظروفه، هذا نسميه التغرّب للدين.

النوع الرابع: ويوجد نوع رابع نسميه التغرّب للتعرّب، هذا اصطلاح فقهي في الحقيقة، يسميه الفقهاء (التعرب بعد الهجرة) ما هو؟

التعرب بعد الهجرة:

أوّلاً لأشرح لكم الكلمة، كلمة تعرّب من أعراب، وأعراب يعني ابن البادية، البعيد عن الحضارة، هؤلاء يسمّيهم القرآن الكريم أعراب، وهم غير العرب، الحالة الأعرابية تعني الحالة البدوية، الحالة غير المتمدنة البعيدة عن التمدن والحضارة، هذا هو معنى (الأعرابي)، هنا يأتي التعرب عن دار الإسلام، هذا الإنسان إذا أراد أن يتعرّب ويصير أعرابياً يذهب إلى بلاد حيث لا يوجد دين، ولا مسجد، ولا حسينية، ولا حجاب، ولا أذان، ولا صلاة، ولا صوم، إذا افترضنا حالة من هذا القبيل هذا يُسمى (التعرّب)، يعني هناك سوف ينزع عنه ثوب الدين، في مثل هذه الحالة يُسمّى التعرب عن دار الإسلام، أو يصطلح عليه فقهياً التعرب بعد الهجرة، يعني هو هاجر أوّلاً إلى المدن الدينية، صارت هذه البلاد الإسلاميّة هي بلاده، ثمّ يتركها ويذهب إلى بلاد الكفر، هذا يسمى التعرّب بعد الهجرة، وهو يعني السفر إلى بلاد الكفر، حيث لا يمكن

للإنسان أن يقيم مراسيمه الدينية، هذا التعرّب بعد الهجرة حكمه الشرعي أنه حرام، طبعاً يجب أن تميزوا بين إنسان يسافر ويكون قادراً على أداء أحكامه الدينية فلا إشكال فيه، تسافر إلى لندن، بلجيكا، ألمانيا، ولكن أنت قادر على أن تتماسك على وضعك الديني وأن تلك الدولة لا تمانعك وتوفر لك ما تستطيع أن تمارس فيه وضعك الديني، مثل هذا السفر جائز، لكن الحديث إذا كان هذا السفر يمنعك من التزامك الديني، حينئذٍ مثل هذا السفر يكون محرّماً، هذا هو التغرّب للتعرّب، يعني يكون أعرابياً أمّياً في الوضع الديني.

هجرتان للمسلمين:

كانت عندنا في التاريخ الإسلامي هجرتان: هاجروا مرة للحبشة وهي الأولى، والثانية كانت للمدينة المنورة.

الهجرة الأولى بقيادة جعفر الطيار أخي الإمام عليّ عليه السلام، حيث أمره النبي صلى الله عليه وآله مع خمسين فرداً من المسلمين أن يهاجروا، وطلبوا اللجوء السياسي في الحبشة كما تعلمون، وهو أوّل مكان مجاور للحجاز، هؤلاء هاجروا إلى الحبشة، وكان عليها يومئذٍ النجاشي ملك الحبشة، وقصته معروفة، حيث أعطاهم لجوءاً سياسياً، وعادوا إلى المدينة المنورة عند غزوة خيبر، وهناك قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا أدري بأيّهما أسر، بقدوم جعفر أم بفتح خيبر»[1].

والهجرة الثانية هي هجرة المسلمين من مكّة إلى المدينة المنورة، والتحق بهم النبي صلى الله عليه وآله حين خططوا لقتله، ونزل جبرئيل يقول عن الله

(١) بحار الأنوار29438.

تعالى: يا محمّد أخرج من مكّة فليس لك فيها ناصر [١]. فهاجر إلى المدينة.

الوطن سياسياً:

ننتقل إلى البحث الثاني، وهو الوطن سياسياً، هذا البحث نعرضه عرضاً مختصراً موجزاً.

هناك مُواطن، وهناك أجنبي، المُواطن حالتان: إما مُواطن بالولادة، وإما مواطن بالتجنس.

المواطن له واجبات، وعليه مسؤوليات أيضاً، والدولة تجاه المواطن عليها مسؤوليات، هذا الأمر في الشريعة الإسلاميّة موجود، يذكرون أربعة واجبات للمواطن:

1 ـ الإخلاص للأمّة.

2 ـ إطاعة القوانين لتلك الدولة التي ينتمي لها.

3 ـ المساهمة المالية في دفع الضرائب.

4 ـ الخدمة في القوات المسلحة دفاعاً عن تلك الأمّة والدولة.

هذه أربعة واجبات على المواطن في السياسات الحديثة، وهذه الواجبات الأربعة على المواطن هي إسلاميّاً صحيحة أيضاً، ولقد بحثنا هذا الموضوع في كتابنا المذهب السياسي في الإسلام.

حقوق المواطن:

ما هي حقوق المواطن على الدولة؟

---

(١) بحار الأنوار 4491.

الإسلام يقول كما السياسة الحديثة تقول: إن الدولة مسؤولة في توفير حقّين للمواطن:

الحق الأوّل: المشاركة السياسة، والدولة التي لا توفر مشاركة سياسية لشعبها فهي دولة دكتاتورية مستبدة، هذا هو الحق الأوّل للمواطن.

الحق الثاني: حماية الدولة له، يجب أن تحميه الدولة من السراق، وتحميه من الجوع، وتحميه من الجهل، وتحميه من الأمراض، وتحميه من الإرهاب، الدولة مسؤولة عن كل ذلك.

الإمام عليّ عليه السلام يقول: «أيها الناس إن لي عليكم حقاً ولكم عليَّ حقاً، أمّا حقكم عليَّ فالنصيحة لكم وتوفير فيئكم، وتعليمكم كيلا تجهلوا ، وتأديبكم كيما تعلموا. وأما حقي عليكم فالوفاء بالبيعة ، والنصيحة في المشهد والمغيب ، والإجابة حين أدعوكم، والطاعة حين آمركم»[1].

ما هي شروط المواطن؟

قلنا: المواطن إما أن يكون بالولادة، أو يكون بالتجنس.

هناك سؤال: هل الدولة في الإسلام مسؤولة أن تمنح حق المواطنة لأيّ مسلم؟

الجواب: لا، رغم أنك مسلم، وأنك عضو في الأمّة الإسلاميّة، لكن كونك عضواً في هذه الدولة بالخصوص هذا يحتاج إلى موافقة تلك الدولة، وهي قد توافق وقد لا توافق، حسب ظروفها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية.

---

(١) نهج البلاغة 34/84:1.

قصة أبو جندل:

ويمكن أن نذكر شاهداً على ذلك قصة أبو جندل كما يذكرها المؤرخون، قالوا:

اعتمر رسول الله ﷺ عمرة الحديبية في ألف ونيف رجل، فهمّت قريش في صده ، وبعثوا إليه مكرز بن حفص وخالد بن الوليد ، وصدّوا الهدي، فأخذ ﷺ البيعة تحت الشجرة على أن لا يفروا . فلما صار بذي الحليفة قلّد النبي ﷺ الهدي وأشعره وأحرم بالعمرة، حتّى إذا كان ببعض الطريق، قال ﷺ: إن خالد بن الوليد بالغميم طليعة فخذوا ذات اليمين ، وسار حتّى إذا كان بالثنية بركت ناقته ، فقال: ما حلأت القصوى ، ولكن حبسها حابس الفيل، ثمّ قال: والله لا يسألونني خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إيّاها ، فعدل حتّى نزل بأقصى الحديبية، فأتاهم بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من خزاعة ، فقال له النبي ﷺ: إنّا لم نجئ لقتال أحد ، ولكنا جئنا معتمرين، ... ثمّ جاء سهيل بن عمرو، فجلس و سأل النبي ﷺ الصلح، ونزل عليه الوحي بالإجابة إلى ذلك ،... واصطلحا على وضع الحرب عن الناس سبع سنين يأمن فيهن الناس، ويكف بعضهم عن بعض، ويأمن المجتازون من الفريقين، وأنه من أحبّ أن يدخل في عقد محمّد وعهده دخل، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه، وعلى أن لا يستكره أحد على دينه، وعلى أن يعبد الله بمكّة علانية ، وعلى أن محمّداً ينحر الهدى مكانه ، وعلى أن يخليها له في قابل ثلاثة أيام فيدخلها بسلاح الراكب ، ويخرج قريشاً كلها من مكّة إلاّ رجل واحد من قريش يخلفونه مع

محمّد وأصحابه، ومن لحق محمّداً وأصحابه من قريش فإن محمّداً يردّه عليهم، _ هنا الشاهد _ ومن رجع من أصحابه إلى قريش فلا يردون إليه. فقال المسلمون في ذلك، فقال النبي ﷺ: من جاءهم منّا فأبعده الله، ومن جاءنا منهم رددناه إليهم، فلو علم الله الإسلام من قلبه جعل له مخرجاً. إذ جاء أبو جندل بن سهل بن عمرو يرسف في قيوده، فقال سهيل: هذا يا محمّد أوّل ما أفاوضك عليه أن ترده، فقال ﷺ: إنّا لم نقض بالكتاب بعد، قال: والله لا أصالحك على شيء أبداً، فقال النبي: فأجره لي، قال: ما أنا بمجيره لك، قال مكرز: بلى أجرناه، فقال النبي: إنه ليس عليه بأس، إنما يرجع إلى أبيه وأُمّه، فإني أريد أن أتم لقريش شرطها.

فلما رجع ﷺ إلى المدينة انفلت أبو بصير بن أسيد بن حارثة الثقفي من المشركين، فبعث الأخنس بن شريق في أثره رجلين فقتل أحدهما، فأتى النبي مسلماً مهاجراً، فقال ﷺ: مسعر حرب، لو كان معه واحد، ثمّ قال: شأنك بسلب صاحبك، واذهب حيث شئت، فخرج أبو بصير وتبعه خمسة نفر أيضاً، حتّى كانوا في مكان من أرض جهينة على طريق قوافل قريش مما يلي سيف البحر، وانفلت أبو جندل في سبعين راكباً أسلموا فلحقوا بأبي بصير، واجتمع إليهم ناس من غفّار وأسلم وجهينة حتّى بلغوا ثلاثمائة لا يمر بهم عير لقريش إلاّ أخذوها وقتلوا أصحابها، فأرسلت قريش أبا سفيان بن حرب إلى النبي يتضرعون إليه أن يبعث إليهم، فتقدموا عليه وقالوا: من خرج منّا إليك فامسكه غير حرج[١].

الشاهد في هذه القصة أن التجنس وإعطاء الجنسية وإعطاء حق المواطنة

---

(١) ملخصاً من مناقب ابن شهر آشوب 1741.

هو من صلاحية الدولة، بإمكانها أن تقبل وبإمكانها أن لا تقبل، لاحظنا أن رسول الله ﷺ وهو مؤسس الدولة الإسلاميّة رغم قبول أبو جندل ما أعطى حق اللجوء له، لأن لديه عهد مع قريش أن لا يقبل لجوء أحد.

هذا هو البحث الثاني السياسي، «اللهم اعطني السعة في الرزق، والأمن في الوطن»، بقيت مسألة الأمن في الوطن.

الأمن في الوطن:

الإنسان في وطنه ماذا يريد؟ يريد السعة في الرزق، والأمن في الوطن، الإمام عليّ عليه السلام يقول: «الغنى في الغربة وطن، والفقر في الوطن غربة»[1].

الأمان يوم القيامة:

جيد، هذا هو الأمان في الدنيا، وهناك أمان آخر أكثر أهمية، وهو الأمان في الآخرة، الأمان يوم القيامة، الأمان في الموت وما بعد الموت.

أيها المؤمنون، يجب أن نفكر ونطلب ونبحث عن أماننا وعوامل أماننا يوم القيامة، كيف نوفّر الأمان لنا يوم القيامة، القرآن يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ * لا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ * لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ هذا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾[2]، توجد مجموعة من الناس يسمّيهم القرآن: ﴿الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى﴾، هؤلاء يوم القيامة في أمان، ﴿وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴾، ﴿تَتَلَقَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ هذا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾.

---

(١) نهج البلاغة 4:14/56.

(٢) الأنبياء:101ـ 103.

وهناك آية أخرى تقول: ﴿مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْها وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ ﴾(١)، صار عندنا ﴿الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنى ﴾ هؤلاء أهل الأمان يوم القيامة، ﴿مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ﴾ هؤلاء أهل الأمان يوم القيامة.

لنرى من هم هؤلاء أهل الحسنى، وأهل الحسنة في الدنيا؟

نقرأ عليكم روايتين، الأولى يرويها الشيخ الصدوق بسنده:

عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يا عليّ، إن الله عز وجل وهب لك حُبّ المساكين والمستضعفين في الأرض فرضيت بهم إخواناً ورضوا بك إماماً، فطوبى لمن أحبك وصدق عليك، وويلٌ لمن أبغضك وكذب عليك...» إلى أن يقول: «يا عليّ أنت وشيعتك على الحوض تسقون من أحببتم وتمنعون من كرهتم، وأنتم الآمنون يوم الفزع الأكبر في ظل العرش، يفزع الناس ولا تفزعون، ويحزن الناس ولا تحزنون...»(٢) إلى آخر الحديث.

والثانية يرويها البرقي بسنده عن الصادق عليه السلام: «يبعث الله شيعتنا يوم القيامة على ما فيهم من ذنوب أو غيره، مُبيضّة وجوههم، مستورة عوراتهم، آمنة روعتهم، قد سهلت لهم الموارد، وذهبت عنهم الشدائد، يركبون نوقاً من ياقوت، فلا يزالون يدورون خلال الجنّة، عليهم شراك من نور يتلألأ، توضع لهم الموائد، فلا يزالون يُطعمون والناس في الحساب»(٣).

والحمد لله رب العالمين

* * *

---

(١) النمل: 89.

(٢) أمالي الصدوق 655/ 891/ 2.

(٣) المحاسن 179/1/ باب41/ ح166.

المحاضرة الثانية والأربعون:

نظرية السعادة المنزلية في الإسلام

«اللَّهُمَّ أعْطِنِي السَّعَةَ فِي الرِّزْقِ ، وَالأمْنَ فِي الْوَطَن ، وَقُرَّةَ الْعَيْن فِي الأهْل وَالْمَالِ وَالْوَلَدِ».

بسم الله الرحمن الرحيم

حديثنا الليلة يرتبط بما قرأناه في الدعاء: «اللهم أعطني السعة في الرزق، والأمن في الوطن، وقرة العين في الأهل والمال والولد».

تحدّثنا في الليلة الماضية عن السعة في الرزق ، وما هي نظرية الرزق في الإسلام.

وتحدّثنا في ليلة أخرى عن «الأمن في الوطن»، وما هي نظرية الوطن في الإسلام، وحديثنا الليلة عن «قرّة العين في الأهل والمال والولد».

معنى قرة العين أن الإنسان تكون عينه قريرة هادئة مسرورة، وكل ذلك كناية عن الحياة السعيدة، كيف تكون حياة الإنسان سعيدة مع أهله وماله وأولاده؟

الليلة عندنا حديث مهم بالنسبة للشباب، ومهم بالنسبة للشابات أيضاً، بالنسبة لعموم النساء والرجال، كيف يكون الإنسان سعيداً مع زوجته؟ وكيف تكون الزوجة سعيدة مع زوجها؟ قرة العين في الأهل كيف تكون؟ ما هي شروط الزوجة الصالحة؟ ما هي شروط الزوج الصالح؟ روايات في هذا الشأن سوف نقرؤها لكم في نماذج الحياة السعيدة؛ لأن رسول الله ﷺ لما زوّج فاطمة من عليّ عليه السلام جاء الناس يباركون كما في الرواية التي يرويها الحر العاملي في كتابه (وسائل الشيعة) جاء الناس يباركون على الطريقة الشعبية يقولون: بالرفاه والبنين.

فقال رسول الله ﷺ: «لا، بل على الخير والبركة»[١].

ذلك أن الرفاه والبنين ليس هدفاً مطلوباً، إن لم يكن فيه خير وبركة فما فائدة ذلك؟

سنصل إلى نظرية السعادة في الإسلام، وهذا هو البحث العملي (نظرية السعادة في الإسلام)، ثمّ ننتقل لبحث أخلاقي عن نموذج الحياة الزوجية السعيدة، هذه الزوجة الصالحة ما هي شروطها؟ أن تكون جميلة؟ ذات مال؟ الشاب الزوج ما هي شروطه حتّى تكون الحياة سعيدة؟ أن يكون غنياً ذا مالٍ، أو حسب شروط أخرى؟

ولادة الإمام الحسن عليه السلام:

لكن قلنا أوّلاً لدينا بحث تاريخي وسياسي عن الإمام الحسن عليه السلام باعتبار أن هذه الليلة هي ميلاد الإمام الحسن، الإمام الحسن عليه السلام ولد في النصف من شهر رمضان للسنة الثانية للهجرة النبوية الشريفة، وهو أوّل مولود للزهراء عليها السلام.

روي عن جابر بن عبد الله قال: لما ولدت فاطمة الحسن عليهما السلام قالت لعلي: سمّه.

فقال: ما كنت لأسبق باسمه رسول الله ﷺ.

فقال رسول الله ﷺ: «ما كنت لأسبق باسمه ربي عزّ وجلّ»، فأوحى الله جلّ جلاله إلى جبرئيل عليه السلام: «أنه قد ولد لمحمّد ابن ، فاهبط إليه وهنئه ، وقل له: إن علياً منك بمنزلة هارون من موسى، فسمه باسم ابن هارون ». فهبط جبرئيل عليه السلام فهنأه من الله تعالى جلّ جلاله، ثمّ قال: إن الله تعالى يأمرك أن

(١) وسائل الشيعة 21/ 24620/255.

تسميه باسم ابن هارون ، قال: «وما كان اسمه »؟ قال: شبر ، قال: «لساني عربي»، قال: سمه الحسن.

فسماه الحسن[١]. (هذه هي ثاني تسمية إلهية).

ربما البعض يسأل: هل أن الله يسمي أحداً؟ هذه أساطير أم حقائق؟ كيف يسمي الله أحداً؟

الجواب: أن هذه حقائق؛ بدليل أن الله تعالى في القرآن الكريم يشر إلى ذلك في قوله: ﴿يا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ اسْمُهُ يَحْيى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾[٢]، الله تعالى بشّر زكريا بغلام اسمه يحيى، الله تعالى سمّاه.

إذن ما هي المشكلة في أن الله يسمّي ابن رسول الله وابن عليّ؟ زكريا ليس أفضل من رسول الله، ولا أفضل من عليّ، ولا يحيى أفضل من الحسن عليه السلام، ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ اسْمُهُ يَحْيى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ﴾، هذه هي قصة تسمية الإمام الحسن عليه السلام.

أهداف الإمام الحسن عليه السلام:

الحسن عليه السلام له مهمّتان أنجزهما في حياته:

المهمة الأولى: حفظ الشيعة من الاستئصال.

والمهمة الثانية: كشف الحقيقة وتعرية الضلال.

مهمتان أساسيتان قام بهما الإمام الحسن عليه السلام في مواجهة السياسة الأموية:

---

(١) إعلام الورى 1: 411.

(٢) مريم: 7.

سياسة معاوية:

بعد أن غلب معاوية بن أبي سفيان على العراق والمدينة المنورة واستتب له الملك قامت سياسته على أمرين:

الأوّل: الحصار الإعلامي لشيعة أهل البيت عليهم السلام.

الثاني: التصفية الجسدية.

الحصار الثقافي والإعلامي هو الخطوة الأولى لمعاوية، ولكن أهل البيت والشيعة كسروا هذا الطوق وانتهى الحصار، واليوم نجد أن ألمع نجم في تاريخ الإسلام هم أهل البيت عليهم السلام، لكن معاوية بذل جهوداً كبيرة لأجل استئصال الشيعة، حتّى وصل الأمر إلى أن معاوية (كما يذكر ابن أبي الحديد) أصدر مرسوماً من نسخة واحدة إلى عماله أن برئت الذمة ممن روى شيئاً من فضل أبى تراب وأهل بيته. فقامت الخطباء في كل كورة وعلى كل منبر يلعنون علياً ويبرأون منه ويقعون فيه وفي أهل بيته، وكان أشد الناس بلاء حينئذٍ أهل الكوفة لكثرة من بها من شيعة علي عليه السلام، فاستعمل عليهم زياد بن سمية وضمّ إليه البصرة، فكان يتتبع الشيعة وهو بهم عارف؛ لأنه كان منهم أيام علي عليه السلام، فقتلهم تحت كل حجر ومدر، وأخافهم، وقطع الأيدي والأرجل، وسمل العيون، وصلبهم على جذوع النخل، وشردهم عن العراق، فلم يبق بها معروف منهم.

وكتب معاوية إلى عماله في جميع الآفاق ألاّ يجيزوا لأحد من شيعة على وأهل بيته شهادة، وكتب إليهم: أن انظروا من قِبَلكم من شيعة عثمان ومحبيه وأهل ولايته والذين يروون فضائله ومناقبه فأدنوا

مجالسهم وقربوهم و أكرموهم ، واكتبوا لي بكل ما يرو ي كل رجل منهم واسمه واسم أبيه وعشيرته. ففعلوا ذلك حتى أكثروا في فضائل عثمان ومناقبه ؛ لما كان يبعثه إليهم معاوية من الصلات والكساء والحباء والقطائع ، ويفيضه في العرب منهم والموالي ، فكثر ذلك في كل مصر ، وتنافسوا في المنازل والدنيا ، فليس يجئ أحد مردود اً من الناس عاملاً من عمال معاوية فيروى في عثمان فضيلة أو منقبة إلاّ كتب اسمه وقربه وشفعه، فلبثوا بذلك حيناً.

ثمّ كتب إلى عماله أن الحديث في عثمان قد كثر وفشا في كل مصر وفي كل وجه وناحية ، فإذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس إلى الرواية في فضائل الصحابة والخلفاء الأوّلين ، ولا تتركوا خبراً يرويه أحد من المسلمين في أبى تراب إلاّ وتأتوني بمناقض له في الصحابة ، فإن هذا أحبّ إليَّ وأقرّ لعيني وادحض لحجة أبى تراب وشيعته وأشد عليهم من مناقب عثمان وفضله. فقرئت كتبه على الناس ، فرويت إخبار كثيرة في مناقب الصحابة مفتعلة لا حقيقة لها ، وجدّ الناس في رواية ما يجرى هذا المجرى حتّى أشادوا بذكر ذلك على المنابر ، وألق ي إلى معلمي الكتاتيب ، فعلموا صبيانهم وغلمانهم من ذلك الكثير الواسع حتّى رووه وتعلموه كما يتعلمون القرآن ، وحتّى علموه بناتهم ونساءهم وخدمهم وحشمهم، فلبثوا بذلك ما شاء الله.

ثمّ كتب إلى عماله نسخة واحدة إلى جميع البلدان أنظروا من قامت عليه البينة أنه يحب علياً وأهل بيته فامحوه من الديوان وأسقطوا عطاءه ورزقه ، وشفع ذلك بنسخة أخرى : من اتهمتم وه بموالاة هؤلاء

القوم فنكلوا به واهدموا داره . فلم يكن البلاء أشد ولا أكثر منه بالعراق ولاسيّما بالكوفة ، حتّى إن الرجل من شيعة علي عليه السلام ليأتيه من يثق به فيدخل بيته فيلق ي إليه سره ويخاف من خادمه ومملوكه ولا يحدّثه حتّى يأخذ عليه الأيمان الغليظة ليكتمن عليه ، فظهر حديث كثير موضوع وبهتان منتشر ، ومضى على ذلك الفقهاء والقضاة والولاة ، وكان أعظم الناس في ذلك بلية القرّاء المرا ؤون والمستضعفون الذين يظهرون الخشوع والنسك فيفتعلون الأحاديث ليحظوا بذلك عند ولاتهم ويقربوا مجالسهم ويصيبوا به الأموال والضياع والمنازل ، حتّى انتقلت تلك الأخبار والأحاديث إلى أيدي الدّيانين الذين لا يستحلون الكذب والبهتان ، فقبلوها ورووها وهم يظنون أنها حق ، ولو علموا أنها باطلة لما رووها ولا تدينوا بها . فلم يزل الأمر كذلك حتّى مات الحسن بن علي عليه السلام ، فازداد البلاء والفتنة ، فلم يبق أحد من هذا القبيل إلاّ وهو خائف على دمه أو طريد في الأرض(١).

ووصل الحصار الإعلامي إلى مستوى أن معاوية منع من تفسير القرآن، ففي السنة التي حجّ بها وعند وصوله المدينة مرَّ بحلقة من قريش ، فلما رأوه قاموا، غير عبد الله بن عبّاس ، فقال له: يا بن عبّاس ما منعك من القيام كما قام أصحابك إلاّ لموجدة أني قاتلتكم بصفين، فلا تجد من ذلك يا بن عبّاس! فإن ابن عمي عثمان قد قتل مظلوماً! قال ابن عبّاس: فعمر بن الخطاب قد قُتل مظلوماً !. قال: إن عمر قتله كافر. قال ابن عبّاس: فمن قتل عثمان؟ قال: قتله المسلمون. قال: فذلك أدحض لحجتك. قال : فإنا قد كتبنا في الآفاق ننهى عن

---

(١) أنظر: شرح نهج البلاغة11:44.

ذكر مناقب علي وأهل بيته، فكف لسانك. فقال: يا معاوية أتنهانا عن قراءة القرآن؟! قال: لا. قال: أتنهانا عن تأويله؟! قال: نعم. قال: فنقرأه ولا نسأل عمّا عنى الله به؟ ثمّ قال: فأيهما أوجب علينا قراءته أو العمل به؟ قال: العمل به. قال: فكيف نعمل به ولا نعلم ما عنى الله؟! قال: سل عن ذلك من يتأوله غير ما تتأوله أنت وأهل بيتك. قال: إنما أنزل القرآن على أهل بيتي، فاسأل عنه آل أبي سفيان ؟! يا معاوية، أتنهانا أن نعبد الله بالقرآن بما فيه من حلال وحرام؟! فإن لم تسأل الأمّة عن ذلك حتّى تعلم تهلك وتختلف. قال: اقر أوا القرآن وتأولوه ولا ترووا شيئاً مما أنزل الله فيكم، وارووا ما سوى ذلك. قال: فإن الله يقول في القرآن: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِؤُا نُورَ اللَّهِ بِأَفْواهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكافِرُونَ ﴾[1]. قال: يا بن عبّاس أربع على نفسك، وكف لسانك، وإن كنت لا بدَّ فاعلاً فليكن ذلك سراً لا يسمعه أحد علانية[2].

قصة عمرو بن الحمق الخزاعي:

كان من هذه النماذج الرائعة البطولية التي صفّاها معاوية جسدياً عمرو بن الحمق الخزاعي، وحجر بن عدي، هذا تاريخ دام ومؤلم من ناحية، وبطولي من ناحية، لا أستطيع الآن أن أقف إلاّ عند السطر الأوّل منه.

عمرو بن الحمق الخزاعي هو بطل من أبطال شيعة أهل البيت عليهم السلام، ويروي المؤرخون أن رسول الله صلى الله عليه وآله بعث سريّة ـ يعني فرقة قتالية صغيرة ـ فقالوا: يا رسول الله ، ما معنا زاد ، ولا نهتدي الطريق ،

(١) التوبة:32.

(٢) الاحتجاج 15:2.

فقال: «إنكم ستلقون رجلاً صبيح الوجه يطعمكم من الطعام ويسقيكم من الشراب ويهديكم الطريق، هو من أهل الجنة »، فأقبلوا حتّى انتهوا إل يه من آخر النهار ، فأمر فتيان ه فنحروا جزوراً وحلبوا من اللبن ، فبات القوم يطعمون من اللحم ما شاؤوا ويسقون من اللبن، ثم أصبحوا، فق ال لهم : ما أنتم بمنطلقين حتّى تطعموا أو تزودوا، فقال فضحك رجل إلى صاحبه، فق ال: ولم ضحكت؟ فقال: أبشر ببشرى الله ورسوله، فق ال: وما ذاك؟ فقال: بعثنا رسول الله ﷺ في هذا الفج ، وأخبرناه أنه ليس لنا زاد ولا هداية الطريق، فقال : «ستلقون رجلاً صبيح الوجه يطعمكم الطعام ويسقيكم من الشراب ويد لكم على الطريق من أهل الجنّة »، فلم نلق من يوافق نعت رسول الله ﷺ غيرك . فركب معهم فأرشدهم الطريق ، ثمّ سار إلى رسول الله ﷺ حتّى بايع وأسلم و أخذ لنفس ه ولقوم ه أماناً من رسول الله ﷺ، فأقام مع رسول الله ﷺ ما أق ام وغز ا معه غزوات ، وقبض الله رسوله ﷺ فكان عمرو بن الحمق الخزاعي شيعة لعلي بن أبي طال ب عليه السلام، فلما صار الأمر إلى معاوية انحاز إلى شهر زور من الموصل ، وكتب إليه يطلب منه القدوم عليه، فلم يقدم عليه عمرو بن الحمق، فبعث إليه من قتله وجاء برأسه[1].

وفي رواية: أنه لما أسلم قال له رسول الله ﷺ: «ارجع إلى الموضع الذي هاجرت إليَّ منه ، فإذا نزل أخي أمير المؤمنين بالكوفة وجعلها دار هجرته فأته »، فانصرف عمرو بن الحمق إلى نسائه حتّى إذا نزل أمير المؤمنين عليه السلام بالكوفة أتاه فأقام معه بالكوفة ، فبينما أمير

(١) أنظر: الاختصاص:17.

المؤمنين عَلَيْتَلِاْ جالس وعمر و بين يديه فقال له : «يا عمر و، لك داراً بعها واجعلها في الأزد ، فإني غداً لو غبت عنكم لطلبتك الأزد حتّى تخرج من الكوفة متوجهاً نحو الموصل ، فتمر برجل نصراني فتقعد عنده وتستسقيه الماء فيسقيك ويسألك عن قصتك فتخبره وستصادفه مقعداً فادعه إلى الإسلام فإنه ينهض صحيحاً مسلماً، وتمر برجل محجوب جالس عن يمين الجادة فتستسقيه الماء فيسقيك ويسألك عن قصتك، وما الذي أخافك ، وممن تتوقى ، فحدّثه أن معاوية طلبك لقتلك لإيمانك بالله ورسوله وطاعتك لي و إخلاصك لولايتي ونصحك لله في دينك، فادعه إلى الإسلام فإنه يسلم فمر يدك على عينيه، فإنه يرجع بصيراً بإذن الله تعالى فيتبعانك ويكونان هما اللذان يواريان بدنك في الأرض ...»، إلى أن قال: «ويقفون أثرك ، فإذا أحسست بهم فالقهم بنفسك واقتل ما استطعت حتّى يأتيك أمر الله ، فإذا غلبوك حزوا رأسك وسيروه على قناة إلى معاوية لعنه الله، ورأسك أوّل رأس يشهر في الإسلام من بلد إلى بلد »، ثمّ يبكي أمير المؤمنين عَلَيْتَلِاْ ويقول: «وقرة عيني ابني الحسين، فإن رأسه يشهر على قناة وتستباح ذراريه بعدك يا عمرو من كربلا غربي الفرات»[1].

من هو بطل هذا الإسلام الإرهابي؟ هو معاوية بن أبي سفيان، هذا هو الإسلام الأموي الذي نعتذر أن نسميه إسلاماً، بل هذه جاهلية وليست إسلاماً، هذا هو الإرهاب الذي نعيشه اليوم، وهذه هي أصوله الأموية.

بإجماع المؤرخين إن أوّل رأس قطع ونقل من مدينة إلى مدينة

(١) الهداية الكبرى155.

هو رأس عمرو بن الحمق الخزاعي على يد قوّات معاوية بن أبي سفيان وبأمر معاوية نفسه، هذا نموذج للإسلام الأموي.

كانت أولى ملاحقات ظالمة يؤخذ فيها البريء بجرم الجاني، معاوية كان يطلب عمرو بن الحمق الخزاعي، فلما هرب عمرو ألقوا القبضَ على زوجته وألقوها في السجن، ولما قُتل عمرو بن الحمق وقَطعوا رأسه جاؤوا برأسه ورموه في حضنها وهي في السجن، فقالت: (غيبتموه عني طويلاً وأهديتموه لي قتيلاً)[1].

هذا هو أوّل رأس يُرمى في حضن الزوجة البريئة على يد الإرهابيين الأمويين، هذا هو الإسلام الأموي، وهذا نموذج لتصفيات جسدية قام بها معاوية بن أبي سفيان وجماعته.

أطفال عبيد الله بن العبّاس:

وهناك حديث عن ممارسات إرهابية كثيرة وقتل لأطفال أبرياء كما في قصة أطفال عبيد الله بن عبّاس، يذكر المؤرخون: أنه لما استوسق الأمر لمعاوية بن أبي سفيان أنفذ بسر بن أرطاة إلى الحجاز في طلب شيعة أمير المؤمنين عليه السلام، وكان على مكّة عبيد الله بن العبّاس بن عبد المطلب، فطلبه فلم يقدر عليه، فأُخبر أن له ولدين صبيين، فبحث عنهما فوجدهما وأخذهما، فأخرجهما من الموضع الذي كانا فيه، ولهما ذؤابتان، فأمر بذبحهما فذبحا، وبلغ أُمّهما الخبر، فكادت نفسها تخرج، ثمّ أنشأت تقول:

---

(١) أنظر: الاختصاص:17.

ها من أحس بابني الذين هما كالدّرتين تَشظّا عنهما الصدفُ
ها من أحس بابني الذين هما سمعي وعيني فقلبي اليوم مختطفُ
نُبئت بُسراً وما صدَّقت ما زعموا مِن قولهم ومن الإفك الذي اقترفوا
أضحت على وَدَجي ولديَّ مَرهفَةٌ مشحوذةٌ وكذاك الظلم والسرفُ

ثمّ تقول:

من دلَّ والهةً عبراءً مُفجَعةً على صبيين ماتا إذ مضى السَلَفُ

قالوا: ثمّ اجتمع عبيد الله بن عبّاس من بعد ببسر بن أرطاة عند معاوية، فقال معاوية لعبيد الله: أتعرف هذا الشيخ قاتل الصبيين؟ قال بسر: نعم ، أنا قاتلهما ، فمه؟ فقال عبيد الله: لو أن لي سيفاً! قال بسر: فهاك سيفي، وأومأ إلى سيفه، فزبره معاوية وانتهره، وقال: أنى لك من شيخ، ما أحمقك! تعمد إلى رجل قد قتلت ابنيه فتعطيه سيفك، كأنك لا تعرف أكباد بني هاشم، والله لو دفعته إليه لبدأ بك وثنى ب ي. فقال عبيد الله: بل والله كنت أبدأ بك ثمّ أثني به[١].

كانت هذه الفجائع قبل كربلاء، وقبل طفل الحسين، وهذه هي جرائم الأمويين، جرائم معاوية بن أبي سفيان، قبل أن نصل إلى يزيد بن معاوية.

هذه هي مناقب سيدنا معاوية كما يقولون، وهذا هو الإسلام الأموي.

سياسة الإمام الحسن عليه السلام:

في هذا الجو المشحون بالحقد والإرهاب والدموية كان الإمام الحسن عليه السلام له مهمتان:

---

(١) أنظر: أمالي الطوسي:20/111/76.

الأولى: الحفاظ على الشيعة من الاستئصال، حيث كان الإمام يرى أن سيف معاوية سوف يُلاحق الشيعة واحداً واحداً حتّى لا يبقي منهم أحداً، فكانت سياسته عليه السلام أن ينتقل من المعركة المسلحة إلى المعركة السياسية _ باصطلاحنا اليوم _ ومن المقاومة المسلَّحة إلى المقاومة السياسية.

قام الإمام الحسن عليه السلام بتغيير التكنيك في الموقف؛ لأن المقاومة المسلَّحة غير ممكنة ولا مجدية، فانتقل إلى المقاومة السياسية ونجح فيها، وفشل معاوية في مواجهة المقاومة السياسية، وبقى الشيعة، وما أمكن استئصالهم.

المهمة الثانية التي قام بها الإمام الحسن عليه السلام هي:

مهمة كشف الحقيقة وتعرية الضلالة، يعني كشف حقيقة الأمويين، إن معاوية لا يمثل أمير المؤمنين، لا يمثل الإسلام، إن معاوية لا يمثل القرآن، إن معاوية يمثل طاغوتاً متسلطاً بعيداً عن الدين، هذه القضية كانت تحتاج إلى سياسة، الإمام الحسن قام بدور مهم جدّاً في كشف الوجه الحقيقي للحكم الأموي من خلال الصلح، الصلح الذي كان تكتيكاً رائعاً من الإمام، الهدف هو حفظ الشيعة من الاستئصال وتعرية الضلال.

شروط كانت في هذا الصلح.

الشرط الأوّل: أن الإمام الحسن لا ينادي معاوية بـ(أمير المؤمنين)، وهذا يعني عدم الاعتراف بشرعية حكم معاوية.

الشرط الثاني: أن لا يشهد عنده في محكمة من المحاكم، وهذا فيه إشارة إلى أن محاكمه غير شرعية.

الشرط الثالث: أن يبتعد عن متابعة شيعة عليّ عليه السلام.

الشرط الرابع: أن يُعطي حقوقاً مالية لعوائل الشهداء الذين قُتلوا في معارك صفين والجمل والنهروان، وكانت هناك شروط أخرى(١).

على كل حال كانت هذه هي المهمة الثانية للإمام الحسن عليه السلام، وقد نجح في هذه المهمة.

نظرية السعادة في الإسلام:

ننتقل إلى بحثنا في نص الدعاء «قرة العين في الأهل والمال والولد».

نظرية السعادة في الإسلام، «قرة العين في الأهل والمال والولد»، مأخوذة من قوله تعالى: ﴿رَبَّنا هَبْ لَنا مِنْ أَزْواجِنا وَذُرِّيّاتِنا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنا لِلْمُتَّقِينَ إِماماً﴾(٢).

هذا هو الدعاء الثاني الذي يرويه القرآن عن المؤمنين.

صفات عباد الرحمن:

القرآن الكريم ـ باختصار ـ حينما وصف عباد الرحمن سجّل لهم اثنتي عشرة صفة، وهي بالحقيقة عشر صفات ودعاءان، جاء ذلك في سورة الفرقان: ﴿وَعِبادُ الرَّحْمنِ الَّذِينَ ...﴾.

1 ـ ﴿يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْناً﴾.

2 ـ ﴿وَإِذا خاطَبَهُمُ الْجاهِلُونَ قالُوا سَلاماً﴾.

---

(١) راجع: بحار الأنوار44:65؛ وشرح نهج البلاغة11:44.

(٢) الفرقان:74.

3 _ ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَقِياماً﴾.

4 _ ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذابَها كانَ غَراماً * إِنَّها ساءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقاماً﴾.

5 _ ﴿وَالَّذِينَ إِذا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكانَ بَيْنَ ذلِكَ قَواماً﴾.

6 _ ﴿وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلهاً آخَرَ﴾.

7 _ ﴿وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ﴾.

8 _ ﴿وَلا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذلِكَ يَلْقَ أَثاماً﴾.

9 _ ﴿وَالَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِراماً﴾.

10 _ ﴿وَالَّذِينَ إِذا ذُكِّرُوا بِآياتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْها صُمًّا وَعُمْياناً﴾.

ثمّ يقول:

11 _ ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذابَها كانَ غَراماً * إِنَّها ساءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقاماً﴾، وهذا هو الدعاء الأوّل.

12 _ الدعاء الثاني: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنا هَبْ لَنا مِنْ أَزْواجِنا وَذُرِّيَّاتِنا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنا لِلْمُتَّقِينَ إِماماً﴾(1).

هذه عشر صفات ودعاءان لعباد الرحمن.

السعادة الزوجية:

ننتقل إلى معاني الحياة الزوجية السعيدة، لنرتب هذا الموضوع على شكل روايات جميلة.

من هنّ خير النساء؟ هذه أسئلة حساسة، لكن أئمّتكم يعطونكم جواباً، خير النساء كيف يكنّ؟

---

(1) الفرقان:63 -74.

خير الرجال كيف يكونون؟

نقرأ ذلك في أحاديث أهل البيت عليهم السلام.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إن خير نسائكم الولود، الودود، العفيفة، العزيزة في أهلها، الذليلة مع بعلها، المتبرجة مع زوجها، الحصان على غيره، التي تسمع قوله وتطيع أمره، وإذا خلى بها بذلت له ما يريد منها، ولم تبذل كتبذل الرجل»(١). هذه مجموعة صفات لخير النساء.

لننظر الآن من هم خير الرجال.

أيضاً يقول رسول الله صلى الله عليه وآله ـ كما في الرواية التي يرويها الحر العاملي في (وسائل الشيعة)، وهو من أهم كتب الحديث لدى شيعة أهل البيت عليهم السلام ـ: «إن من خير رجالكم التقي، النقي، السمح الكفين، السليم الطرفين، البَرّ بوالديه، ولا يلجئ عياله إلى غيره».

ثمّ قال صلى الله عليه وآله: «ألا أخبركم بشر رجالكم؟».

قالوا: بلى يا رسول الله.

فقال صلى الله عليه وآله: «إن من شر رجالكم البهّات، البخيل، الفاحش، الآكل وحده، المانع رفده، الضارب أهله وعبده، الملجئ عياله إلى غيره، العاق بوالديه»(٢).

أعطيكم نموذج لأخلاق المرأة الصالحة، قال الإمام الرضا عليه السلام: «ما أفاد عبد فائدة خيراً من زوجة صالحة صالحة، إذا رآها سرَّته، وإذا غاب عنها حفظته في نفسها وماله»(٣)، هذه نموذج لأخلاق المرأة الصالحة.

جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله، إن لي زوجة

---

(١) الكافي 5: 324/ باب خير النساء/ ح 1.

(٢) وسائل الشيعة 20: 34/ 24958/ 2.

(٣) الكافي 5: 327/ باب من وفق له الزوجة الصالحة/ ح 3.

إذا دخلت تلقتني، وإذا خرجت شيعتني، وإذا رأتني مهموماً قالت: ما يهمك؟! إن كنت تهتم لرزقك فقد تكفل لك به غيرك، وإن كنت تهتم لأمر آخرتك فزادك الله هماً.

فقال رسول الله ﷺ: «إن لله عمالاً، وهذه من عمّاله، لها نصف أجر شهيد»(١).

نصل إلى نظرية السعادة في الإسلام، حيث يرى الإسلام ضرورة اجتماع البُعدين: البُعد المادي، والبُعد الأخلاقي.

البُعد المادي مطلوب، وكذلك البُعد الأخلاقي مطلوب.

أقرأ لكم رواية بهذا الخصوص، الرواية تقول عن الصادق عليه السلام: «إذا تزوج الرجل المرأة لجمالها أو لمالها وُكِل إلى ذلك، وإذا تزوجها لدينها، رزقه الله المال والجمال»(٢).

نموذج للحياة السعيدة فاطمة وعليّ عليهما السلام، كانت فاطمة تعجن وتطبخ وتطحن، وكان عليّ يحتطب ويطبخ ويكنس البيت(٣).

والحمد لله رب العالمين

* * *

---

(١) من لا يحضر الفقيه 3/389/4369.

(٢) وسائل الشيعة 20/49/25004/1.

(٣) عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «كان أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) يحتطب ويستقي ويكنس، وكانت فاطمة (سلام الله عليها) تطحن وتعجن وتخبز». الكافي 5/86/ باب عمل الرجل في بيته/ ح 1.

المحاضرة الثالثة والأربعون:

شروط الزواج السعيد

«اللَّهُمَّ أعْطِنِي السَّعَةَ فِي الرِّزْقِ ، وَالأمْنَ فِي الْوَطَن ، وَقُرَّةَ الْعَيْن فِي الأهْل وَالْمَالِ وَالْوَلَدِ».

بسم الله الرحمن الرحيم

حديثنا الليلة عن نظرية السعادة في الإسلام. «اللهم أعطني السعة في الرزق، والأمن في الوطن، وقرة العين في الأهل والمال والولد»، ونحن ذكرنا أن قرة العين في الأهل والمال والولد إشارة إلى السعادة في الحياة، وما هي نظرية الإسلام في السعادة، وهذا بحث علمي، الإسلام ماذا يرى؟ هل السعادة في الدنيا مطلوبة للإنسان؟ أم أن الدنيا بما أنها دار فناء وليست دار بقاء إذن لماذا نطلب السعادة في الدنيا؟ دعنا نعيش في قمم الجبال، أو في عمق الصحاري، ولا نبحث عن السعادة في الدنيا، كما هي نظرية بعض الصوفية، ونظرية بعض الفلسفات الحديثة، فلسفات البؤس الحديثة التي ترى أن الابتعاد عن الدنيا مطلقاً والعيش في الشوارع والمنام في محطات القطارات والابتعاد عن النظافة والتجمل تراه هو الأفضل.

الإسلام كما يريد للإنسان السعادة في الآخرة يريد له السعادة في الدار الدنيا أيضاً.

ولهذا عندنا رواية عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يقول:

«قوام الدنيا بأربع: 1 _ عالم يعمل بعلمه، 2 _ وجاهل لا يستنكف أن يتعلم، 3 _ وغني يجود بماله على الفقراء، 4 _ وفقير لا يبيع آخرته بدنياه، فإذا لم يعمل العالم بعلمه استنكف الجاهل أن يتعلم، وإذا بخل الغني بماله باع الفقير آخرته بدنياه»[1].

---

(١) نهج البلاغة 4:88/372.

الإمام الصادق عليه السلام يقول: «خمس خصال، من فقد واحدة منهن لم يزل ناقص العيش، زائل العقل، مشغول القلب، فأوّلها: صحة البدن، والثانية: والأمن، والثالثة: السعة في الرزق، والرابعة: الأنيس الموافق»، قيل: وما الأنيس الموافق؟ قال: «الزوجة الصالحة، والولد الصالح، والخليط الصالح. والخامسة وهي تجمع هذه الخصال: الدِعة[١]»[٢].

نرجع إلى أصل الموضوع، وهو نظرية السعادة في الإسلام.

الإسلام يقول: إن سعادة الآخرة يجب أن لا تكون على حساب سعادة الدنيا، وإنما «اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً»[٣]، ولهذا في الدعاء هكذا قرأنا: «اللهم أعطني السعة في الرزق، والأمن في الوطن، وقرة العين في الأهل والمال والولد، والمقام في نعمك عندي، والقوة في الجسم، والسلامة في البدن»، الإسلام يريد كل هذه: القوة في الجسم، والسلامة في البدن. هذا ما نقرؤه.

نسأل لماذا الدعاء؟

لا بدَّ من الدعاء، ﴿قُلْ ما يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْ لا دُعاؤُكُمْ﴾[٤]، إن كل عوامل السعادة من الرزق، العافية، الولد، الأهل، هي جميعاً تحتاج إلى توفيق من الله تعالى، فلا بدَّ من الدعاء لاستنزال العطف الإلهي.

---

(١) الدِعة: الراحة ولين العيش.

(٢) الخصال284.

(٣) مستدرك الوسائل 1/2201461.

(٤) الفرقان:77.

زواج التجربة:

في الغرب يوجد زواج اسمه الزواج التجربة لمدة شهر أو شهرين، وإذا لم ينسجموا خلال هذه الفترة فإنهم سوف يفترقون، هذا الزواج هو بهدف استكشاف الطرفين كلٌ منهما للآخر.

ولكن هذا الزواج لم يحل المشكلة، بل تعقدت الأمور أكثر في الغرب؛ لأن هذا الزواج بدل أن يكون بهدف تجربة تحوَّل إلى متعة ومؤانسة، وأدى إلى الابتعاد عن الزواج الحقيقي، والعلاقة الحقيقة، في العالم العربي والإسلامي يوجد بحث واسع وجدل عريض في مسألة ما يسمى بالزواج السياحي، وزواج المسيار، وانتشر بشكل واسع باسم الزواج العرفي.

هذا ينطلق من مشكلة حقيقية، هذه المشكلة أهل البيت عليهم السلام قدموا لها الحل الصحيح، مذهب أهل البيت اعترف بالزواج المسمى بالزواج المنقطع، لمدة شهر وشهرين وسنة وسنتين للظروف التي لا تسمح للإنسان أن يتزوج زواجاً دائماً، حسناً، الإسلام قال لا توجد ثمة مشكلة، إنه زواج مؤقت على سُنّة الله ورسوله، المذاهب الأخرى أغلقوا هذا الباب وقالوا هذا حرام، وأخيراً رجعوا إلى الزواج السياحي وزواج المسيار، إلى زواج التجربة، والزواج العرفي، هذا كله نتيجة أنهم أغلقوا الباب الذي فتحه الإسلام، وذهبوا إلى نموذج آخر.

فقهاء متحجّرون من المذاهب السلفية التي لا ترضى بمذهب أهل البيت وانفتاحهم، أغلقوا على الناس باب الحلال، فذهب الناس إلى الحرام، إلى الفحشاء.

على كل حال، الزواج التجربة قد تكون ناجحة، وقد تكون غير ناجحة، إذن نحتاج إلى توفيق من الله تعالى: ﴿رَبَّنا هَبْ لَنا مِنْ أَزْواجِنا وَذُرِّيّاتِنا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾(١).

يجب أن أقف عند الإمام الحسن وولادته عليه السلام.

شخصية الإمام الحسن عليه السلام:

الإمام الحسن عليه السلام عُرف بعبادته وشخصيته، حتّى نجد أن الرواة يقولون: كان من مهابته أنه إذا جلس على باب الدار انقطع المارة؛ لمهابته عليه السلام، فلما يرى انقطاع المارة يقوم فيدخل فيمضي الناس.

هذه الرواية أقرأها لكم لجمالها، يرويها العلامة المجلسي في البحار، يقول الراوي: ما بلغ أحد من الشرف بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ما بلغ الحسن، كان يبسط له على باب داره، فإذا خرج وجلس انقطع الطريق، فما مرَّ أحد من خلق الله إجلالاً له، فإذا علم قام ودخل بيته، فمر الناس. قال: ولقد رأيته في طريق مكّة ماشياً، فما من خلق الله أحد إلاّ نزل ومشى(٢).

عِلْم الإمام الحسن عليه السلام:

وهكذا رواية أخرى في علم الإمام الحسن عليه السلام تقول: أن الحسن بن علي عليه السلام كان يحضر مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله وهو ابن سبع سنين ، فيسمع الوحي فيحفظه، فيأتي أُمّه فيلقي إليها ما حفظه، فلما دخل علي عليه السلام وجد عندها علماً ،

(١) الفرقان:74.

(٢) بحار الأنوار33843؛ عن: مناقب آل أبي طالب 1743.

فيسألها عن ذلك ، فقالت: من ولدك الحسن . فتخفى يوماً في الدار وقد دخل الحسن وقد سمع الوحي، فأراد أن يلقيه إليها فار تج عليه، فعجبت أُمّه من ذلك ! فقال: لا تعجبين يا أُمّاه، فإن كبيراً يسمعني ، واستماعه قد أوقفني، فخرج عل ي فقبله. وفي رواية: يا أُمّاه قل بياني، وكل لساني، لعلَّ سيداً يرعاني[١].

الإمام الحسن عليه السلام واجه حصاراً إعلامياً وتصفيات جسدية.

وكان أوّل من شرَّع الإرهاب بشكل رسمي هو معاوية.

لذا كان أحد شروط الصلح بين الحسن عليه السلام ومعاوية أن لا يتتبع شيعة أمير المؤمنين عليه السلام، لكن معاوية تتبع الشيعة واحداً واحداً، حتّى كتب كتاباً يقول: (أنظروا من قِبَلكم من شيعة علي من اتهمتموه بحبه فاقتلوه وإن لم تثبت عليه البينة)، فقتلوهم على التهمة والظنة والشبهة تحت كل حجر، حتّى لو كان الرجل تسقط منه كلمة ضربت عنقه، وحتّى كان الرجل يرمى بالزندقة والكفر يكرم ويعظم ولا يتعرض له بمكروه، ولكن الرجل من الشيعة لا يأمن على نفسه في بلد من البلدان، لاسيّما الكوفة والبصرة[٢].

قصة حجر بن عدي:

هذه التصفيات الجسدية التي شملت الشيعة من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، وكان منهم حُجر بن عدي، قتله معاوية في منطقة تبعد أميال من دمشق اسمها (مرج عذراء)، هناك حَفر له قبراً وقطع رأسه، مع ثمانية من خيار المؤمنين من شيعة أمير المؤمنين عليه السلام قتلهم معاوية[٣].

---

(١) أنظر: مناقب آل أبي طالب 1753.

(٢) أنظر: شرح نهج البلاغة44:11.

(٣) أنظر: تاريخ الطبري 2024.

الرواية تقول : دخل معاوية على عائشة ، فقالت: ما حملك على قتل أهل عذراء حجر وأصحابه؟ فقال: يا أُمّ المؤمنين ، إني رأيت قتلهم صلاحاً للأُمّة، وبقاءهم فساداً للأُمّة، فقالت: سمعت رسول الله ﷺ قال: «سيقتل بعذراء ناس يغضب الله لهم وأهل السماء»[١].

ولكن معاوية لم يكترث لذلك.

وفي رواية أن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «يا أهل العراق ، سيقتل سبعة نفر بعذراء مثلهم كمثل أصحاب الأخدود»، فقتل حجر بن عدي وأصحابه[٢].

هذا حجر بن عدي دخل على أمير المؤمنين عليه السلام في ليالي شهادته، فلما أصبح استأذن الناس عليه، فأذن لهم بالدخول، فدخلوا عليه وأقبلوا يسلمون عليه وهو يرد عليهم السلام، ثمّ قال: «أيها الناس اسألوني قبل أن تفقدوني وخففوا سؤالكم لمصيبة إمامكم »، فبكى الناس عند ذلك بكاءً شديداً، وأشفقوا أن يسألوه تخفيفاً عنه، فقام إليه حجر بن عدي الطائي وقال:

فيا أسفى على المولى التقي — أبي الأطهار حيدرة الزكي
قتله كافر حنث زنيم — لعين فاسق نغل شقي
فيلعن ربنا من حاد عنكم — ويبرأ منكم لعناً وبي
لأنكم بيوم الحشر ذخري — وأنتم عترة الهادي النبي

فلما بصر به وسمع شعره قال له: «كيف لي بك إذا دعيت إلى البراءة مني، فما عساك أن تقول ؟»، فقال: والله يا أمير المؤمنين لو قطعت بالسيف إرباً إرباً وأضرم لي النار وألقيت فيها لآثرت ذلك على البراءة

---

(١) بحار الأنوار12418.

(٢) إعلام الورى 93:1.

منك، فقال: «وُفقت لكل خير يا حجر، جزاك الله خيراً عن أهل بيت نبيك»[١].

بعد شهادة الإمام الحسن عليه السلام اُلقي القبض على حجر بن عدي وأصحابه، وصعدوا بهم من الكوفة إلى الشام، وكان أكثر الناس بلاء يومئذٍ شيعة الكوفة، في مرج عذراء عرضوا عليه البراءة من علي، فامتنع، ثمّ طَلَب منهم أن يُصلي وقال: والله ما توضأت حتّى صليت، أذِنوا له بالصلاة، فصلى وخفف صلاته، ثمّ قال: والله ما صليت صلاة أخف من هذه الصلاة، حتّى لا تقولوا طوَّل بصلاته خوفاً من الموت، ثمّ قُطع رأسه هو وثمانية من أصحابه[٢].

وكان معاوية يعرف منزلة حجر، ويعرف أن قتله جناية عظيمة، لذا كان يقول وهو على فراش الموت: أي يومٌ لي من حجر وأصحاب حجر[٣].

وقال ابن عساكر: قال معاوية : ما قتلت أحداً إلاّ وأنا أعرف فيم قتلته، ما خلا حجراً، فإني لا أعرف بأيّ ذنب قتلته[٤].

وفي تاريخ الطبري: قال ابن سيرين : بلغنا أن معاوية لما حضرته الوفاة جعل يغرغر بالصوت ويقول: يومي منك يا حجر يوم طويل[٥].

هذه التصفيات الجسدية التي قامت بها السياسة الأموية، وقد عمل الإمام الحسن عليه السلام على أن لا يُستأصل شيعة عليّ عليه السلام، ومع ذلك جرى الاستئصال عليهم تحت كل حَجَر ومَدَر.

---

(١) بحار الأنوار290:42.

(٢) راجع: تاريخ الطبري 206:4.

(٣) مختصر أخبار شعراء الشيعة:51.

(٤) تاريخ دمشق231:12.

(٥) تاريخ الطبري 191:4.

يبدو أن حجر كان ثورياً لما صالح الإمام الحسن عليه السلام معاوية، وكان لا يطيق الصلح، لكن طاعة الإمام فرضت عليه ذلك، فقد جاء للإمام وقال له: لوددت أننا متنا ولم نرَ هذا اليوم، الإمام بعد ذلك أسرَّه قائلاً: «يا حِجر، ليس كل إنسان يحب ما تحب، ولا رأيه كرأيك، وإني لم أفعل ما فعلت إلاّ إبقاءً عليكم»[(١)].

شروط الزواج السعيد:

قلت لكم أمس أن الإسلام يبحث عن عاملين: عامل مادي، وعامل معنوي، وليس مع نظرية العامل الواحد. الإسلام يقول: السعادة تحتاج إلى أكثر من عامل وليس عامل واحد، تحتاج إلى عوامل مادية وعوامل أخلاقية ومعنوية.

الرواية عن الرسول صلى الله عليه وآله قال: «إيّاكم وخضراءَ الدِمَن»، قالوا: يا رسول الله وما خضراء الدمن؟ قال: «المرأة الحسناء في منبت السوء»[(٢)]، هي جميلة ولكن منبتها سيء، يقول صلى الله عليه وآله ابحثوا عن جمال معنوي، ولا يغركم الجمال المادي وحده.

ما هي شروط الزوج الصالح؟

تقول الرواية: «إذا جاءكم من تَرضَون خُلُقه ودينه فَزوجوه»[(٣)].

الشرط الأوّل: الأخلاق الحسنة.

الشرط الثاني: الدين.

---

(١) مناقب آل أبي طالب 3: 197.

(٢) الكافي 5: 332 / باب اختيار الزوجة/ ح 4.

(٣) الكافي 5: 347 / باب أن المؤمن كفؤ المؤمنة/ ح 2 و3.

الشرط الثالث: الكفاءة بمعنى اقتداره على إدارة الحياة الزوجيّة.

الكفاءة كما قال الإمام الصادق عليه السلام: «الكفؤ أن يكون عفيفاً وعنده يسار»[١].

السؤال الثالث: ما هو نموذج المعاشرة المطلوبة؟ ما هو الواجب على الرجل تجاه المرأة؟

واجبات الزوج:

يجب على الرجل أربعة أمور:

1 _ العدالة في سلوكه مع زوجته، قال تعالى: ﴿وَلا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ﴾[٢].

2 _ المعروف بمعنى أن يعاشرها معاشرة معروف قال الله تعالى: ﴿وَعاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾[٣].

3 _ الإحسان إليها.

أقرأ لكم عدة روايات في هذا المجال:

الرسول صلى الله عليه وآله يقول: «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيرُكم لأهلي»[٤].

الإمام الصادق عليه السلام يقول: «رحم الله عبداً أحسن فيما بينه وبين زوجته، فإن الله عز وجل قد ملّكه ناصيتها وجعله القيّم عليها»[٥].

---

(١) الكافي 5:347 / باب الكفؤ / ح 1.

(٢) الطلاق: 6.

(٣) النساء: 19.

(٤) من لا يحضره الفقيه 3:555/4908.

(٥) من لا يحضره الفقيه 3:443/4537.

واجبات متبادلة:

توجد ثلاثة أمور متقابلة مطلوبة من الرجل ومن المرأة، من الزوجة ومن الزوج، نسميها الأمور المتبادلة بين الزوج وزوجته، وهي:

أوّلاً: الخدمة المتبادلة، كانت الزهراء عليها السلام تعجن وتطبخ، وكان عليّ عليه السلام يحتطب، ويكنس، ويُقمّ البيت، يعني ينظف البيت[1].

وتقول الرواية: «ما من امرأة تسقي زوجها شربة من ماء إلاّ كان خيراً لها من عبادة سنة، صيام نهارها وقيام ليلها، ويبني الله لها بكل شربة تسقي زوجها مدينة في الجنّة، وغفر لها ستين خطيئة».[2]

ثانياً: الزينة، المرأة تتزين لزوجها، والزوج كذلك.

يقول الراوي: رأيت أبا الحسن _ الإمام الرضا عليه السلام _ اختضب.

فقلت: جعلت فداك أمُختضب؟

قال: «نعم، إن التهيئة مما يزيد في عِفّة النساء، ولقد ترك النساء العفة بترك أزواجهن التهيئة».

ثمّ قال عليه السلام: «أيسرك أن تراها على ما تراك عليه إذا كنت على غير تهيئة؟». قلت: لا. قال: «فهو ذلك».

إن هذه قضية وجدانية، كما تريدها تريدك هي كذلك.

ثمّ قال عليه السلام: «من أخلاق الأنبياء التنظّف، والتطيّب، وحلق الشعر»[3].

ثالثاً: الصبر والعفو المتبادل.

والحمد لله رب العالمين

---

(١) وردت الرواية بهذا المعنى في الكافي 5:86/ باب عمل الرجل في بيته/ ح 1.

(٢) وسائل الشيعة 20: 172/ 25343/ 3.

(٣) الكافي 5: 567 / باب نوادر/ ح 50.

المحاضرة الرابعة والأربعون:

عشرة مفاهيم في الذرية الصالحة

«اللهم وأسألُكَ قُرّةَ العَيْن في الأهْل والمالِ والوَلَدِ».

بسم الله الرحمن الرحيم

ليلة القدر هذه ينبغي أن تُصرف لطلب الحاجات والدعاء والتضرع والبكاء، وأيّ ساعاتٍ عندنا أفضل من هذه الساعات! والحقيقة أنه لا يمكن أن نتصور من كرم الكريم أن يترك عباده في هذه المحافل بدون أن يجيبهم، ولهذا أنا أرجوكم جميعاً أن تتضرعوا إلى الله وتطلبوا حاجاتكم، فإن ربكم كريم عليم قدير، لكن لا بدَّ أن نعيش أجواء الدعاء وآداب الدعاء؛ لأن الله تعالى يريد العبد المؤدب.

هناك فرق بين الضيف المؤدَّب بآداب الضيافة والضيف غير المؤدَّب، ونحن نرجو أن نكون من الضيوف المؤدَّبين بآداب الضيافة، والدعاء يقول: «اللهم إني أسألك قُرّة العين في الأهل والمال والولد»، ونحن في المحاضرات السابقة شرحنا وعشنا معنى «قرة العين في الأهل».

الليلة حديثنا عن «قرة العين في الولد»، كيف يكون الإنسان قرير العين بأولاده؟ وما هي العلاقة التي تحكم بين الآباء وبين الأبناء؟

هنا مجموعة مفاهيم، وهذا يدخل في سلسلة بحوث الاجتماع الإسلامي.

الاجتماع الإسلامي كيف ينظّم العلاقة بين الآباء والأبناء؟ هل نريد أبناء، أو لا نريد أبناء؟ هنا عشرة مفاهيم أعرضها هذه الليلة في مسألة العلاقة بين الآباء والأبناء، واستعرض روايات عن الأئمّة الأطهار

عليهم السلام؛ لنكون قريبين من النصوص الشريفة، وتسمعون أئمّتكم ماذا قالوا؟ ورسول الله صلى الله عليه وآله ماذا قال؟

المفهوم الأوّل: استحباب التناسل في الإسلام ، حيث يُستحبّ أن يكون للإنسان ولد، ومعنى يُستحب أن الله تعالى يحب للإنسان رجلاً كان أو امرأة أن يثمر في هذه الدنيا ولداً، ولا يموت كالشجرة اليابسة بحيث ليس له ثمر وليس له امتداد، والمسألة ليست أُنساً بهذا الولد، وإنما كما سأشرحه لكم، وإنما هذا امتداد أُخروي.

جيد، المفهوم الأوّل استحباب أن يكون للإنسان ذرية، ولهذا حتّى الأنبياء طلبوا ذرية، فقال زكريا: ﴿رَبِّ لا تَذَرْنِي فَرْداً وَأَنْتَ خَيْرُ الْوارِثِينَ ﴾[1]. طلب الذرية مستحب، التناسل مستحب، هذا هو المفهوم الأوّل.

وسوف أقرأ لكم روايتين، لكن دعوني أذكر المفاهيم كلها ثمّ نأتي إلى الروايات.

المفهوم الثاني: الأساس الأُخروي في استحباب التناسل، استحباب التناسل في الإسلام ليس على أساس منطلقات مادية دنيوية، ولا استحبابه لنزعة فطرية، رغم أن كل ذلك استحقاقات ورغبات لا يعارضها الإسلام. لكن الإسلام، يعطي بعداً أعمق للمسألة، وهو اعتبار الولد امتداداً لأبيه على مدى العمر الأبدي لما بعد الحياة الدنيا.

المفهوم الثالث: أن الإسلام لا يفرق بين الذكر والأنثى، ابن أو بنت، وفي اللغة حينما يقال (ولد) فإنه يُستعمل للأعم من الابن والبنت،

(١) الأنبياء:89.

هذه الذرية سوف تصل أعمالهم الصالحة لك، ولا فرق حينئذٍ بين أن يكون عندك ذرية ابن أو بنت، هذا هو المفهوم الثالث.

المفهوم الرابع: استحباب أن يكون للإنسان بنات، رغم أنه لا فرق بينهما كما أشرنا إليه، لكن يوجد استحباب أن يطلب الإنسان من الله أن يرزقه البنت، هذا المفهوم الرابع.

المفهوم الخامس: بعض النساء جئن لرسول الله ﷺ وقلن: يا رسول الله، ذهب الرجال بالفضل، بالجهاد في سبيل الله، أفما لنا عمل ندرك به عمل المجاهدين في سبيل الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «مهنة إحداكن في بيتها تدرك عمل المجاهدين في سبيل الله»[1].

المفهوم السادس: مسؤولية التربية على الإنسان لأولاده.

المفهوم السابع: مسؤولية الرعاية التي تبدأ من قبل انعقاد النطفة، حيث يوجد مستحبّات قبل انعقاد النطفة، ويوجد مستحبات أثناء الحمل، ويوجد مستحبات بعد الولادة، حتّى يصير عندك ولد قرة العين، «اللهم وقرة العين في الأهل والمال والولد» هذا المفهوم السابع.

المفهوم الثامن: الله تبارك وتعالى أرقّ وأرأف بالبنات.

المفهوم التاسع: استحباب بعض الأعمال حتّى يرزقه الله تعالى الولد.

المفهوم العاشر: كما يُستحب التربية الأخلاقية المعنوية الدينية للأولاد كذلك يستحب التربية الفنية.

لكل زمان فنون خاصة، ولكل مجتمع آليات حركته الخاصة،

---

(١) روضة الواعظين 376.

أنت في ذلك الزمان مستحب تعلّمه السباحة وركوب الخيل، هذا الزمان لا يوجد خيل، إذن مستحب أن تعمله سياقة السيارات وسائر حاجات المجتمع المدني. وهذا بحث فقهي طبعاً، وأنا لا أريد أن أعطي فتوى شرعية، لكن عندنا مبدأ فقهي اسمه (تنقيح المناط)، وهو يعني وحدة الهدف والخلفيّة. ذلك الزمان كان يستحب تعليمه ركوب الخيل والرماية، وهذا الزمان لا يوجد رماية سهام، إنما يوجد تعليم السلاح، فهل نستطيع أن نوسّع الفكرة الشرعية لذلك، فنقول إذن يستحب تعليم الأمور الفنية من قبيل الكمبيوتر والفنون الأخرى التي يحتاجها الإنسان؟

أقرأ لكم مجموعة أحاديث جميلة نتبرك بها، فترون جمال الإسلام ولطافته وحلاوته من خلال أحاديث فيها قصص جميلة.

الحديث يقول: عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «إن فلاناً _ رجلاً سمّاه _ قال: إني كنت زاهداً في الولد، حتّى وقفت بعرفة، فإذا إلى جانبي غلام شاب يدعو ويبكي ويقول: يا رب والديَّ والديَّ، فرغّبني في الولد حين سمعت ذلك»[١].

في كلام الإمام الصادق عليه السلام إشارة إلى أن الولد هو امتداد _ في الحقيقة _ للإنسان، ولهذا فإن الإنسان يرغب في الولد ليس لمصالح شخصية، وإنما لمصالح أُخروية.

وفي حديثٍ آخر قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «مرَّ عيسى بقبر يُعذب صاحبه ثمّ مرَّ به من قابل فإذا هو لا يُعذب، فقال: يا رب، مررت بهذا القبر عام أوّل فكان يُعذّب، ومررت به العام فإذا هو ليس يُعذّب! فأوحى

(١) الكافي 6: 3/ باب فضل الولد/ ح 5.

الله إليه أنه أدرك له ولدٌ صالح فأصلح طريقاً وآوى يتيماً، ولهذا غفرت له بما فعل ابنه»[1].

حديث ثالث: رجل يقول: تزوجت في المدينة، فقال لي أبو عبد الله الصادق عليه السلام: كيف رأيت؟ فقلت: ما رأى رجل من خير في امرأةٍ إلاّ وقد رأيته فيها! ولكن خانتني.

قال الإمام : وما هو؟ قال: ولدت لي جارية! فقال له الإمام عليه السلام: لعلّك كرهتها، إن الله عز وجل يقول: ﴿آباؤُكُمْ وَأَبناؤُكُمْ لا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعاً﴾[2].[3] فلماذا تكره هذه الجارية وأنت لا تعلم النفع أين.

الإمام الصادق عليه السلام في قصة أخرى أيضاً حين رأى أحد أصحابه متألماً لأن زوجته ولدت له بنتاً، فقال له: إن الغلام الذي قتله الخضر كان ذكراً، ولكن الله تعالى أبدل أبويه بنتاً ولدت سبعين نبياً، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الْغُلامُ فَكانَ أَبَواهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينا أَنْ يُرْهِقَهُما طُغْياناً وَكُفْراً * فَأَرَدْنا أَنْ يُبْدِلَهُما رَبُّهُما خَيْراً مِنْهُ زَكاةً وَأَقْرَبَ رُحْماً﴾[4]، اسمعوا نص الرواية:

وُلِد لرجل من أصحابنا جارية، فدخل على أبي عبد الله عليه السلام، فرآه متسخّطاً، فقال له الإمام عليه السلام: «أرأيت لو أن الله أوحى إليك أن أختار لك أو أنت تختار لنفسك، ما كنت تقول؟».

قال: كنت أقول: يا رب، تختار لي.

---

(١) الكافي 6: 3/ باب فضل الولد/ ح12.

(٢) النساء: 11.

(٣) الكافي 6: 4/ باب فضل البنات/ ح 1.

(٤) الكهف: 80 و81.

قال: «فإن الله ﷻ قد اختار لك».

ثمّ قال: «إن الغلام الذي قتله العالم _ الخضر _ الذي كان مع موسى، وهو قول الله ﷻ: ﴿فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْراً مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْماً﴾(١) أبدلهما الله ﷻ به جارية ولدت سبعين نبياً»(٢).

حديث آخر عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «البنات حسنات، والبنون نعمة، فإنما يُثاب على الحسنات، ويُسأل عن النعمة»(٣).

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إن الله تبارك وتعالى على الأُناث أرأف منه على الذكور»(٤).

الإمام الصادق عليه السلام يقول: « إذا أصاب الرجل ابنةً بعث الله إليها مَلَكاً، فأمرَّ جناحه على رأسها وصدرها، وقال: ضعيفةٌ خُلقت مِن ضَعف، المنفق عليها مُعان»(٥)، يعني الله تعالى يعين من ينفق عليها.

وفي رواية عن الحارث النصري قال: قلت للإمام الصادق عليه السلام: إني من أهل بيت قد انقرضوا، وليس لي ولد، فقال له الإمام عليه السلام: «ادعُ وأنت ساجد: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾(٦)، ﴿رَبِّ لا تَذَرْنِي فَرْداً وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾(٧)»، ففعلت، فوُلِد لي علي والحسين(٨).

---

(١) الكهف:81 .

(٢) الكافي 6:6/ باب فضل البنات/ ح11.

(٣) الكافي 6:6/ باب فضل البنات/ ح 8 .

(٤) الكافي 6:6/ باب فضل البنات/ ح 7.

(٥) وسائل الشيعة21/ 368/ 27322/ 5.

(٦) آل عمران:38.

(٧) الأنبياء:89 .

(٨) الكافي 6:8/ باب الدعاء في طلب الولد/ ح 2.

دعاء آخر لمن كان يريد الذرية.

في رواية أن الإمام الحسن عليه السلام كان حاضراً عند معاوية يوماً، فلما خرج تبعه بعض حجّابه وقال: إني رجل ذو مال ولا يولد لي، فعلمني شيئاً لعلَّ الله أن يرزقني ولداً، فقال: «عليك بالاستغفار»، فكان يكثر من الاستغفار، حتّى ربما استغفر في اليوم سبعمائة مرة، فولد له عشرة بنين، فبلغ ذلك معاوية، فقال: هلاّ سألته مم قال ذلك؟ فسأله الرجل، فقال: «ألم تسمع قول الله عز وجل في قصة هود: ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ﴾[١]، وفي قصة نوح: ﴿وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ﴾[٢]»[٣].

إذن الاستغفار له أثرٌ على مستوى الذرية. هذا فيمن أراد أن يرزقه الله ولداً.

الرواية تقول: «من أعال ابنتين أو أختين أو عمّتين أو خالتين حجبتاه من النار»[٤].

وجاء شخص إلى الإمام الصادق عليه السلام فقال: يا بن رسول الله، وُلِد لي ثمان بنات رأس على رأس، ولم أرَ قط ذكراً.

فقال الصادق عليه السلام: «إذا أردت المواقعة، وقعدت مقعد الرجل من المرأة فضع يدك اليمنى على يَمين سرَّة المرأة، واقرأ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ

(١) هود:52.

(٢) نوح:12.

(٣) وسائل الشيعة21: 373، 27333/ 4.

(٤) وسائل الشيعة21: 362، 27307/ 5.

الْقَدْرِ ﴾[١] سبع مرّات، ثمّ واقع أهلك، فإنك ترى ما تحب، وإذا تبينت الحمل فمتى ما انقلبت من الليل فضع يدك يمنة سرّتها واقرأ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ سبع مرّات»، قال الرجل: ففعلت، فوُلِد لي سبع ذكور رأس على رأس، وقد فعل ذلك غير واحد فرُزِقوا ذكورة[٢].

يوجد ثلاث مستحبات عند المقاربة:

المستحب الأوّل: أن تتم العملية على وضوءٍ وطهارة، وهي ليست عملية حيوانية، وإنما عملية فيها بُعد معنوي إنساني.

المستحب الثاني: أن تبدأ بذكر الله وتقول: (بسم الله الرحمن الرحيم).

المستحب الثالث: أن لا تتكلم، وإنما تكون مشغولاً بذكر الله، وبذلك تحوّلت العملية من ممارسة بهيمية حيوانية إلى ممارسة تكاملية، حينئذٍ يخرج الولد طفلاً صالحاً.

من الطبيعي أن يخرج الولد صالحاً إذا كان الجو كله محاط بتنقية بمواد تعقيم ومواد تطهير، الشيطان ليس له طريق.

أنتم تعلمون أن الشيطان يشارك الإنسان، ﴿وَشارِكْهُمْ فِي الأَمْوالِ وَالأَوْلادِ﴾[٣]، يُشارك الإنسان حتّى في العملية الجنسية، إذا كانت العملية عملية حيوانية، لكن إذا صار فيها طهارة وصار فيها بسم الله الرحمن الرحيم وذكر الله، فإن الشيطان من أين ما يأتي يجد الباب مغلقاً، هذه معقّمات، هذه تطهيرٌ للبيئة، البيئة المعنوية؛ لأن هذا الوليد يحتاج إلى بيئة معنوية.

---

(١) القدر: 1.

(٢) وسائل الشيعة21: 374؛ 27336/2.

(٣) الإسراء: 64.

هذه مستحبات التربية قبل انعقاد النطفة، وهي أبسط المستحبات.

وهناك مستحبات في أثناء الحمل، مثل قراءة القرآن.

وهناك مستحبات بعد الولادة، وهي أن لا ترضع الأُمّ وليدها إلاّ وهي على وضوء، فمن الطبيعي أن يولد الطفل وهو نوراني، يحب الصلاة والصيام والقرآن، بخلاف ما إذا كان في أجواء غير عبادية، أجواء معاصي، أجواء فسق وفجور، كيف يخرج هذا الولد؟

إذن هناك تربية قبل الانعقاد، وتربية أثناء الانعقاد، وتربية ما بعد الانعقاد.

وفي وصية النبي للإمام عليّ عليه السلام: «يا عليّ، حق الولد على والده أن يحسن اسمه وأدبه، ويضعه موضعاً صالحاً، وحق الوالد على ولده أن الولد لا يسمّيه باسمه، ولا يمشي بين يديه، ولا يجلس أمامه...

يا عليّ رحم الله والدين حملا ولدهما على برّهما، يا عليّ، من أحزن والديه فقد عقّهما»[1].

أنظروا الحديث ماذا يقول: قال صلى الله عليه وآله: «من ولد له مولود فليؤذن في أذنه اليمنى بأذان الصلاة، وليُقم في أذنه اليسرى، فإنها عصمة من الشيطان الرجيم»[2]. يعني ذلك تطهير البيئة المعنوية.

وفي رواية: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أيما امرأةٍ رَفعت من بيت زوجها شيئاً من موضع إلى موضع تريد به صلاحاً نظر الله عز وجل إليها، ومن نظر الله إليه لم يعذبه». فقالت أُمّ سَلَمة: يا رسول الله، ذهب الرجال بكل خير، فأيّ شيء للنساء المساكين؟

---

(١) من لا يحضره الفقيه 3724/ من حديث رقم5762.

(٢) الكافي 24:6/ باب ما يُفعل بالمولود.../ ح 6.

فقال ﷺ: « بلى، إذا حملت المرأة كانت بمنزلة الصائم القائم المجاهد بنفسه وماله في سبيل الله، فإذا وضعت كان لها من الأجر ما لا تدري ما هو لِعظَمِه، فإذا أرضعت كان لها بكل مصّةٍ عتق محرر من ولد إسماعيل ، فإذا فرغت من رضاعه ضرب مَلَك على جَنبها وقال: استأنفي العمل، فقد غُفِر لك»[1].

حسناً، الليلة ليلة القدر، ليلة طلب الحاجات، هيّئوا حاجاتكم من قَبْل، ماذا تريدون؟ الإنسان حينما يقال له: لَكَ دقيقتين تتكلم مع الملك، أو مع رئيس الجمهورية، فتكلّم كلماتك المهمة، فإنه يُحَضّر كلماته المهمة ولا يتلف الوقت.

والحمد لله رب العالمين

* * *

---

(١) أمالي الصدوق496/678/7.

المحاضرة الخامسة والأربعون:

النبي ﷺ صاحب المعراج والسكينة

«وَبحُبّي النَّبِيَّ الأُمّيَّ الْقُرَشِيَّ الْهَاشِمِيَّ الْعَرَبِيَّ
التِّهَامِيَّ الْمَكِّيَّ الْمَدَنِيَّ أرْجُو الزُّلْفَةَ لَدَيْكَ».

بسم الله الرحمن الرحيم

الإسراء والمعراج:

هذه الليلة لدينا حديث عن أحد الثوابت التاريخية في الفكر الإسلامي ، وهو مسألة الإسراء والمعراج، حيث هذه الليلة _ ليلة السابع عشر من شهر رمضان [(١)] _ هي ليلة عروج النبي ﷺ وإسرائه، الإسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، والمعراج إلى السماوات العليا، الأوّل يُسمّى إسراء، والثاني يُسمّى معراج، هذا من الثوابت التاريخية في الفكر الإسلامي ، يعني أن الثابت بالإجماع لدى أهل الإسلام سواء السُنّة أو الشيعة أن النبي ﷺ خصّه الله تعالى بامتيازين:

الأوّل: أُسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى.

والثاني: عُرج به إلى السماء.

وذلك في قوله تعالى في سورة الإسراء: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلا مِنْ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ﴾[(٢)] هذا هو الإسراء، وأما المعراج فهو ما جاء في سورة النجم:

﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى * وَمَا يَنْطِقُ عَنْ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى * ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى * وَهُوَ بِالأُفُقِ الأَعْلَى * ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى * فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا

---

(١) مناقب آل أبي طالب 1531.

(٢) الإسراء: 1.

أَوْحَى * مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى * أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى * وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى * عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى * عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى * إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى﴾[1].

الإسراء والمعراج من الثوابت التاريخية لدى المسلمين ، ولا يشكّ فيها إلاّ من شَذ.

رسول الله ﷺ أُسري به من مكّة إلى المسجد الأقصى، وعُرج به من المسجد الأقصى إلى السماوات السبع، ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴾، وسوف أحدّثكم عن قصص المعراج وما شاهده رسول الله ﷺ.

طبعاً هذا الموضوع تناولنا منه في العام الماضي وقبله، فلسفة المعراج والإشكالات العلمية، والجواب على تلك الإشكالات العلمية، هذه الليلة نتحدّث باتجاه آخر عن الإسراء والمعراج.

الثوابت في الإسلام:

أوّلاً: إن الإسراء والمعراج من الثوابت التاريخية، يعني هذه أمور ثابتة غير قابلة للنقاش، هذا الأمر يربطنا بفكرة الثوابت التاريخية.

ما معنى ذلك؟

عندنا ثوابت عقائدية مثل التوحيد والنبوة والمعاد، فهذه ثوابت عقائدية وليست قابلة للنقاش.

وهناك ثوابت تاريخيه أيضاً غير قابلة للنقاش، مثلاً هجرة النبي من مكّة المكرمة إلى الطائف، فهذه ثابتة تاريخياً، وهجرة النبي من مكّة المكرمة إلى المدينة المنورة، فهذا ثابت تاريخي عند كل المسلمين لا

---

(١) النجم: 1 ـ16.

يناقش فيه أحد، وهكذا مثلاً حجة الوداع، فهذا ثابت تاريخياً لا يناقش فيه أحد من المؤرخين.

امتيازات النبي ﷺ:

لدينا من جملة الثوابت التاريخية الإسراء والمعراج، فذاك امتياز ثبت لرسول الله ﷺ.

النبي ﷺ له عدة امتيازات:

الأوّل: الخاتمية، يعني أن هذا النبي هو خاتم الأنبياء، ورسالته هي خاتمة الرسائل.

وهنا ينفتح مجال للبحث: كيف يكون الإسلام ديناً خاتمياً مع أن الحياة البشرية متجددة ومتغيرة؟ كيف نريد أن نعالج مشاكل الناس اليوم بعلاجات من قبل ألف وأربعمائة سنة؟ هذه هي بعض إشكالات الحداثة على الإسلام، أنه أنتم تريدون أن تعالجوا مشكلات المجتمع الحديث بعلاجات قبل ألف وأربعمائة سنة!! لأن معنى أن الإسلام دين ثابت لا يتغير أن العلاجات ثابتة، وهذه إشكالات قد أجبنا عليها في محاضرات سابقة.

الهيمنة على الرسالات:

حديثنا اليوم عن شيء آخر، وهو أن نبينا ﷺ أيضاً من امتيازاته أنه مهيمن على سائر الرسالات والنبوّات، بمعنى أنه الأقدر والأفضل والأشرف والأكمل والأعلم منهم جميعاً، هذه صفه إلهية، «والمُهيمن على ذلك كله»[1].

---

(١) من زيارة رسول الله ﷺ. أنظر: مصباح الكفعمي474.

وهناك صفة ثالثة كما نقرؤها في الزيارة: «السلام على صاحب السكينة»، هذا امتياز لرسول الله ﷺ، هو أنه صاحب السكينة، وأُريد أن أقف عند هذا الموضوع هذه الليلة إجمالاً.

صاحب السكينة:

«السلام على صاحب السكينة، السلام على المدفون بالمدينة، السلام على المنصور المؤيد، السلام على أبي القاسم محمّد بن عبد الله ورحمة الله وبركاته»(١).

هذا كله نحن نتحدّث عنه في سياق دعاء أبي حمزة الثمالي، الليلة قرأنا هذا النص: «وبحبي النبي الأُمّي العربي المدني المكّي التهامي أرجو الزلفة لديك»، يعني: إلهي أنا أتقرب إليك بهذا النبي، وأطلب القرب منك بحبي لهذا النبي. وهذا سوف نجعله محور حديث، الحب، وما هي الواجبات تجاه النبي في ختام المجلس.

مناقشة في دلالة الآية:

صاحب السكينة إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِلاَّ تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُما فِي الغارِ إِذْ يَقُولُ لِصاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْها وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيا﴾(٢).

هذه الآية كما تعلمون نزلت في هجرة النبي من مكّة المكرمة إلى

(١) المصدر السابق.

(٢) التوبة:40.

المدينة المنورة، حينما بات علي عليه السلام في فراش النبي ﷺ، ونزل جبرائيل يأمر رسول الله بالهجرة من مكّة إلى المدينة، حيث قال: «ليس لك في مكّة ناصر، فاخرج»، وفي الغار التحق أبو بكر برسول الله ﷺ، ذلك المعروف اليوم بغار الثور، أبو بكر جاء إلى بيت النبي في مكّة، وبينما كان عليّ عليه السلام في البيت، قال له أبو بكر: أين رسول الله؟ قال: خرج.

أبو بكر التحق بدون موعد وبدون اتفاق مُسبق برسول الله ﷺ، جاء مسرعاً يعدو والتحق بالنبي ﷺ، وقد كان رسول الله ﷺ يخفي سفره عن أبي بكر، حيث ثبت بإجماع المؤرخين من السُنّة والشيعة أن رسول الله ﷺ حينما هاجر من مكّة المكرمة هاجر وَحده، ولم يخبر بذلك أبا بكر ولا أحداً من قريش سوى عليّ عليه السلام، ثمّ التحق به أبو بكر ووصل إليه ودخل معه الغار.

هنا الروايات الثابتة تقول: لما أجمع كفار قريش ـ وبمشورة إبليس ـ على قتل النبي ﷺ، اختاروا خمسة عشر رجلاً فيهم أبو لهب على أن يدخلوا على رسول الله ﷺ فيقتلونه، فأنزل الله سبحانه وتعالى على رسوله: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾[1]. ثمّ تفرقوا على هذا، وأجمعوا أن يدخلوا عليه ليلاً، وكتموا أمرهم، فقال أبو لهب: بل نحرسه، فإذا أصبحنا دخلنا عليه. فباتوا حول حجرة رسول الله ﷺ، وأمر رسول الله ﷺ أن يُفرش له، وقال لعلي بن أبي طالب عليه السلام: «يا علي أفدني بنفسك». قال: نعم، يا رسول الله. قال: «نم على فراشي والتحف ببردي». فنام عليه السلام على فراش

(١) الأنفال:30.

رسول الله والتحف ببردته، وجاء جبرئيل عليه السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال له: اخرج ، والقوم يشرفون على الحجرة فيرون فراشه وعلي عليه السلام نائم عليه، فيتوهمون أنه رسول الله صلى الله عليه وآله. فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله عليهم وهو يقرأ ﴿يس﴾ إلى قوله: ﴿فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ﴾[1]، وأخذ تراباً بكفه ونثره عليهم وهم نيام ومضى. فقال له جبرئيل: يا محمّد، خذ ناحية ثور ، وهو جبل على طريق منى له سنام كسنام الثور، فمرَّ رسول الله وتلقاه أبو بكر في الطريق، فأخذ بيده ومرَّ به، فلما انتهى إلى ثور دخل الغار. فلما أصبحت قريش وأضاء الصبح وثبوا في الحجرة وقصدوا الفراش، فوثب علي عليه السلام إليهم وقام في وجوههم فقال لهم: ما لكم؟ قالوا: أين ابن عمّك محمّد؟ قال علي عليه السلام: جعلتموني عليه رقيباً؟ ألستم قلتم له: أخرج عنّا، فقد خرج عنكم، فما تريدون؟ فأقبلوا عليه يضربونه، فمنعهم أبو لهب، وقالوا: أنت كنت تخدعنا منذ الليلة. فلما أصبحوا تفرقوا في الجبال، وكان فيهم رجل من خزاعة يقال له: أبو كرز يقفو ا الآثار، فقالوا له: يا أبا كرز اليوم اليوم. فما زال يقفو ا أثر رسول الله صلى الله عليه وآله حتّى وقف بهم ، فقال: هذه قدم محمّد، هي والله أخت القدم التي في المقام، وهذه قدم أبي قحافة أو ابنه، وقال: ههنا عبر ابن أبي قحافة. فلم يزل بهم حتّى وقفهم إلى باب الغار وقال لهم: ما جازوا هذا المكان، إما أن يكونوا صعدوا السماء أو دخلوا الأرض. وبعث الله العنكبوت فنسجت على باب الغار ، وجاء فارس من الملائكة في صورة الإنس فوقف على باب الغار وهو يقول لهم: اطلبوه في هذه الشعاب، فليس ههنا. فأقبلوا يدورون في الشعاب. وبقي رسول الله صلى الله عليه وآله في الغار ثلاثة أيام، ثمّ أذن الله له في

---

(١) يس: 1 ـ 9.

الهجرة وقال: «أخرج عن مكّة يا محمد فليس لك بها ناصر بعد أبي طالب »، فخرج رسول الله ﷺ من الغار، وأقبل راع لبعض قريش يقال له: ابن أريقط ، فدعاه رسول الله ﷺ وقال له: «يا ابن أريقط أأتمنك على دمي؟ ». قال: إذاً والله أحرسك وأحفظك ولا أدل عليك، فأين تريد يا محمّد؟ قال: «يثرب ». قال: والله لأسلكن بك مسلكاً لا يهتدي فيه أحد. قال له رسول الله ﷺ: «ائت علياً وبشّره بأن الله قد أذن لي في الهجرة ، فيهيئ لي زاداً وراحلة ». فجاء ابن أريقط إلى علي عليه السلام، فأخبره بذلك، فبعث عل ي إلى رسول الله ﷺ بزاد وراحلة. وخرج رسول الله ﷺ من الغار وأخذ به ابن أريقط على طريق نخلة بين الجبال، فلم يرجعوا إلى الطريق إلاّ بقديد...[1]

وفي رواية عن عبّاس قال : لما خرج رسول الله ﷺ من الليل لحق بغار ثور، قال: وتبعه أبو بكر ، فلما سمع رسول الله ﷺ حسّه خلفه خاف أن يكون الطلب ، فلما رأى ذلك أبو بكر تنحنح ، فلما سمع ذلك رسول الله ﷺ عرفه ، فقام له حتّى تبعه، فأتيا الغار، فأصبحت قريش في طلبه، فبعثوا إلى رجل من قافة بني مدلج ، فتبع الأثر حتّى انتهى إلى الغار ، ثمّ قال : ما جاز صاحبكم الذي تطلبون هذا المكان. قال: فعند ذلك حزن أبو بكر ، فقال له رسول الله ﷺ (كما قال تعالى): ﴿لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنا﴾[2] .[3]

هذه الآية الكريمة أصبحت أحد الدلائل التي يستشهد بها الإخوة من أبناء السُنّة على فضيلة تاريخية كبيرة لأبي بكر.

(١) أنظر: إعلام الورى 1461.

(٢) التوبة:40.

(٣) أنظر: الدر المنثور 2403.

قالوا: أبو بكر في القرآن الكريم مذكور وله فضيلة، وهي قوله تعالى: ﴿ثانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُما فِي الْغارِ إِذْ يَقُولُ لِصاحِبِهِ لا تَحْزَنْ﴾، فأبو بكر هو صاحب النبي، وهو ثاني اثنين، والله تعالى قد أنزل سكينته عليه.

هذه أحد الآيات التي استدلوا بها، أو هي الآية الوحيدة التي استدلوا به على فضيلة لأبي بكر. أما علماؤنا فيناقشون هذا الاستدلال.

ما هي دلالة الآية على فضيلة أبي بكر؟

ثلاث فقرات توجد في الآية يمكن أن يجعلوها شاهداً على فضيلة أبي بكر:

الأولى: ﴿ثانِيَ اثْنَيْنِ﴾، الأوّل رسول الله ﷺ وهو الثاني، وهذه منزلة أن يكون ثاني اثنين.

الثانية: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصاحِبِهِ﴾، فأبو بكر هو صاحب النبي ﷺ، وهذه منزلة وفضيلة ومنقبة.

الثالثة: أن الله تعالى ﴿أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْها﴾، هذه فضيلة ثالثة.

علماؤنا قالوا: إن هذه الآية ليس فيها أيّ دلالة على منقبة وفضيلة لأبي بكر. لماذا؟

الجواب:

أوّلاً: تاريخياً لو كانت هذه الصحبة بتوافق مُسبق واختيار من رسول الله ﷺ مثل أخوّة الإمام عليّ عليه السلام لرسول الله ﷺ، كان في ذلك دلالة على فضيلة وامتياز، لكن الثابت تاريخياً أن هذه الرفقة بين أبي بكر وبين رسول الله ﷺ لم تكن اختيارية، فإن رسول الله ﷺ ما عرض على أبي بكر أن يسافر معه ويهاجر معه، وهاجر ﷺ وحيداً لا

يريد معه صاحب، لكن أبا بكر التحق به بعد أن عرف أمر سفره. تاريخياً كان التحاق أبي بكر برسول الله ﷺ التحاقاً قهرياً، فقد جاء أبو بكر يعدو ويركض والتحق بالنبي ﷺ(١).

مثل هذه الصحبة هل فيها دلالة على الفضيلة؟

إذن أن يكون أحد ﴿ثانِيَ اثْنَيْنِ﴾، وأن يكون أحد صاحب الآخر، لكن من دون اختيار ومن دون رغبة، فهذا ليس فيه أيّ دلالة على الفضيلة.

في السجن مثلاً كما يحدّثنا القرآن في قصة يوسف كان يوجد معه سجينان، قال لهما: ﴿يا صاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُما فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْراً وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ﴾(٢)، هذه الصحبة في السجن لا دلالة فيها على أيّة منزلة. وهكذا في قصة صاحب الجنّة في قوله تعالى: ﴿فَقالَ لِصاحِبِهِ وَهُوَ يُحاوِرُهُ﴾، هؤلاء اثنان كان لديهم بساتين أحدهما مؤمن والآخر كافر، القرآن يقول: إن الكافر قال للمؤمن: ﴿فَقالَ لِصاحِبِهِ وَهُوَ يُحاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مالاً وَأَعَزُّ نَفَراً﴾(٣)، هذه صحبة أيضاً فالكافر هنا ـ

---

(١) روى أحمد بن حنبل في مسنده 1:331، عن ابن عبّاس في حديث أنه قال: وشرى على نفسه، لبس ثوب النبي ﷺ ثمّ نام مكانه، قال: وكان المشركون يرمون رسول الله ﷺ، فجاء أبو بكر وعلي نائم، قال: وأبو بكر يحسب أنه نبي الله. قال: فقال: يا نبي الله. قال: فقال له علي: إن نبي الله ﷺ قد انطلق نحو بئر ميمون فأدركه. قال: فانطلق أبو بكر فدخل معه الغار. قال: وجعل علي يُرمى بالحجارة كما كان يرمى نبي الله وهو يتضور قد لفّ رأسه في الثوب لا يخرجه حتّى أصبح، ثمّ كشف عن رأسه، فقالوا: إنك للئيم، كان صاحبك نراميه فلا يتضور، وأنت تتضور، وقد استنكرنا ذلك.

(٢) يوسف:41.

(٣) الكهف:34.

حسب التعبير القرآني صاحب المؤمن _ لكنها صحبة ليست فيها أيّ دلالة على منزلة ومنقبة.

أمّا الفقرة الثالثة وهي قوله: ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ﴾.

هذه السكينة باتفاق المفسّرين نزلت على رسول الله ﷺ ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا﴾، هذا التأييد كان لرسول لله وليس لأبي بكر[1].

وعلى كل حال هذه الآية في الحقيقة تدلل على واقعة تاريخية، دون أن يكون فيها أيّ بعد ونقطة امتياز لأبي بكر كما يريد إخواننا أبناء العامة أن يستدلوا عليه بهذه الآية.

ولنعد إلى امتيازات النبي ﷺ، الهيمنة، السكينة، الإسراء والمعراج.

الإسراء والمعراج، هذا انفراد عن سائر الأنبياء، يعني لم يثبت في تاريخ الأنبياء أن أحدهم حصّل مثل هذا الامتياز، فقط نبينا ﷺ الذي أُسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ثمّ عرج به إلى السماوات، هذا لم يثبت لا لإبراهيم، ولا لعيسى، ولا لموسى، ولا لآدم، ولا لنوح، أو أيّ أحد من الأنبياء.

نعم، توجد أشياء شبيهة ثبتت لباقي الأنبياء، مثلاً:

القرآن الكريم يقول عن إدريس عليه السلام: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾[2]، والمفسرون يذكرون أنه رُفع إلى السماء الرابعة، أو رُفع إلى الجنّة[3].

---

(١) أنظر: تفسير مجمع البيان 5:58؛ تفسير ابن كثير 2:373.

(٢) مريم:57.

(٣) أنظر: تفسير مجمع البيان 6:430؛ وتفسير الثعلبي 6:219.

وعن إبراهيم يقول تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾(١)، هنا الرواية تقول: إن الله تعالى أعطاه من قوة البصر ما يعدو السماوات فرأى ما فيها، ورأى ما في الأرض وما تحتها(٢).

وعن عيسى عليه السلام، حيث رفعه الله إليه، قال تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾(٣).

وعن موسى عليه السلام، حيث إن الله تعالى ناجاه وكلّمه في جبل الطور ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾(٤)، كانت هي عبارة عن لقاء بين موسى وبين الله تعالى، لكن على جبل الطور ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الأَمْرَ﴾(٥).

أما نبينا ﷺ فقد كانت لديه رحلتان، في رحلته الأولى من مكّة المكرمة إلى المسجد الأقصى، وكان ذلك قبل الهجرة النبوية، يعني قبل أن يهاجر الرسول ﷺ إلى المدينة المنورة، فقد أُسري به إلى المسجد الأقصى، ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى﴾(٦).

في تفسير القمي: عن أبي عبد الله عليه السلام قال: جاء جبرئيل وميكائيل وإسرافيل بالبراق إلى رسول الله ﷺ، فأخذ واحد باللجام

---

(١) الأنعام:75.

(٢) أنظر: بحار الأنوار72:12.

(٣) النساء:157.

(٤) الأعراف:142.

(٥) القصص:44.

(٦) الإسراء:1.

وواحد بالركاب ، وسوى الآخر عليه ثيابه ، فتضعضعت البراق ، فلطمها جبرائيل ثمّ قال لها: اسكني يا براق ، فما ركبك نبي قبله ولا يركبك بعده مثله ، قال: فرفت به ورفعته ارتفاعاً ليس بالكثير ومعه جبرئيل يريه الآيات من السماء والأرض. قال: فبينا أنا في مسيري إذ نادى منادٍ عن يميني: يا محمّد ، فلم أجبه ولم التفت إليه ، ثمّ نادى منادٍ عن يساري : يا محمّد ، فلم أجبه ولم التفت إليه ، ثمّ استقبلتني امرأة كاشفه عن ذراعيها عليها من كل زينة الدنيا ، فقالت: يا محمّد أنظرني حتّى أكلمك ، فلم التفت إليها ، ثمّ سرت فسمعت صوتاً أفزعني ، فجاوزت فنزل بي جبرئيل ، فقال: صلّ ، فصليت ، فقال: تدرى أين صليت؟ قلت: لا، فقال: صليت بطور سيناء حيث كلم الله موسى تكليماً ، ثمّ ركبت فمضينا ما شاء الله ، ثمّ قال لي: أنزل فصلّ ، فنزلت وصليت ، فقال لي: تدرى أين صليت؟ فقلت: لا، قال: صليت في بيت لحم، وبيت لحم بناحية بيت المقدس حيث ولد عيسى بن مريم عليه السلام. ثمّ ركبت فمضينا حتّى انتهينا إلى بيت المقدس ، فربطت البراق بالحلقة التي كانت الأنبياء تربط بها ، فدخلت المسجد ومعي جبرئيل إلى جنبي ، فوجدنا إبراهيم وموسى وعيسى فيمن شاء الله من أنبياء الله عليهم السلام فقد جمعوا إليَّ وأقيمت الصلاة ، ولا أشكّ إلاّ وجبرئيل سيتقدمنا ، فلما استووا أخذ جبرئيل بعضدي فقدمني وأممتهم ولا فخر. ثمّ أتاني الخازن بثلاثة أوانٍ ، إناء فيه لبن ، وإناء فيه ماء ، وإناء فيه خمر، وسمعت قائلاً يقول: إن أخذ الماء غرق وغرقت أُمّته، و إن أخذ الخمر غوى وغويت أُمّته ، وإن أخذ اللبن هدي وهديت أُمّته . قال: فأخذت اللبن وشربت منه ، فقال لي جبرئيل : هُديت وهُديت أُمّتك. ثمّ قال لي:

ماذا رأيت في مسيرك؟ فقلت: ناداني مناد عن يميني فقال: أوَ أجبته ؟ فقلت: لا ، ولم التفت إليه ، فقال: داع ي اليهود ، لو أجبته لتهودت اُمّتك من بعدك ، ثمّ قال: ماذا رأيت؟ فقلت : ناداني منادٍ عن يسار ي، فقال لي: أوَأجبته؟ فقلت : لا، ولم التفت إليه ، فقال: ذاك داع ي النصارى ، ولو أجبته لتنصرت اُمّتك من بعدك.

ثمّ قال: ماذا استقبلك؟ فقلت : لقيت امرأة كاشفة عن ذراعيها عليها من كل زينة الدنيا ، فقالت: يا محمّد ، أنظرني حتّى أكلمك. فقال : أوَكلمتها؟ فقلت: لم أكلمها ولم التفت إليها ، فقال: تلك الدنيا ، ولو كلمتها لاختارت اُمّتك الدنيا على الآخرة.

ثمّ سمعت صوتاً أفزعني ، فقال لي جبرئيل: أتسمع يا محمّد؟ قلت: نعم ، قال: هذه صخرة قذفتها عن شفير جهنم منذ سبعين عاماً ، فهذا حين استقرت.

قالوا: فما ضحك رسول الله ﷺ حتّى قبض.

قال: وصعد جبرئيل وصعدت معه إلى السماء الدنيا وعليها ملك يقال له : إسماعيل ، وهو صاحب الخطفة التي قال الله ﷻ: ﴿إِلاَّ مَنْ خَطِفَ الخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهابٌ ثاقِبٌ ﴾[1]، وتحته سبعون ألف مَلَك تحت كل مَلَك سبعون ألف مَلَك ، فقال: يا جبرئيل ، من هذا الذي معك؟ فقال : محمّد رسول الله ، قال: وقد بُعِث؟ قال: نعم . ففتح الباب فسلّمت عليه وسلّم عليَّ، واستغفرت له واستغفر لي، وقال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح، وتلقتني الملائكة حتّى دخلت السماء الدنيا ، فما لقيني مَلَك إلاّ

(١) الصافات:10.

ضاحكاً مستبشراً ، حتّى لقيني مَلَك من الملائكة لم أرَ أعظم خلقاً منه كريه المنظر ظاهر الغضب ، فقال لي مثل ما قالوا من الدعاء ، إلاّ أنه لم يضحك ولم أرَ فيه من الاستبشار ما رأيت من ضحك الملائكة ، فقلت: من هذا يا جبرئيل ؟ فإني قد فزعت منه؟ فقال: يجوز أن يُفزع منه ، فكلنا نفزع منه ، إن هذا مالك خازن النار لم يضحك قط، ولم يزل منذ أن ولاّه الله جهنم يزداد كل يوم غضباً وغيظاً على أعداء الله وأهل معصيته فينتقم الله به منهم ، ولو ضحك إلى أحد قبلك أو كان ضاحكاً إلى أحد بعدك لضحك إليك ، فسلّمت عليه فردَّ السلام عليَّ وبشرني بالجنّة. فقلت لجبرئيل وجبرئيل بالمكان الذي وصفه الله ﴿مُطاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴾[1]: ألا تأمره أن يُريني النار؟ فقال له جبرئيل: يا مالك ، أرِ محمّداً النار ، فكشف عنها غطاءها وفتح باباً منها ، فخرج منها لهب ساطع في السماء ، وفارت وارتفعت حتّى ظننت ليتناولني مما رأيت ، فقلت: يا جبرئيل! قل له فليرد عليها غطاءها ، فأمره ، فقال لها: ارجعي ، فرجعت إلى مكانها الذي خرجت منه.

ثمّ مضيت فرأيت رجلاً آدماً جسيماً ، فقلت: من هذا يا جبرئيل؟ فقال : هذا أبوك آدم ، فإذا هو يعرض عليه ذريته ، فيقول: روح طيبة وريح طيبة من جسد طيب ، ثمّ تلا رسول الله ﷺ سور ة المطففين على رأس سبع عشر ة آية ﴿كلاّ إنّ كِتابَ الأبرارَ لَفي عِلّيين * وما أدراكَ ما عِلّيّونَ * كتابٌ مرقومٌ يَشهَدُهُ المقرّبونَ ...﴾ إلى آخرها . قال: فسلّمت على أبي آدم وسلّم عليَّ ، واستغفرت له واستغفر لي، وقال: مرحباً بالابن الصالح والنبي

(١) التكوير:21.

الصالح المبعوث في الزمن الصالح. قال: ثمّ مررت بملك من الملائكة جالس على مجلس وإذا جميع الدنيا بين ركبتيه ، وإذا بيده لوحٌ من نور ينظر فيه مكتوب فيه ، كتاب ينظر فيه لا يلتفت يميناً ولا شمالاً، مقبلاً عليه كهي أة الحزين ، فقلت: من هذا يا جبرئيل؟ قال : هذا مَلَك الموت دائب في قبض الأرواح ، فقلت: يا جبرئيل ، ادنني منه حتّى أكلمه ، فأدناني منه ، فسلّمت عليه ، وقال له جبرئيل: هذا محمّد نبي الرحمة الذي أرسله الله إلى العباد ، فرحب بي وحيّاني بالسلام ، وقال: أبشر يا محمّد ، فإني أرى الخير كله في أُمّتك ، فقلت: الحمد لله المنان ذي النعم على عباده ، ذلك من فضل ربى ورحمته عل يَّ، فقال جبرئيل: هو أشد الملائكة عملاً ، فقلت: أكل من مات أو هو ميت فيما بعد هذا تقبض روحه؟ فقال : نعم. قلت: وتراهم حيث كانوا وتشهدهم بنفسك؟ فقال: نعم. فقال ملك الموت: ما الدنيا كلها عندي فيما سخره الله لي ومكنني عليها إلاّ كالدرهم في كف الرجل يقلبه كيف يشاء، وما من دار إلاّ وأنا أتصفحه كل يوم خمس مرّات، وأقول إذا بكى أهل الميت على ميّتهم: لا تبكوا عليه ، فإن لي فيكم عودة وعودة حتّى لا يبقى منكم أحد . فقال رسول الله ﷺ: كفى بالموت طام ة يا جبرئيل . فقال جبرئيل: إن ما بعد الموت أطم وأطم من الموت ...»[1] الخ.

الشاهد في قراءة هذه النصوص أن رسول الله ﷺ امتاز بالعروج إلى السماء واللقاء مع الملائكة الذين بيدهم تدبير الكون، ثمّ تجاوز الملائكة وعبرهم وكلهم يذعنون إليه، حتّى وصل رسول الله ﷺ إلى

(١) تفسير القمي 2: 3.

السماء السابعة، وهناك جبرئيل قال له: تقدم يا رسول الله، قال له: أنت تقدم يا جبرئيل، قال: لا، «لو تقدمت أنملة لاحترقت»[١]. أنا أقصى قدرتي إلى السماء السابعة، أنت تقدم يا رسول الله، فتقدم رسول الله ﷺ ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾[٢]، ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾[٣]، هناك حيث لا يستطيع أحد أن يصف شيئاً، هناك يقول رسول الله ﷺ: «فأبصرته بقلبي، ولم أرَه بعيني»[٤].

هذا امتياز لرسول الله ﷺ أنه سيطر على الكون وعلى الأرض وسيطر على السماوات والملائكة، ثمّ تقدم مسافات لا يمكن أن يصل إليها مَلَك من الملائكة.

قدرة هذا الإنسان الذي ننتمي إليه نحن، ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾[٥]، دنواً واقتراباً من العلي الأعلى.

فهمان لعالم الملكوت:

الحديث عن الإسراء والمعراج حديث طويل، وأكتفي بهذا المقدار، لكن هناك فهمان لعالم السماء، وقراءتان لعالم الملكوت، لاحظوا نحن لدينا مجموعة حقائق كبرى، القرآن يسميها: العرش، الكرسي، اللوح، القلم.

---

(١) مناقب آل أبي طالب 1551.

(٢) النجم: 9.

(٣) النجم: 18.

(٤) بحار الأنوار 28223.

(٥) النجم: 9.

﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾(١)، ﴿فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾(٢)، ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾(٣)، ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ﴾(٤)، هذه مجموعة حقائق، الكرسي، العرش، القلم، اللوح المحفوظ، سدرة المنتهى ﴿عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى﴾(٥)، السدرة يعني شجرة النبق عندنا، أعلى مقام بعد السماء السابعة هو سدرة المنتهى، وهذا تعبير رمزي، يعني ليس معناه أنه يوجد بعد السماء السابعة شجرة نبق ورسول الله ﷺ وصل إليها، فما قيمة شجرة النبق إذا أُخذت بهذا المعنى، بل هذه رموز.

هناك فهمان لعالَم الملكوت وعالم تلك الحقائق.

الفهم الأوّل نسميه الفهم البسيط الساذج المادي، بمعنى أنه يوجد سماء أولى وثانية وبينهما مسافة كذا مليون كيلو متر، ويوجد كرسي عظيم جدّاً الله تعالى يجلس عليه، ويوجد لوح محفوظ وهو سجل كبير، هذه قراءة نسمّيها قراءة بسيطة، قراءة سطحية، وأن رسول الله ﷺ قد شاهد كل هذه الأمور وعرج به في سفر طويل في مركبة فضائية انتقل بها ﷺ في سرعة قصوى بين هذه السماوات وشاهد ما شاهد، هذه قراءة بسيطة ساذجة، وهذا فهم بسيط لعالم السماوات.

وهناك فهم دقيق، فَهم عميق وعلمي، وهو أن عالم الملكوت هو محيط بعالم الدنيا وليس تفصله مسافات عن عالم الدنيا، وإنما هو نمط آخر من

---

(١) القلم: 1.

(٢) البروج:22.

(٣) هود: 7.

(٤) البقرة255.

(٥) النجم:14.

الوجود، عالم السماوات هو الوجه الآخر للوجود، هذا الوجود له وجهان: وجه مادي وهذا نسميه عالم الشهادة المشهود، وهناك وجه آخر للوجود اسمه عالم الغيب والملكوت، أو عالم السماء، ولهذا القرآن دائماً يقول: السماوات والأرض، في إشارة إلى نمط آخر من الوجود محيط بهذا الوجود المادي، وليس وجود في مكان آخر. السماوات هي محيطة بالأرض، الله تعالى محيط بالإنسان، ما إن تنظر نظرة بعيدة عن الوضع المادي حتّى تنكشف لك الحقيقة الأخرى، السماوات هي النمط الآخر من الوجود، الجنّة والنار محيطة بالدنيا، ولهذا الفلاسفة والعرفاء يذكرون كلاماً عميقاً جدّاً، وما أعتقد أن من السهل استيعابه، يقولون: إن الآخرة هي عمق الدنيا، يعني لو تحفر في الدنيا تسقط على الآخرة، لو أن الدنيا يستطيع الإنسان أن يمزق ملابسها ويفتش فيها لرأى الآخرة، وهي محيطة بالدنيا، كما أن روحك أيها الإنسان هي عمق وجودك، لو أن الإنسان استطاع أن ينظر لواحد ويمزق الستائر عنه بحيث يصل إلى روحه التي هي في قلبه سيصل إلى حقيقة وجود هذا الإنسان، وأما البدن والشكل واللون والبشرة فهذه شكليات، واقع القضية هي الروح، عالم الدنيا عبارة عن ملابس نلبسها، إذا نزعنا هذه الملابس نصل إلى عالم الآخرة.

عندما نذكر العروج بالرسول ﷺ إلى السماء نواجه مشكلة علمية: أنه كيف؟ وبأيّ مركبة فضائية؟ وبأيّ سرعة فوق سرعة الصوت؟ الله تعالى هل هو موجود فوق السماء السابعة؟ عجباً! ما هو العرش؟ ما هو الكرسي؟ ما هو اللوح المحفوظ؟ سوف تنحل المشكلة إذا فهمنا أن عالم السماوات هو عمق وجوهر عالم الدنيا، ونحن الآن نعيش كالسمكة في ماء البحر، هذه السمكة التي في الماء لا تتصور أنه يوجد فوق البحر هواء وسماوات وأفلاك، هي لا تفهم الوجود إلاّ عبارة عن ماء، ولا تفهم أنه يمكن لأحد أن يعيش بغير الماء.

نحن في الحقيقة أبناء الدنيا مخلوقون في المادة، ونحن لا نفهم أنه يوجد شيء غير المادة، بينما الواقع وكما هو إحساسنا الوجداني والتي تؤكد عليه الروح أن الإنسان هو روح قبل أن يكون جسداً، كذلك هناك عالم آخر.

رسول الله ﷺ عُرج به إلى ذلك العالم، وليس عبارة عن مسير مادّي، وإنما عروج روحي من المسجد الأقصى إلى السماوات السبع، إذن لا توجد لدينا مشكلة علمية في فلسفة الإسراء وفلسفة المعراج.

العلاقة مع النبي ﷺ:

لدينا ثلاث واجبات في العلاقة مع النبي ﷺ، نحن كل حديثنا هذا في إطار قوله في الدعاء: «وبحبي النبي الأُمّي العربي المدني التهامي أرجو الزلفة لديك»، لنرى علاقتنا مع النبي كيف تكون؟ ما هو الواجب علينا في العلاقة مع رسول الله ﷺ؟

هناك ثلاث واجبات:

الواجب الأوّل: الإيمان بالنبي باعتباره رسولاً من الله تعالى للبشر ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾(١).

الواجب الثاني: الطاعة، ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾(٢).

الواجب الثالث: الحب، ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾(٣)، وهذا هو عمق الإيمان وجوهر العلاقة، لا بدَّ من إيمان أوّلاً، ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾، وثانياً: الطاعة، ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾، وثالثاً: الحب، ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ

(١) النساء136.

(٢) النساء:59.

(٣) آل عمران:31.

فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾، والإسلام يؤكد كثيراً على الحب، حب الله، وكذلك حب رسوله ﷺ، وحب أهل بيته عليهم السلام، ﴿قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبى﴾[1]، وهنا الحديث عن الرسول ﷺ يقول:

«لا تزول قدما عبد على الصراط يوم القيامة حتّى يُسأل عن أربع: عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وَفيم أنفقه، وعن حبّنا أهل البيت»[2]، الحب هذا شرط في النجاة، حب الله، والحب لرسول الله ولأهل بيته.

ويقول رسول الله ﷺ: «لا يؤمن عبد حتّى أكون أحبّ إليه من نفسه، وأهلي أحبّ إليه من أهله، وعترتي أحبّ إليه من عترته، وذاتي أحبّ إليه من ذاته»[3].

إذن المطلوب ثلاث أمور: الإيمان، زائداً الطاعة، زائداً المحبة.

وحينما نتحدّث عن المحبة نذكر هنا قول رسول الله ﷺ: «يا علي ، من أحبّك فقد أحبّني، ومن أبغضك فقد أبغضني»[4]، حب رسول الله ﷺ بدون حب أهل البيت لا يمكن.

حب رسول الله وقتل الحسين هل يجتمعان؟! يعني يرفع رأس الحسين على رأس رمح ويقول: أنا أُحب رسول الله، فهل هذا ممكن؟! كلا، وإنما هو كِذبٌ ونفاق.

والحمد لله رب العالمين

---

(١) الشورى:23.

(٢) الخصال:125/253.

(٣) أمالي الصدوق:414/542/9.

(٤) أمالي الصدوق:656/891/2.

المحاضرة السادسة والأربعون:

القرآن الكريم
بين نظرية الشرك القديم والشرك الجديد

«وَبِحُرْمَةِ الْقُرْآنِ أعْتَمِدُ عَلَيْكَ».

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه الليلة حديثنا عن القرآن، وليلة القدر هي ليلة نزول القرآن، وهذه الليلة أيضاً هي ليلة مصابنا بجرح القرآن الناطق، فلدينا قرآن صامت وهو هذا القرآن الذي نقرؤه، ولدينا قرآن ناطق وهو عليّ عليه السلام والأئمّة الأطهار عليهم السلام.

الليلة حديثنا يجب أن يكون حديثاً متشعباً بين هذه المضامين، ولكنه يدور حول محور القرآن الكريم.

القرآن هو الكتاب الذي أُنزل على نبينا صلى الله عليه وآله، وهناك التوراة أُنزلت على موسى عليه السلام، والإنجيل أُنزل على عيسى عليه السلام، والزّبور أُنزل على داود عليه السلام، القرآن هو الكتاب السماوي الذي أنزل على نبينا محمّد صلى الله عليه وآله، والتنزيل كان في ليلة القدر ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾(١).

التنزيل فيه دلالتان:

القرآن كتاب الله:

الدلالة الأولى: أن هذا القرآن ليس هو من مصنوعات ومخلوقات ومبتدعات نبينا صلى الله عليه وآله، وإنما هو من مصدر أعلى، أي إنه أُنزل على نبينا وليس من إبداعاته الذاتية كما يقول المشركون، سواءً في الشرك القديم والشرك الجديد.

---

(١) القدر: 1.

الشرك القديم في زمنِ نبينا ﷺ قالوا: إنما يُعلّمه بَشر، والقرآن يجيبهم بالقول: ﴿لِسانُ الذِي يُلحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهذا لِسانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾[1].

نقد الشرك الجديد:

وهناك شرك جديد يقول: هذا القرآن الكريم وإن كان عظيماً وكتاباً رائعاً من الناحية الأدبية والبلاغية، لكن هو من إبداعات محمّد ، وهذا الإنسان كان عظيماً، مثل المتنبي الذي كان عظيماً! وكذلك أبو العلاء المعري! ورسول الله أعلى منهم بدرجة.

هذا الشرك الجديد يحمل رايته الصليبيون، أي النصارى الذين كان عندهم مخطط لغزو العالم الإسلامي والتبشير بالنصرانية، أحدهم مفكر ثقافي، وآخر مفكر سياسي.

الأوّل (شبلي شميّل) المؤلف المسيحي الصليبي الذي كتب قبل خمسين سنة في الردّ على القرآن الكريم والبرهان على أنه من عند النبي ﷺ، وله مناقشات في هذا الشأن، وتصدّى علماء النجف للردّ عليهم، وكان أبرز العلماء الذين تصدوا للرد على (شبلي شميّل) هو العلامة المرحوم الشيخ البلاغي، وهو من كبار علماء النجف، وله كتاب (أنوار الهدى) في الردّ على (شبلي شميّل) وشبهاته.

(شبلي شميّل) قد نقول عنه أنه مثقف، أما الذي جاء بعده فإنه لا يملك شيئاً من الفكر وهو (ميشيل عفلق)، وهو من حركة صليبية تبشيرية في قلب العالم الإسلامي، زرعوها بدءً من سوريا، ولكن السوريين طردوه، فجاء إلى العراق وقد شكّل حزباً يضم مجموعة من الصبيان

---

(١) النحل103.

والجهلة، (ميشيل عفلق) هو مؤسس حزب البعث العربي الاشتراكي، وهو نصراني خرّيج الجامعة الأمريكية في بيروت، أسس حزب البعث في الجامعات في دمشق، ثمّ لما طردوه من سوريا وتخلصوا منه جاء إلى العراق فوجد مجموعة من الجهلة، فكان حزب البعث العراقي.

والحديث هو عن الشرك الجديد، حيث إن (ميشيل عفلق) كان لديه كتاب اسمه (النبي العربي)، لا يستطيع أن يجرأ على إنكار نبوة النبي ﷺ، ولا يمكن أن يقول أن هذا النبي كان إنساناً ساحراً أو مجنوناً، وهذا تفكير الشرك القديم، أما الشرك الجديد فيقول: أن محمّداً الذي تقدّسونه أيها العرب أنا أيضاً أعتبره إنساناً عظيماً، لكنه ليس نبياً! بل هو إنسان عظيم ابتدع القرآن من عنده!

فكرة أن القرآن أُنزل على رسول الله تعني أن هذا القرآن من مصدر آخر وليس من عند النبي أو ابتداعه، بل أُنزل ﴿نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ﴾[(١)] و﴿نَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلاً﴾[(٢)]، و﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾[(٣)]، هذه الفكرة المقدسة الثابتة الضرورية التي لا تقبل النقاش عند المسلمين.

حديثنا الليلة ليس عن إعجاز القرآن، ولا عن الاستدلال على ذلك، فهذا لا يحتاج بالنسبة لنا إلى استدلال، من الجميل ـ ولعلَّ تلك حكمة إلهية ـ أن رسول الله ﷺ لم يكن شاعراً، ولم يُعرف عنه تاريخياً أنه كان أديباً، ، أو شاعراً، أو ملهماً في البلاغة العربية، بل الشيء الذي ثبّته القرآن عليه أنه كان أُمّياً لا يقرأ ولا يكتب، وهذا هو ما جاء

(١) البقرة:97.

(٢) الإسراء106.

(٣) يوسف:2؛ الدخان:3؛ القدر:1.

في الدعاء: « وَبِحُبّي النَّبِيَّ الأُمّيَّ الْقُرَشِيَّ الْهاشِمِيَّ الْعَرَبيَّ التِّهامِيَّ الْمَكّيَّ الْمَدَنِيَّ أرْجُو الزُّلْفَةَ لَدَيْكَ »، هذا القرآن مُنزّل من مصدر آخر هو الله تبارك وتعالى، هذا هو المدلول الأوّل في عملية التنزيل.

الحقيقة القرآنية:

المدلول الثاني في عملية التنزيل: أن هذا القرآن الذي بين أيدينا هو نسخة مخففة مشروحة عن نسخةٍ أصليةٍ عميقة كبرى هي عند الله تبارك وتعالى، هذا مُنَزَّل، يعني مثل قطرات السماء المنزّلة من السحاب والتي نتلقاها نحن كماء لكن أصلها هو سحاب، القرآن الكريم مُنزّل من ﴿كِتابٍ مَكْنُونٍ * لا يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ ﴾[1]، هذا القرآن الذي نقرؤه هو في الحقيقة ترجمة وتبسيط مأخوذ من كتاب مكنون عظيم جدّاً نحن لا نستطيع أن ندركه، هذا المنزل لنا هو نسخة مبسّطة جدّاً، أما الأصل فهو كتابٌ مقدسٌ عظيم ﴿فِي كِتابٍ مَكْنُونٍ * لا يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ ﴾، أي لا يصل إليه إلاّ أهل الطهارة والعصمة، فهم يستطيعون أن يصلوا إلى عمق ذلك الكتاب المكنون.

معنى التنزيل أنه توجد مراتب للقرآن، هذه المرتبة القرآنية التي نقرؤها الآن مُنزّلة عبر آلاف آلاف المراحل الصعبة والعظيمة جدّاً، ﴿وَنَزَّلْناهُ تَنْزِيلاً ﴾، وتنزيلاً تعني مرحلة بعد مرحلة، والأصل لا تستطيعون أن تدركوه.

هذه النظرية يعبّر عنها العرفاء الإسلاميّون بالقول: أن القرآن الكريم له حقيقة أخرى، أو لنقل بالاصطلاح القانوني له شخصية حقيقية، بمعنى أن هذا

(١) الواقعة:78 و79.

القرآن الذي نقرؤه الآن هو عبارة عن آيات وكلمات، لكنه في الحقيقة كائن حي مقدَّس عظيم سنلتقي به يوم القيامة.

الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام يقول: «ثلاثة يشكون إلى الله عز وجل: مسجد خراب لا يصلي فيه أهله، وعالم بين جهّال، ومصحف معلق قد وقع عليه غبار لا يُقرأ فيه»[1].

المصحف حين لا يُقرأ فيه يشتكي إلى الله يوم القيامة، يعني أن له شخصية حقيقية، يشتكي من أولئك الذين لم يقرؤوه، وبنفس الوقت أولئك الذين قرأوه سيشفع لهم يوم القيامة.

وبهذا الصدد أحب أن أقرأ لكم رواية جميلة في هذا الشأن:

ثواب قراءة القرآن:

الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام يقول: «من قرأ القرآن وهو شاب مؤمن اختلط القرآن بدمه ولحمه وجعله الله مع السفرة الكرام البررة وكان القرآن حجيجاً عنه _ أي محامياً _ يوم القيامة ويقول: يا ربِ إن كل عامل قد أصاب أجر عمله إلاّ عاملي فبلّغ به كريم عطاياك فيكسوه الله حُلّتين من حُلل الجنّة ويوضع على رأسه تاج الكرامة ثمّ يُقال له: هل أرضيناك؟ فيقول القرآن: يا ربِ كنت أرغب له فيما هو أفضل من هذا، فيُعطي الأمن بيمينه والخُلد بيساره ثمّ يدخل الجنّة فيُقال له: اقرأ آية واصعد درجة، ثمّ يُقال للقرآن: بلغنا به وأرضيناك فيه؟ فيقول القرآن: اللهم نعم»، قال عليه السلام: «ومن قرأه كثيراً وتعاهده بمشقة من شدة حفظه أعطاه الله عز وجل أجر هذا مرتين»[2].

---

(١) الخصال142/163.

(٢) الكافي 604/2/ باب فضل حامل القرآن/ ح 4.

المعرفة الكاملة بالقرآن:

قوله تعالى: ﴿فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لا يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ﴾[١] فيه دلالتان:

دلالة فقهية يدرسونها في الحوزة العلمية، ودلالة عرفانية يدرسها العرفاء و الفلاسفة.

الدلالة الفقهية:

الفقهاء يقولون: إن هذه الآية ﴿لا يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ﴾ دليل على عدم جواز مسّ القرآن إلاّ بطهارة.

لكن العرفاء يستدلون باستدلال آخر، فيقولون: إن هذا الاستدلال بقوله تعالى: ﴿لا يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ﴾ عند الفقهاء هو استدلال سطحي، فقوله: ﴿فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ﴾ ليس للإشارة إلى القرآن الذي بيدنا، وإنما الإشارة إلى ذلك الكتاب الذي هو روح القرآن وجوهره وأصله والذي لا يستطيع أحد أن يصل إلى حقيقته ومعانيه إلاّ المطهرون، إذن القرآن لا يصل إلى كنهه ومعرفته إلاّ المطهرون الأنقياء المعصومون؛ بدليل قوله ﷻ: ﴿لا يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ﴾. وهذه هي الدلالة الثانية للآية القرآنية.

ما هو المطلوب تجاه القرآن؟

المطلوب منّا تجاه القرآن أربعة أمور:

1 ـ القراءة، ﴿فَاقْرَؤُا ما تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾[٢]، ﴿فَاقْرَؤُا ما تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾[٣].

(١) الواقعة:78 و79.

(٢) المزمل:20.

(٣) الآية السابقة.

2 _ التلاوة، ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾(١).

3 _ التدبر في القرآن، ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾(٢).

4 _ العمل بالقرآن والتمسك به ، ﴿الَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾(٣).

جمع القرآن:

القرآن الكريم نُزّل على شكل (آيات) ثمّ جُمعت في (مصحف) ، وأوّل من جمع القرآن في نظرية الشيعة وكان جمعه جمعاً دقيقاً شاملاً على ترتيب النزول هو الإمام عليّ عليه السلام، فقد تصدى الإمام عليّ عليه السلام بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله لمهمة جمع القرآن الذي كان متفرقاً في قلوب الناس وعلى لوائح، وعلى جلد الغزال وما شاكل ذلك، ثمّ عرضه على الخلافة فرفضوه؛ لأن هذا سيُعتبر ميزة للإمام عليّ عليه السلام تبقى مدى التاريخ، وبودّي وقد وصل الحديث للإمام علي عليه السلام أن أروي لكم رواية جميلة في فضله عليه السلام.

رواية الطائر المشوي:

الرواية المتّفق عليها والتي يرويها السُنّة والشيعة وتسمى رواية الطائر المشوي، وهي عن أنس بن مالك، قال: أهدي لرسول الله صلى الله عليه وآله طائر، فوضع بين يديه، فقال: «اللهم ائتني بأحب خلقك إليك يأكل معي »، فجاء علي بن أبي طالب عليه السلام فدق الباب، فقلت: من ذا؟ فقال: أنا

---

(١) المزمل:4.

(٢) النساء:82 ؛ محمّد:24.

(٣) الأعراف:170.

علي. فقلت: إن النبي ﷺ على حاجة، حتّى فعل ذلك ثلاثاً، فجاء الرابعة فضرب الباب برجله فدخل، فقال النبي ﷺ: «ما حبسك ؟»، قال: قد جئت ثلاث مرات. فقال النبي ﷺ: «ما حملك على ذلك ؟»، قال: قلت: كنت أحب أن يكون رجلاً من قومي[1].

نظرية عصمة القرآن:

أمير المؤمنين عليه السلام جمع القرآن وقدّمه للخلافة الراشدة فرفضوه، ثمّ أمر الخليفة الثالث بجمع القرآن، لكن ليس بالطريقة التي جمعها علي عليه السلام، هناك رأي يقول أن هذا القرآن الموجود فيما بيننا الآن هو جمع عثمان بن عفان، ورأي آخر يقول أن عمر بن الخطاب هو الذي جمعه، والنتيجة أن هذا القرآن المجموع الذي نقرؤه الآن هو القرآن نفسه، لكن الترتيب غير الترتيب الذي نزل به، فأوّل سورة نقرؤها الآن هي سورة الحمد، بينما هي ليست أوّل سورة نزلت من القرآن، ومع ذلك فإن رأي علماء الشيعة أن هذا القرآن الموجود الآن هو قرآن صحيح سالم ليس فيه نقيصة ولا زيادة، وهذه النظرية تسمى (نظرية عصمة القرآن)، ودليلنا على عصمة القرآن هو قول القرآن الكريم نفسه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[2]، وهذه الآية هي الدليل على عصمة القرآن من التحريف.

وأئمّتنا عليهم السلام قبلوا بهذا القرآن وقرأوه.

والحمد لله رب العالمين

---

(١) أنظر: أمالي الطوسي46/454/253؛ سنن الترمذي 3805/300/5؛ مستدرك الحاكم 130/3.

(٢) الحجر: 9.

* * *

المحاضرة السابعة والأربعون:

نظرية الجهاد في الإسلام

«وارزَقْنا عَمَلاً بِطاعَتِك، وَتَوَفّنا على مِلّتِك، وسُنّةَ نَبيّك ﷺ».

بسم الله الرحمن الرحيم

حديثنا اليوم عن نظرية الجهاد في الإسلام، وذلك انطلاقاً من أمرين:

الأمر الأوّل: إننا نعيش هذا اليوم ـ وهو السابع عشر من شهر رمضان ـ ذكرى معركة بدر الكبرى في السنة الأولى للهجرة، إذن يستحق الحديث عن الجهاد والقتال في الإسلام.

الأمر الثاني: كما أننا في ليالي شهر رمضان نجد ترسيخاً في الدعاء لفكرة: «وقتلاً في سبيلك فَوَفّق لنا»، حيث نلاحظ أن الإسلام لا يثقّف على حب السلامة، بل يثقف على حب الشهادة في سبيل الله، وهذه قضية يتفرد بها الإسلام ، كما نقرأ في أدعية شهر رمضان: «وليلة القدر، وحج بيتك الحرام، وقتلاً في سبيلك فَوَفّق لنا»[1].

إذن كيف يتعامل الإسلام مع فكرة الشهادة في سبيل الله؟

وبأيّ مستوى؟ هذا الأمر نتناوله موجزاً تحت عنوان: (نظرية الجهاد في الإسلام).

نظرية الجهاد في الإسلام:

الجهاد كما تعلمون هو أحد الفروض الكبرى في الإسلام ، الصلاة، الصوم، الزكاة، الحج، الجهاد، كما هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والولاية لأهل الله، والبراءة من أعداء الله.

---

(١) من دعاء الافتتاح يدعى به في كل ليلة من شهر رمضان. أنظر: إقبال الأعمال 1431.

هذه هي أهم الفروض الكبرى في الإسلام، والجهاد يقف في طليعتها.

مناهج التغيير:

حينئذٍ هنا بحث علمي، وهو أن عملية التغيير في المجتمع ما هو المنهج الصحيح لها في السياسات والمذاهب والفلسفات؟ هناك منهجان:

1 _ منهج التغيير الإصلاحي.

2 _ منهج التغيير الثوري.

منهج التغيير الثوري:

وبغض النظر عن الدقة في مدلول هذا المصطلح أو ذاك، لكن يوجد نظريتان، نظرية تقول: أن عملية التغيير تحتاج إلى قمع وإلى قسوة وإلى إبادة، وبدون ذلك لا يمكن أن تتم عملية التغيير، وهنا تقف النظرية الماركسية الشيوعية على رأس هذه الفلسفات، وهو أن التغيير يجب أن يكون تغييراً قائماً على أساس القوة والقمع والإبادة للآخرين، ويصرّحون بذلك!، وليس لديهم مشكلة في التصريح بأنه لا مانع أن يبقى ثلث العالم وثلثا العالم يموتون، ستالين ولينين هكذا كانوا يقولون: نعم للحزب الواحد، وهو الحزب الشيوعي، والموت للباقين، وبالفعل التاريخ يحدّث أن لينين فقط على عهده قتل أربعة ملايين إنسان، وستالين جاء وقتل ستة ملايين إنسان، ولا تستبعدوا ذلك، يعني مثل هذه النظم القاسية والحاقدة على البشرية تسترخص مقابر جماعية ومدن تُباد كلها وتتجمع مثل هذه الأرقام، وهذا ما وجدناه في نموذج صدام، فهؤلاء لا يُبالون بقتل البشر. هذه نظرية التغيير الثوري، إذا قبلنا هذه المصطلحات.

منهج التغيير الإصلاحي:

وهناك منهج التغيير الإصلاحي.

النظرية الغربية الديمقراطية هكذا تقول: إن عملية التغيير في

المجتمعات يجب أن تكون عبر القناعة فقط، وعبر المناهج الإصلاحية التربوية، عملية تغيير المجتمعات يجب أن تتم عبر طرق سلمية فقط، بغض النظر عما إذا كانت الديمقراطية الغربية تمارس هذا المنهج في الواقع أو لا.

منهج التغيير المزدوج:

الإسلام هنا ماذا يقول؟

الإسلام لديه نظرية الجهاد في سبيل الله، كما لديه نظرية الدعوة والموعظة والجدل بالتي هي أحسن. الإسلام هنا يؤمن بما يمكن أن نصطلح عليه بنظرية الأساليب المزدوجة ، أي إن الأصل هو القناعات وضرورة العمل على تغيير القناعات علمياً، هذا هو المنهج الأصل، لكن إلى جانب ذلك يؤمن الإسلام بالمساحات المحرّمة في الفكر، وحق استخدام القوة لفتح منافذ الحرية.

1 _ أمّا المساحات المحرمة في الفكر فهي عبارة عن الشرك، حيث يرى الإسلام أن الشرك لا يستحق الحياة، وهنا الإسلام صريح في هذه القضية ولا يجامل فيها، ولهذا كانت حروب النبي ﷺ مع اليهود والنصارى بشكل، ومع المشركين بشكل آخر، مع اليهود والنصارى كانت على سبيل المحبة والصداقة والمعايشة السلمية ودفع الضرائب وهي الجزية مثلما يدفعها المسلمون، لكن المشركين الذين لا يؤمنون بالله فلا مجال للتعايش معهم، فإذا لم يؤمنوا بالله فالله لا يعطيهم حق الحياة وهم لا يستحقون الحياة.

2 _ كما يؤمن الإسلام بضرورة فتح الآفاق أمام حرية الثقافة، فإذا افترضنا أن حاكماً من الحكام أغلق منافذ الحرية الفكرية على شعبه

بحيث لا يمكن إيصال كلمة الحق والهدى لذلك الشعب، الإسلام يقول: أنا أفتح حصون ذلك الشعب؛ لكي أوصل النور والحق لذلك الشعب وأسقط أولئك الطغاة، الإسلام يبيح لنفسه فتح الآفاق بالقوة أمام الحق، هكذا كانت الفتوحات الإسلاميّة، كانت عبارة عن فتح الحدود وإيجاد الجسور مع الشعوب، وفي الوقت شهدت التجربة الإسلاميّة حالة التعايش مع اليهود والنصارى والتبادل الثقافي والتجاري.

الرواية تقول: أن الإمام عليّ عليه السلام اقترض ديناراً من يهودي[1].

معنى هذا أن هناك صداقات وعلاقات طيّبة وتعايش سلمي، إذن هذه هي نظرية الجهاد في الإسلام، أوّل آيةٍ نزلت في الجهاد نزلت في الجهاد الدفاعي بعد سبعة أشهر من هجرة النبي، واليوم سنتحدّث عن حوادث السنة الأولى للهجرة، والتي كان منها زواج علي بفاطمة، وكان منها _ حسب ما يقول المؤرخون من السُنّة والشيعة _ ظاهرة تكلم الذئب[2]، وهكذا معركة بدر، والمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، وسأقرأ لكم بعض هذه الحوادث والقصص التي جرت في السنة الأولى

---

(١) أنظر: مناقب آل أبي طالب 3:147.

(٢) ورد في الرواية أنه في السنة الأولى من الهجرة تكلّم ذئبٌ خارج المدينة ينذر برسول الله صلى الله عليه وآله، جاء ذئب إلى راعي غنم فأخذ منها شاة، فطلبه الراعي حتّى انتزعها منه، فصعد الذئب على تل فأقعى واستثفر، وقال: عمدت إلى رزق رزقنيه الله انتزعته مني، فقال الرجل: بالله إن رأيت كاليوم ذئب يتكلم، قال الذئب: أعجب من هذا رجل في النخلات بين الحرتين يخبركم بما مضى وما هو كائن عندكم، وكان الرجل يهودياً، فجاء إلى النبي صلى الله عليه وآله فأخبره خبره، وصدّقه النبي صلى الله عليه وآله، ثمّ قال صلى الله عليه وآله: «إنها أمارة من أمارات الساعة، أوشك الرجل أن يخرج فلا يرجع حتّى تحدّثه نعلاه بما أحدث أهله بعده». أنظر: بحار الأنوار 19:129.

لهجرة النبي ﷺ.

نزول آية الجهاد:

في الشهر السابع من الهجرة نزل قوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾[1]،[2] بما يعني أنه لم يكن هناك إذنٌ سابقٌ بالجهاد، والنبي ﷺ خلال ثلاثة عشر عاماً لم يكن مسموحاً له بأن يحمل السيف ولو دفاعاً عن النفس، ورغم تعذيب قريش لأصحاب النبي ﷺ مثل بلال وعمّار وياسر وسميّة، وحينها لم يكن من حقهم أن يشهروا السلاح، لكن حينما انتقل المسلمون إلى المدينة المنورة وبعد سبعة شهور من هجرة النبي للمدينة نزل قوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾، وهذا إذن بالجهاد الدفاعي، ثمّ تطور الأمر إلى جهادٍ ابتدائي.

زواج علي وفاطمة عليهما السلام:

ومن حوادث السنة الأولى زواج علي وفاطمة عليهما السلام[3]. وبودي أن أنقل لكم القصة الكاملة لذلك كما يقول المؤرخون:

إن أبا بكر خطب فاطمة ، فأعرض النبي ﷺ عنه، ثمّ خطبها عمر بن الخطاب فأعرض عنه، وقال: انتظر أمر الله فيها، ثمّ خطبها عل ي، فقال له: أعندك ش يء؟ قال عل ي: قلت: فرسي ودرعي. قال: أما فرسك فلا بدَّ لك منه، وأما درعك فبعها وأتني بها. قال: فانطلقت فبعتها بأربعمائة

(١) الحج:39.

(٢) أنظر: مناقب آل أبي طالب1:161.

(٣) مناقب آل أبي طالب 1521.

وثمانين درهماً فوضعتها في حجره، فقبض منها قبضة وقال: أين بلال؟ فجاء، قال له: اشتر بها طيباً. ثمّ أمرهم أن يعملوا لهما سرير شريط، ووسادة من آدم حشوها ليف، وأمر أُمّ أيمن أن تنطلق إلى ابنته، وقال لعلي: لا تعجل حتّى آتيك. فانطلق النبي ﷺ ثمّ أتاهما، فقال لأُمّ أيمن: ها هنا أخي؟ قالت: نعم، أخوك وتزوجه ابنتك؟ قال: نعم. فدخل عليهما وقال لفاطمة: ائتني بماء، فأتته فاطمة بقعب فيه ماء، فمجّ فيه ثمّ نضح على رأسها وبين ثدييها، وقال: اللهم إني أُعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم. ثمّ قال لعلي: ائتني بماء، قال: فملأت القعب فأتيته به، فمجّ فيه فنضح منه على رأسي وبين كتفي، وقال: اللهم إني أُعيذه بك وذريته من الشيطان الرجيم. ثمّ قال: أدخل بأهلك على اسم الله تعالى وبركاته[1].

إسلام أبي ذر:

ومن وقائع السنة الأولى للبعثة هي حادثة إسلام أبي ذر الغفاري، لكن المؤرخين سجّلوها تحت عنوان (تكلم الذئب) كأحد الدلائل على صدق نبينا ﷺ.

هذه الرواية يرويها الشيعة بشكل وأهل السُنّة بشكل آخر، فأبو هريرة يروي هذه الرواية دون أن ينسبها إلى أبي ذر.

أما رواياتنا فتقول أن ذلك الشخص هو أبو ذر الغفاري، حيث إنه كان في منطقة اسمها (بطن المر) تبعد عن مكّة المكرمة بفراسخ، الرواية في كتاب الكافي للكليني مرويّة عن الإمام الصادق عليه السلام بسند صحيح قال: إن أبا ذر كان في بطن مر يرعى غنماً له، فأتى ذئب عن يمين غنمه

(١) أنظر: ينابيع المودة 2:64؛ كنز العمال 13:685، 37755.

فهش بعصاه على الذئب ، فجاء الذئب عن شماله فهش عليه أبو ذر ، ثمّ قال له أبو ذر: ما رأيت ذئباً أخبث منك ولا شراً، فقال له الذئب: شر والله مني أهل مكّة بعث الله ﷻ إليهم نبياً فكذبوه وشتموه ، فوقع في أذن أبي ذر. فقال لامرأته: هلمّي مزودي وأداوتي وعصاي، ثمّ خرج على رجليه يريد مكّة ليعلم خبر الذئب وما أتاه به، حتّى بلغ مكّة فدخلها في ساعة حارة وقد تعب ونصب ، فأتى زمزم وقد عطش فاغترف دلواً فخرج لبن ، فقال في نفسه: هذا والله يدلني على أن ما خبرني الذئب وما جئت له حق، فشرب وجاء إلى جانب من جوانب المسجد فإذا حلقة من قريش ، فجلس إليهم فرآهم يشتمون النبي ﷺ كما قال الذئب، فما زالوا في ذلك من ذكر النبي ﷺ والشتم له حتّى جاء أبو طالب من آخر النهار ، فلما رأوه قال بعضهم لبعض: كفّوا ، فقد جاء عمّه، قال: فكفوا فما زال يحدّثهم ويكلمهم حتّى كان آخر النهار، ثمّ قام وقمت على أثره ، فالتفت إليَّ فقال: أذكر حاجتك؟ فقلت: هذا النبي المبعوث فيكم ؟ قال: وما تصنع به؟ قلت: أ ؤمن به وأصدّقه و أعرض عليه نفسي ، ولا يأمرني بشئ إلاّ أطعته، فقال: وتفعل؟ فقلت: نعم ، قال: فتعال غداً في هذا الوقت إليَّ حتّى أدفعك إليه، قال: بتّ تلك الليلة في المسجد حتّى إذا كان الغد جلست معهم ، فما زالوا في ذكر النبي ﷺ وشتمه حتّى إذا طلع أبو طالب فلما رأوه قال بعضهم لبعض: أمسكوا فقد جاء عمّه، فأمسكوا فما زال يحدّثهم حتّى قام فتبعته فسلمت عليه فقال: أذكر حاجتك؟ فقلت: النبي المبعوث فيكم ، قال: وما تصنع به؟ فقلت: أ ؤمن به وأصدقه وأعرض عليه نفسي ، ولا يأمرني بش يء إلاّ أطعته، قال: وتفعل؟ قلت:

نعم، فقال: قم معي، فتبعته فدفعني إلى بيت فيه حمزة عليه السلام، فسلمت عليه وجلست ، فقال لي : ما حاجتك؟ فقلت: هذا النبي المبعوث فيكم ، فقال: وما حاجتك إليه؟ قلت: أ ؤمن به وأصدقه وأعرض عليه نفسي ، ولا يأمرني بش يء إلاّ أطعته، فقال: تشهد أن لا إله إلاّ الله ، وأن محمّداً رسول الله، فشهدت ، فدفعني حمزة إلى بيت فيه جعفر عليه السلام، فسلمت عليه وجلست ، فقال لي جعفر عليه السلام: ما حاجتك؟ فقلت: هذا النبي المبعوث فيكم ، قال: وما حاجتك إليه؟ فقلت: أ ؤم ن به وأصدقه وأعرض عليه نفسي ، ولا يأمرني بش يء إلاّ أطعته، فقال: تشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له ، وأن محمّداً عبده ورسوله، قال: فشهدت ، فدفعني إلى بيت فيه علي عليه السلام، فسلمت وجلست، فقال: ما حاجتك؟ فقلت: هذا النبي المبعوث فيكم ، قال: وما حاجتك إليه؟ قلت: أ ؤمن به وأصدقه وأعرض عليه نفسي ، ولا يأمرني بش يء إلاّ أطعته، فقال : تشهد أن لا إله إلاّ الله ، وأن محمّداً رسول الله، قال: فشهدت ، فدفعني إلى بيت فيه رسول الله صلى الله عليه وآله فسلمت وجلست، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: «ما حاجتك ؟»، قلت: النبي المبعوث فيكم، قال: «وما حاجتك إليه ؟»، قلت: أ ؤمن به وأصدقه ، ولا يأمرني بش يء إلاّ أطعته، فقال: «تشهد أن لا إله إلاّ الله ، وأن محمّداً رسول الله »، فقلت: أشهد أن لا إله إلاّ الله ، وأن محمّداً رسول الله، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: «يا أبا ذر انطلق إلى بلادك ، فإنك تجد ابن عمّ لك قد مات وليس له وارث غيرك ، فخذ ماله وأقم عند أهلك حتّى يظهر أمرنا »، قال: فرجع أبو ذر فأخذ المال وأقام عند أهله حتّى ظهر أمر

رسول الله ﷺ[1].

كانت هذه قصة إسلام أبي ذر الذي قال فيه رسول الله ﷺ في أروع وسام إلى أبي ذر: «ما أقلّت الغبراء ولا أظلّت الخضراء على ذي لهجةٍ أصدق من أبي ذر»[2].

أبو ذر كان أوّل مهجَّر في الإسلام على عهد عثمان بن عفان؛ لأن أبا ذر الغفاري كان يُوضح الحقائق للناس، وعثمان بن عفان لا يؤمن بمثل هذه الحرية في الحياة، ولا هو قادر على أن يقنع الناس بحقانيّته، وبالتالي سوّقه وهجَّره إلى الربذة، ومنع الناس من توديعه.

هذا هو أبو ذر الذي قال فيه الرسول ﷺ: «ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء على ذي لهجةٍ أصدق من أبي ذر»، بينما عثمان بن عفان يمنع ويعاقب من يخرج لتوديعه عندما نفاه إلى الربذة! فما خرج لتوديعه إلاّ علي والحسن والحسين وعمّار ومقداد، خرجوا لتوديع هذا الرجل العظيم الذي قال له الرسول: «يا أبا ذر! رحمك الله، تعيش وحدك، وتموت وحدك، وتبعث وحدك، وتدخل الجنّة وحدك، يسعد بك قوم من أهل العراق، يتولّون غسلك وتجهيزك والصلاة عليك ودفنك»[3].

علي عليه السلام خرج في توديعه، وقال له: «يا أبا ذر، إنك غضبت لله، فارجَ من غضبت له، إن القوم خافوك على دنياهم وخفتهم على دينك،

---

(١) الكافي 8: 298/457.

(٢) أمالي الطوسي: 53/70/39.

(٣) بحار الأنوار 21: 261.

فاترك في أيديهم ما خافوك عليه، واهرب منهم بما خفتهم عليه، فما أحوجهم إلى ما منعتهم، وما أغناك عمّا منعوك، وستعلم من الرابح غداً، والأكثر حسداً. ولو أن السماوات والأرضين كانتا على عبدٍ رتقاً ثمّ اتقى الله لجعل له منهما مخرجاً»[1].

فخرج أبو ذر للربذة وفيها مات وحيداً في قصةٍ مأساويةٍ تُسجل في تاريخ الإسلام وتاريخ أولئك الذين حكموا باسم الإسلام.

والحمد لله رب العالمين

* * *

---

(١) نهج البلاغة 2:12 130.

المحاضرة الثامنة والأربعون:

الحج وأنواع الانقطاع إلى الله تعالى

«وارْزَقْني حَجّ بَيْتِكَ».

بسم الله الرحمن الرحيم

الأدعية الكريمة في شهر رمضان يبرز فيها التأكيد على الدعاء للحج مكرراً: «وحج بيتك الحرام، وقتلاً في سبيلك فوفق لنا»[١]، «وارزقني حج بيتك الحرام في عامي هذا وفي كل عام، وزيارة قبر نبيّك، ولا تخلني يا رب من تلك المشاهد الشريفة والمواقف الكريمة»[٢].

لماذا التأكيد على الحج؟ وحديثنا الليلة موجزاً عن الحج في الإسلام.

لكن لدينا في البداية بحث علمي، ثمّ لدينا بحث عن الحج، وفلسفة الحج، وثواب الحج، وأحاديث واستعراض لروايات تربوية أخرى.

بحث علمي حول الحج:

الحج عبادة تمثّل حالة من حالات الانقطاع إلى الله ﷻ، كما أن الصلاة هي انقطاع إلى الله في دقائق معدودة، فإن الحج هو الآخر انقطاع إلى الله في غضون فترة أطول، قد تكون شهراً أو أكثر أو أقل، ومجمل العبادات هي انقطاع إلى الله، والابتعاد عن الدنيا واستذكار عالم الآخرة، واستذكار العالم الحقيقي وهو عالمنا بعد الموت؛ لاعتبار أن هذا العالم الذي نحن فيه هو عالم مؤقت وجسر عبور.

---

(١) أنظر: إقبال الأعمال 1431.

(٢) أنظر: مصباح المتهجد:67/691/587.

أنواع الانقطاع إلى الله:

العبادة تمثل حالة انقطاع، لكن هذا الانقطاع على ثلاث أشكال:

1 _ انقطاع زماني.

2 _ انقطاع مكاني.

3 _ انقطاع (زمكاني) يعني زماني ومكاني معاً.

الانقطاع الزماني مخصوص في وقت محدد، مثل الصلاة في مواقيتها، حيث لا يمكن أن تؤخرها عن طلوع الفجر إلى ما بعد طلوع الشمس، هذا انقطاع زماني، أنت في هذه الفترة يجب أن يكون لديك عدّة دقائق تنقطع بها إلى الله تعالى، وتتجرد عن الدنيا وما حولها، وتتجه بقلبك إلى الهه تعالى، فهذا انقطاع في زمن محدود، كذلك الصيام في شهر رمضان، هو أيضاً انقطاع زماني محصور بين أوّل شهر رمضان إلى آخر شهر رمضان، حيث لا يمكن لك أن تؤخره، هذا معنى الانقطاع الزماني.

وهناك انقطاع مكاني، مثل الاعتكاف، وهو عبارة عن انقطاع ثلاثة أيام يحصر فيها الإنسان نفسه في مسجد من المساجد ويبتعد عن علاقات الدنيا ويتفرغ للعبادة، وهو غير محصور بزمان معين، بل أيّة ثلاث أيام من أيام السنة، وأيّ شهر من شهور السنة، وأيّ أسبوع، لكن يجب أن يكون في مكان محدّد وهو مسجد جامع، هذا نسميه انقطاع مكاني.

هناك انقطاع (زَمَكاني)، يعني عبادة زمانية ومكانية، هذه العبادة أوضح نموذج لها هو الحج، فالحج انقطاع إلى الله تعالى، من حيث الزمان هناك وقت محدود لا يمكن أن يتقدم ولا يتأخر، فالحج لا

يمكن أن يكون في شهر رمضان أو شوال أو ربيع الأوّل أو غيره من الشهور، الحج له فترة محدودة يجب أن يقع في ذي الحجة من التاسع إلى ما بعده، وأما ما قبله فهي أعمال مقدّماتية تسمى العمرة، وهي أيضاً محددة بأشهر الحج، حيث لا يجوز تقدمها عليها. كل الحجيج يجب أن يجتمعوا في ذلك المكان في منى وعرفات والمزدلفة والمسجد الحرام للطواف وأداء المناسك زمانياً في وقت واحد، ومكانياً في مكان واحد، هذا انقطاع عالمي زماني ومكاني.

وهناك نموذج آخر للانقطاع الزماني والمكاني معاً، وهو صلاة الجمعة، صلاة الجمعة في أصل خلفيتها وتحديدها الديني أيضاً هي انقطاع زمكاني، زمانياً يوم الجمعة عند الزوال، مكانياً يجب أن يكون في مكان واحد تقام فيه صلاة الجمعة، ولا يمكن أن تقام في مكانين إلاّ إذا كانت بينهما فاصلة تزيد على خمسة كيلو مترات، وكما تعرفون فإن صلاة الجمعة هي حجّ مصغّر، وفيها خلفيّات الحج من حيث البُعد الزمكاني، وهكذا من حيث البُعد الاجتماعي، وسأحدّثكم عن هذه النقطة الثانية.

أنواع العبادات:

إن العبادات في الإسلام على نوعين: عبادات دينية محضة، وهناك عبادات دينية سياسية، أما العبادات الدينية فمثل الدعاء والصلاة والصوم والصدقة وما شاكل ذلك، هذه كلها عبادات دينية ليس فيها لون سياسي بحد ذاتها وفي أصل تشريعها.

وهناك عبادات دينية سياسية، يعني أنها بالأصل مشرّعة على أن

تكون ذات بُعد اجتماعي سياسي، ففي أصل تأسيسها أُخذ البُعد السياسي، إضافة إلى البُعد الديني الموجود في كل العبادات، لكن هنا تعثر على لون خاص اسمه البُعد السياسي، فهذه عبادات عباديّة سياسية، كما كان لدينا عبادات زمانية مكانية.

هذه العبادات التي هي ذات لون عبادي وذات لون سياسي معاً لدينا في الإسلام نموذجان صارخان لها: أوّلاً: الحج. وثانياً: صلاة الجمعة. وليس عندنا فيما عدا ذلك وبمستوى اللون الصارخ عبادات عبادية سياسية.

مثلاً صلاة الجمعة يشترط فيها أن يتحدّث إمام الجمعة للناس، وهذا شرط غير موجود في سائر الصلوات، كما ينبغي وفي الخطبة الثانية خاصة أن يتحدّث عن القضايا السياسية التي تهم البلاد والعباد، ويذكّر المسلمين بهمومهم والمخاطر التي يتعرضون إليها، إذن تستطيع أن تقول: إن هذه العبادة هي عبادة سياسية عبادية.

الحج أيضاً كذلك، فإن جميع المسلمين بألوانهم الأحمر والأصفر والأبيض والأسود، والهندي والأوربي والأمريكي، كلهم يجب أن يجتمعوا في مكان واحد في عرفات وفي منى وفي رمي الجمرات، وكلهم يلبسون ملابس واحدة، وكلهم يؤدّون مناسك واحدة، هذا مشهد عالمي، فيه مدلول عالمي، فيه مدلول سياسي هو البراءة من الشيطان والبراءة من أعداء الله وأعداء الدين، وإظهار وحدة كلمة المسلمين، هناك لا يوجد قوميّات، كأن يقول قائل أنا من القومية العربية أو الفارسية وآخر يقول أنا من القومية الهندية، هذا لا مجال له، أنت هناك

تكون مع الله تعالى، «اللهم البيت بيتك، والعبد عبدك»[١]، «إلهي سائلك ببابك، مسكينك ببابك، فقيرك ببابك، فتصدق عليه بالجنّة»[٢]، لا يوجد قوميات ولا أحزاب ولا فئويّات ولا قبليّات، هذا بُعد سياسي هو توحيد الأواصر الإنسانية بين أبناء العالم ووضعهم باتجاه واحد، اتجاه البراءة من أعداء الله، ﴿بَراءَةٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[٣]، هذه عملية سياسية هي عملية البراءة من أعداء الله.

الحج عبادة ذات بُعدين: ديني، وسياسي. مما يؤكد أن الإسلام هو ديني سياسي أيضاً، هذه مظاهر تدلل على أن الإسلام ليس مجرد أن يتعبد الإنسان في كنيسة أو مسجد ويكون عبداً صالحاً وذا أخلاق حسنة، لا، الإسلام عبادي سياسي.

فضل الفقراء وثوابهم:

مجموعة من الفقراء جاؤوا إلى رسول الله ﷺ، قالوا: يا رسول الله، إن الأغنياء ذهبوا بالجنّة، يحجّون، ويعتمرون، ويتصدقون، ولا نقدر عليه، فقال ﷺ: «إن من صبر واحتسب منكم تكن له ثلاث خصال ليس للأغنياء أحدها: إن في الجنّة غرفاً ينظر إليها أهل الجنّة كما ينظر أهل الأرض إلى نجوم السماء لا يدخلها إلاّ نبي فقير أو شهيد فقير أو مؤمن فقير، وثانيها: يدخل الفقراء الجنّة قبل الأغنياء بخمسمائة عام، وثالثها: إذا قال الغني: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلاّ الله والله أكبر،

---

(١) أنظر: مصباح المتهجد22/753682.

(٢) أنظر: المهذب 2331.

(٣) التوبة: 1.

وقال الفقير مثل ذلك لم يلحق الغني الفقير، وإن أنفق فيها عشرة آلاف درهم، وكذلك أعمال البر كلها». فقالوا: رضينا[١].

يعني كلاهما يسبّح، لكن الغني لو يضع فوق تسبيحه عشرة آلاف درهم صدقةً لا يلحق بسرعة الفقير ودخوله إلى الجنّة وتسبيحه.

الحج والجمعة:

هناك صداقة ونقاط تشابه بين الحج والجمعة، ولهذا جاء في الحديث: «الجمعة حج المساكين»[٢].

عوامل دخول الجنّة:

كنت أريد أن أُحدّثكم في إحدى الليالي عن مجموعة عوامل لدخول الجنّة، في الفكر الديني نضعها أدوات احتياطية بعد الموت نحملها معنا.

الليلة كنت أقرأ في كتاب الأحاديث (وسائل الشيعة) للحر العاملي فوجدت رواية لطيفة في هذا الشأن، أريد أن أقرأها لكم لجمالها.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «ضمنت لستة الجنّة: رجل خرج بصدقة فمات فله الجنّة، ورجل خرج يعود مريضاً فمات، ورجل خرج مجاهداً في سبيل الله فمات فله الجنّة، ورجل خرج حاجاً فمات فله الجنّة، ورجل خرج للجمعة فمات فله الجنّة، ورجل خرج في جنازة رجل مسلم فمات فله الجنّة»[٣].

---

(١) بحار الأنوار 2:68.

(٢) بحار الأنوار86 199.

(٣) وسائل الشيعة10211 14355/29.

الحج عبادة سياسية:

نرجع إلى حديثنا عن العبادات   العبادية   السياسية، وعلى رأسها الحج.

في الحج _ كما تعلمون _ لدينا: المسجد الحرام، والبيت الحرام، والبلد الحرام، والشهر الحرام، فما معناها؟

البيت الحرام هو الكعبة، والمسجد الحرام هو مسجد مكّة المكرمة، والبلد الحرام هو مكّة المكرمة، والشهر الحرام هو عبارة عن رجب وذي القعدة وذي الحجة ومحرم، وهي أشهر يحرم فيها القتال.

محرم الحرام يحرم فيه القتال، ولكن آل أمية قتلوا الحسين في الشهر الحرام، وأرادوا استباحة البلد الحرام والمسجد الحرام والبيت الحرام.

وتنقسم العبادات إلى قسمين: عامة، وخاصة.

والعبادات الخاصة تسمى عبادات توقيفية، بمعنى أن المصدر الوحيد لها هو الشارع المقدس، فنحن نتوقف فيها على ما يَرد من الشارع المقدّس. ولكن العبادات العامة ليست توقيفية، مثل ذكر الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِياماً وَقُعُوداً وَعَلى جُنُوبِهِمْ   ﴾[1]، حيث نستطيع أن نذكر الله تعالى بأيّة كيفية، دونما حاجة إلى التقييد بصورة خاصة واردة من الشارع المقدّس.

وهناك عبادات خاصة مقيّدة بصورة معينة، مثل الصلاة، فأنت لا تستطيع أن تضع الركوع بعد السجود، ولا يمكن أن يكون الركوع قبل قراءة سورة الحمد، هذه نسمّيها عبادات توقيفية.

---

(١) آل عمران:191.

هنا جرت اتجاهات انحرافية تقول: إن الدين هو عبارة عن تربية ورياضة النفس، فنحن بأيّ طريق نستطيع أن نُروّض أنفسنا، ولا حاجة إلى الالتزام بما ورد في الشريعة الإسلاميّة. لأنه ورد: (الطرق إلى الله على عدد أنفاس الخلائق)(١).

هؤلاء أصحاب الخطوط الانحرافية قد نسوا أن العبادات هي عبارة عن مخطط يجب أن يكون ضمن هندسة معينة، هؤلاء كانوا يحرّفون الدلالات القرآنية.

قالوا: القرآن يقول: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾(٢)، ومعناه أننا إذا وصلنا لليقين فنحن بعد ذلك لا نحتاج إلى العبادة، نحن جاءنا اليقين، بينما المقصود في الآية القرآنية وفق التفسير الصحيح هو أن: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ يعني: حتّى يأتيك الموت الذي هو حق ويقين، وإلاّ فلماذا لم يترك رسول الله العبادة وقد وصل إلى اليقين!؟

روايات في فضيلة الحج:

الحج عبادة عظيمة في الإسلام، أقرأ لكم شيئاً مختصراً من روايات في فضيلة الحج.

البيت الحرام اسمه البيت العتيق، وهناك ثلاث تفاسير في سبب تسميته بذلك:

الأوّل: أن الله تعالى يَعتق من طاف به من النار(٣).

---

(١) لم يثبت أنه حديث، ولم يرد في مصادر الحديث المعتمدة، وإنما هو كلام بعض الحكماء والعرفاء.

(٢) الحجر:99.

(٣) إعانة الطالبين 3262.

الثاني: البيت العتيق الذي اعتقه الله من الغرق في طوفان نوح؛ لأن هذا البيت كان موجوداً في أيام نوح، ولما غرقت الدنيا سَلِم هذا البيت سلم ونجا من الغرق فسُمي البيت العتيق[(١)].

الثالث: البيت العتيق بمعنى أنه قديم لأنه أوّل بيت وضِعَ للناس، وأن أوّل بقعة خُلقت من الأرض الكعبة[(٢)].

المسجد الحرام والبيت الحرام موجود منذ آدم، والروايات تقول في فلسفة البيت الحرام: إن الله تعالى لما قال للملائكة: ﴿إِنّي جاعِلٌ في الأَرْضِ خَليفَةً﴾ قال بعضهم وليس كلهم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيها مَنْ يُفْسِدُ فِيها﴾، الله تعالى أنّب هؤلاء الملائكة، قال: ﴿إِنّي أَعْلَمُ ما لا تَعْلَمُونَ﴾[(٣)]، فندم هؤلاء الجمع من الملائكة، فتعلقوا بالعرش يتوبون ويستغفرون من الله تعالى، فأراد الله أن يخلق للعباد في الأرض بيتاً يطوف به التائبون والعابدون كما كانت الملائكة تلوذ بعرش الله تعالى، فاختار للعباد هذا البيت الحرام[(٤)]. هذه رحمة من الله وانعطافة تاريخية.

الحديث عن الصادق عليه السلام يقول: «الحجاج يصدرون على ثلاثة أصناف: صنف يُعتق من النار، وصنف يخرج من ذنوبه كهيأة يوم ولدته أُمّه، وصنف يحفظ في أهله وماله، فذاك أدنى ما يرجع به الحاج»[(٥)].

وأختم الحديث بهذه الرواية عن الصادق عليه السلام: «الحاج والمعتمر

---

(١) أنظر: تفسير مجمع البيان 389:1.

(٢) أنظر: من لا يحضره الفقيه 2:1 229/624.

(٣) البقرة:30.

(٤) أنظر: علل الشرائع 402/2/ باب142/3.

(٥) الكافي 253:4/ باب فضل الحج والعمرة وثوابهما/ ح 6.

وَفد الله، إن سألوه أعطاهم، وإن دعوه أجابهم، وإن شفعوا شفعهم، وإن سكتوا ابتدأهم ويعوضون بالدرهم ألف درهم»[١].

والحديث عن الإمام الصادق عليه السلام يقول: «إذا اقشعر جلدك، ودمعت عيناك، ووجل قلبك، فدونك دونك فقد قصد قصدك»[٢].

أيها الشباب، نحن محتاجون إلى مغفرة الله ورحمته، ووراءنا حياة طويلة من ملايين السنين، نحتاج إلى هذه اللحظات التي فيها وجل القلب ودمعة العين.

والحمد لله رب العالمين

* * *

(١) الكافي 2554/ باب فضل الحج والعمرة وثوابهما/ ح14.

(٢) الخصال:81/ باب الثلاثة/6.

المحاضرة التاسعة والأربعون:

القرآن

النصوص الواردة في فضل الإمام علي عليه السلام

«وَاجْعَلْنِي مِنْ أوْفَرِ عِبَادِكَ عِنْدَكَ نَصِيبا فِي كُلِّ خَيْرٍ أنْزَلْتَهُ وَتُنْزِلُهُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَمَا أنْتَ مُنْزِلُهُ فِي كُلِّ سَنَةٍ مِنْ رَحْمَةٍ تَنْشُرُهَا وَعَافِيَةٍ تُلْبِسُهَا وَبَلِيَّةٍ تَدْفَعُهَا وَحَسَنَاتٍ تَتَقَبَّلُهَا وَسَيِّئَاتٍ تَتَجَاوَزُ عَنْهَا».

بسم الله الرحمن الرحيم

ما زال الحديث عن ليلة القدر، وعن أمير المؤمنين عليه السلام، وعن القرآن الكريم، ثمّ عن شهادة أمير المؤمنين عليه السلام.

الجدير طبعاً في مثل هذه الليلة أن يستغرق أمير المؤمنين عليه السلام حديثنا وبحثنا، لهذا فإن هذه الليلة مخصصة لأمير المؤمنين بإذن الله تعالى.

تنزيل القرآن:

القرآن أُنزل في ليلة القدر كما تعلمون، ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾(١)، والمسلمون متفقون على أن القرآن الكريم أُنزل تنزيلاً خلال (23) سنة، أي من يوم ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾(٢) إلى وفاة النبي صلى الله عليه وآله بعد (23) سنة كان القرآن ينزل تنزيلاً، فكيف يقول القرآن من ناحية ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾، ومن ناحية أخرى أنه أُنزل خلال (23) سنة كما قال تعالى: ﴿وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ﴾(٣)؟ وكيف يفسر ذلك العلماء والمفسرون؟

هناك تفسيران:

التفسير الأوّل يقول: أن القرآن أُنزل جملةً واحدةً متكاملةً في ليلة

---

(١) القدر: 1.

(٢) العلق: 1.

(٣) الإسراء106.

القدر إلى عالم السماء الدنيا، يعني هي المرحلة الأولى من التنزيل، وهي التنزيل الإجماعي، ولم ينزل للعباد، ثمّ بمبعث نبينا ﷺ في السابع والعشرين من رجب بدأت عملية التنزيل التفصيلي، وبدءً من أوّل آية نزلت، وكانت: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾(١).

التفسير الثاني: أن القرآن أُنزل جملةً واحدةً بشكل إجمالي في ليلة القدر على قلب رسول الله ﷺ، ثمّ فُصّل تفصيلاً على لسان النبي، يعني أن جوهر القرآن وروح القرآن أُنزل في ليلة القدر، ثمّ التفصيل كان خلال (23) سنة، هذا تنزيل على قلب النبي ﷺ ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾(٢) (٣).

إشكالات المشركين:

المشركون كانوا يُكثرون الإشكالات على النبي ﷺ، فمرة يقولون: ﴿وَقَالُوا لَوْلا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾(٤)، فالقرآن لماذا نزل على يتيم آل أبي طالب؟، هلاّ نزل على غيره من كبراء القوم!

ومرة ثانية لديهم إشكال آخر: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾(٥)، أي إنه لو أُنزل القرآن جملةً واحدة وغير مقسَّم ومفصّل إلى آيات وأجزاء تنزل كل يوم أو شهر أو أكثر لكُنا قبلنا به.

---

(١) العلق: 1.

(٢) الشعراء193 و194.

(٣) أنظر: تفسير مجمع البيان10 :405.

(٤) الزخرف:31.

(٥) الفرقان:32.

لاحظوا أن هذه إشكالات غير علميّة، فالقرآن إذا أُنزل جملة واحدة أو أُنزل تفصيلاً فهل هذا يفرق عندكم؟ فهو في كل الأحوال من عند الله سبحانه وتعالى.

القرآن الكريم يقول: ﴿وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ﴾[1]، أي إن الناس لن يتحملوا أن يعطيهم الرسول القرآن جملة واحدة، بل يجب تفصيله إلى آيات، ومرة أخرى يقول القرآن: ﴿لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾[2]، فلكل مشكلة ننزل إليك آيات، إذن هناك حكمة لله تعالى بأن نزل القرآن تفصيلاً وتنزيلاً وليس جملة واحدة.

هذا القرآن أُنزل على قلب رسول الله صلى الله عليه وآله، ثمّ إن رسول الله صلى الله عليه وآله أعطاه إلى قلب علي عليه السلام حينما قال: «علَّمني رسول الله ألفَ بابٍ من العلم، فتح لي من كل باب ألفَ باب»[3]، فعليّ هو فهرس القرآن الكريم، «أنا مدينة العلم وعلي بابها»[4].

الليلة لديَّ بحث استعراضي عن الآيات التي نزلت، والنصوص المؤكدة المتواترة التي جاءت عن رسول الله صلى الله عليه وآله في شأن ولاية علي وعلمه.

أنواع البحث التاريخي:

ولكن قبل ذلك هناك سؤال يقول: إن هذا بحث تاريخي صار عمره أكثر من ألف وأربعمائة سنة!، فما هي فائدة هذه الأبحاث التاريخية؟

---

(١) الإسراء106.

(٢) الفرقان:32.

(٣) مناقب آل أبي طالب 2041.

(٤) عيون أخبار الرضا عليه السلام 29871:1.

الجواب: صحيح أن هذه قضية تاريخية، لكن هناك قضايا تاريخية أيديولوجية، أي ذات بُعد عقيدي، وهناك قضايا تاريخية لا علاقة لها بالعقيدة كما في قوله تعالى مثلاً: ﴿غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾[1]، وهذه بالنسبة لنا قضية تاريخية وليست قضية أيديولوجية تعبّر عن عقيدتنا وعن حضارتنا وهويتنا وتمتد معنا ومع حياتنا الدنيا ثمّ مع حياتنا الأخرى.

القضايا الأيديولوجية أو العقائدية هي قضايا فكرية تمتد مع حياة الإنسان في الدنيا وتؤثر على حياته في الآخرة بخلاف القصص الأخرى. مثال ذلك طوفان نوح عليه السلام، ومن كان معه في السفينة؟ وما هو طول السفينة؟ كم يوم طافت السفينة في المياه؟ ما هو تسبيح نوح؟ كيف صنعها؟ كم سنة صنعها؟ هذه قضايا حقّة، ولكنها ليست ذات شأن عقائدي بالنسبة لنا، سواءً عرفناها أم لم نعرفها، فهذا لا يشكّل قضية كبيرة بالنسبة لنا، السفينة كان طولها مائة متر أو ألف متر، فهذا لا يفرق علينا، وبخلافها مثلاً نزول القرآن في غار حراء، وهذه قضية تاريخية تمتد لما قبل ألف وأربعمائة عام، فهل نستطيع أن نقول: إن هذه قضية تاريخية، ولماذا نهتم بها كثيراً؟ هل يستطيع أحد أن يقول: إن النبوة قضية تاريخية وهي جزء من التراث البائد؟

إن هذا الكون نشأ عن إبداع إلهي، أم هو عبارة عن انفجار أعمى حدث من لا شيء؟ وهذه قضية تاريخية أيضاً ترجع إلى مئات ملايين السنين، لكنها ذات بُعد عقائدي، فنحن إما أن نؤمن بأن هذا الكون

---

(١) الروم: 2 و3.

مخلوق لإرادة إلهية، أو نؤمن بأن هذا الكون غير مخلوق، إن بدايته هي قضية تاريخية، لكن هي قضية عقائدية أيضاً ، النبوة أيضاً قضية تاريخية، لكنها أيديولوجية وذات بُعد عقائدي، وهذا البعد العقائدي يمشي مع الإنسان في حياته وبعد مماته، الحساب في الدنيا على أساس هذه القضية العقائدية ويوم القيامة أيضاً ، في الآخرة يعامل الإنسان على أساس اعتقاداته، فلا بدَّ أن نعرف ما هي اعتقاداتنا.

إن عليّاً عليه السلام هل كان هو المدخل لرسول الله صلى الله عليه وآله بحيث أن التشريع والتفسير نأخذه من علي عليه السلام، أو من مداخل أخرى؟، فالقرآن يقول: ﴿وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوابِها﴾[1]، إذن هل أن باب رسول الله صلى الله عليه وآله هو الإمام علي عليه السلام، أم هو أبو هريرة؟ إذن المسألة مرتبطة بشريعتنا وإسلامنا، ومرتبطة بدنيانا وآخرتنا.

نحن من أين نعرف الإسلام؟

هل نأخذ الإسلام من لسان علي الذي يقول عنه الرسول صلى الله عليه وآله: «علي مع القرآن والقرآن معه، لا يفترقان حتّى يردا عليَّ الحوض»[2]، «علي مع الحق والحق مع علي»[3]؟ أم نأخذ الإسلام وتشريعاته من صحابة آخرين عرفوا شيئاً من الإسلام وجهلوا كثيراً منه رغم ما لهم من فضل؟

هذا هو البحث.

---

(١) البقرة: 189.

(٢) أمالي الطوسي: 460/1028/34.

(٣) مناقب آل أبي طالب: 260/2.

الآيات القرآنيّة في علي عليه السلام:

الليلة وعلى سبيل الإيجاز أذكر لكم بعض الآيات في أمير المؤمنين عليه السلام، ثمّ روايات شريفة فيه عليه السلام.

عندنا آيتان هما من أوضح الآيات النازلة في شأن علي عليه السلام.

الآية الأولى: ﴿إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَهُمْ راكِعُونَ﴾[١]، وهذه الآية نزلت في عليّ باتفاق المسلمين المؤرخين والمحدّثين سُنّة وشيعة، ولم يشذ عنهم من ذلك شاذ، ويُجمع المسلمون سُنّةً وشيعة أن أعرابياً دخل مسجد النبي يسأل الناس فلم يجبه أحد، وكان علي عليه السلام مشغولاً بصلاته في الركوع وقد تختَّم بخاتم، فمدَّ إليه يده في أثناء الركوع مشيراً إليه أن خُذ الخاتم، فأقبل الأعرابي وأخذ الخاتم من يد علي وهو في الصلاة، فنزل قوله تعالى: ﴿إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ...﴾ إلى آخر الآية[٢].

الآية الثانية قوله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾[٣]، أيضاً بإجماع المفسّرين والمؤرخين والمحدّثين أنها نزلت في غدير خُم بعد حجة الوداع، حيث جمع رسول الله صلى الله عليه وآله كل المسلمين وكانوا يزيدون على مائة ألف، وقد تفرقوا، فجمعهم وقال: «من كنت مولاه فهذا علي مولاه،

---

(١) المائدة:55.

(٢) راجع: الكافي 288:1/ باب ما نص الله عزّ وجلّ ورسوله على الأئمّة عليهم السلام واحداً فواحداً/ ح 3؛ مجمع الزوائد 17:7؛ تاريخ دمشق 357:42.

(٣) المائدة:67.

اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله» (١)، وذلك بعد أن أمره الله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ...﴾.

أنواع الأحاديث في شأن علي عليه السلام:

أما النصوص من رسول الله صلى الله عليه وآله في علي عليه السلام فهناك ثلاثة أنواع من النصوص:

1 _ نصوص ذات بعد علمي.

2 _ نصوص ذات بعد سياسي.

3 _ نصوص ذات بعد شمولي.

أما النصوص ذات المدلول العلمي فكل ما أذكره هو بإجماع المؤرخين والمفسّرين من الفريقين، فـ أوّل نص هو «أنا مدينة العلم وعلي بابها» (٢)، فرسول الله حسم الموقف، ولا يحق لكم أن تدخلوا المدينة من غير أبوابها، إذن أيّ مدخل لمعرفة الشريعة الإسلاميّة غير مدخل علي يُعتبر انحرافاً.

الرواية الثانية: أمير المؤمنين عليه السلام يقول: «علَّمني رسول الله ألفَ بابٍ من العلم، فتح لي من كل باب ألفَ باب»(٣).

الرواية الثالثة: رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «أقضاكم علي»(٤).

---

(١) راجع: الإرشاد 1751؛ أسباب النزول135؛ الدر المنثور 2982.

(٢) أمالي الصدوق560425/1؛ مستدرك الحاكم 1263.

(٣) مناقب آل أبي طالب 2041.

(٤) دلائل الإمامة236؛ شرح نهج البلاغة 18:1؛ تاريخ دمشق30051.

الرواية الرابعة: روي أنه وفد وفدٌ من بلاد الروم إلى المدينة على عهد أبي بكر وفيهم راهب من رهبان النصارى ، فأتى مسجد رسول الله ﷺ، وكان أبو بكر حاضراً وعنده جماعة من المهاجرين والأنصار.

فدخل عليهم وحيّاهم ورحب بهم، وتصفح وجوههم، ثمّ قال: أيّكم خليفة رسول الله وأمين دينكم؟ فأوم ي إلى أبي بكر ، فأقبل إليه بوجهه ، ثمّ قال : أيها الشيخ ، ما اسمك؟ قال، عتيق. قال : ثمّ ماذا؟ قال: صديق. قال: ثمّ ماذا؟ قال: لا أعرف لنفسي اسماً غيره ! فقال: لست بصاحبي ، فقال له: وما حاجتك؟ قال: أنا من بلاد الروم ، جئت منها ببختي موقر ذهباً وفضة، لأسأل أمين هذه الأمّة من مسألة إن أجابني عنها أسلمت، وبما أمرني أطعت، وهذا المال بينكم فرقت ، وإن عجز عنها رجعت إلى الوراء بما معي ولم أسلم، فقال له أبو بكر: سل عمّا بدا لك. فقال الراهب: والله لا أفتح الكلام ما لم تؤمني من سطوتك وسطوة أصحابك ، فقال أبو بكر: أنت آمن، وليس عليك بأس، قل ما شئت. فقال الراهب: أخبرني عن شيء: (ليس لله، ولا من عند الله، ولا يعلمه الله). فارتعش أبو بكر ولم يحر جواباً، فلما كان بعد هنيئة قال لبعض أصحابه: ائتني بأبي حفص عمر. فجاء به فجلس عنده ثمّ قال: أيها الراهب سله. فأقبل بوجهه إلى عمر وقال له مثل ما قال لأبي بكر ، فلم يحر جواباً ثمّ أتى بعثمان، فجرا بين الراهب وعثمان مثل ما جرى بينه وبين أبي بكر وعمر فلم يحر جواباً. فقال الراهب: أشياخ كرام، ذوو فجاج لإسلام. ثمّ نهض ليخرج. فقال أبو بكر: يا عدو الله ، لولا العهد لخضبت الأرض بدمك. فقام سلمان الفارسي رضي الله عنه فأتى علي بن أبي طالب عليه السلام وهو جالس في صحن داره

مع الحسن والحسين عليهما السلام، وقص عليه القصة. فقام علي عليه السلام وخرج ومعه الحسن الحسين عليهما السلام حتّى أتى المسجد، فلما رأى القوم علياً عليه السلام، لكبّروا الله، وحمدوا الله، وقاموا إليه أجمعهم، فدخل علي عليه السلام وجلس ، فقال أبو بكر: أيها الراهب سله ، فإنه صاحبك وبغيتك، فأقبل الراهب بوجهه إلى علي عليه السلام، ثمّ قال: يا فتى ، ما اسمك؟ قال: «اسمي عند اليهود : (إليا)، وعند النصارى : (إيليا)، وعند والدي : (علي)، وعند أُمّي : (حيدرة)»، قال: ما محلك من نبيكم؟ قال: «أخي وصهري وابن عمّي لحاً ». قال الراهب: أنت صاحبي ورب عيسى، أخبرني عن شيء ليس لله، ولا من عند الله، ولا يعلمه الله. قال عليه السلام: «على الخبير سقطت ، أما قولك : (ما ليس لله)، فإن الله تعالى أحد ليس له صاحبة ولا ولد. وأما قولك : (ولا من عند الله)، فليس من عند الله ظلم لأحد. وأما قولك : (لا يعلمه الله)، فإن الله لا يعلم له شريكاً في الملك ». فقام الراهب، وقطع زناره، وأخذ رأسه وقبل ما بين عينيه وقال: أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأن محمّداً رسول الله ، وأشهد أنك أنت الخليفة ، وأمين هذه الأمّة، ومعدن الدين والحكمة، ومنبع عين الحجة، لقد قرأت اسمك في التوراة : إليا، وفي الإنجيل : إيليا، وفي القرآن : علياً، وفي الكتب السابقة : حيدرة، ووجدتك بعد النبي وصياً، وللإمارة ولياً، وأنت أحق بهذا المجلس من غيرك، فخبرني ما شأنك وشأن القوم؟ ، فأجابه بشيء، فقام الراهب وسلم المال إليه بأجمعه، فما برح علي عليه السلام مكانه حتّى فرّقه في مساكين أهل المدينة ومحاويجهم، وانصرف الراهب إلى قومه مسلماً[(١)].

---

(١) الاحتجاج 1:307.

وهذه واردة ومتكررة، يبدو أن الخليفة الثاني كان يتعرّض إلى هكذا نمط من الحملات العلمية، وهو غير قادر على جوابها، وبما أن القضية إسلاميّة وتُهدد واقع الإسلام فكان علي عليه السلام يتصدى للدفاع عن الإسلام وردّ هذه الشبهات العلمية.

الرواية الخامسة: عن النبي صلى الله عليه وآله: «علي مع القرآن والقرآن مع علي، لن يفترقا حتّى يردا عليَّ الحوض»[١]، هذه مجموعة أحاديث متواترة ثابتة عن طريق الفريقين، هذه الأحاديث نسميها أحاديث ذات بُعد علمي، أي إنها تبين شخصية الإمام علي عليه السلام علمياً.

النصوص ذات المدلول السياسي:

الحديث الأوّل: «من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله»[٢].

الحديث الثاني: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى، إلاّ أنه لا نبي بعدي»[٣].

الحديث الثالث: «يا عليّ، أنا وأنت أبوا هذه الأمّة»[٤].

الحديث الرابع: «يا عليّ من أحبك فقد أحبني، ومن أبغضك فقد أبغضني، وحبيبك حبيبي، وحبيبي حبيب الله، وبغيضك بغيضي، وبغيضي بغيض الله، فطوبى لمن أحبّك بعدي»[٥].

(١) أمالي الطوسي: 460/1028/34 ؛ مستدرك الحاكم 3: 124.
(٢) أمالي الصدوق: 427/565/6 ؛ مسند أحمد 1: 119.
(٣) الكافي 8: 106/80 ؛ سنن الترمذي 5: 3814/3045.
(٤) أمالي الصدوق: 754/1015/6؛ ينابيع المودة 1: 370/ باب 41/4.
(٥) بشارة الإسلام: 253/50؛ ونحوه في: تاريخ دمشق 42: 283؛ والكامل لابن عدي 5: 312.

الحديث الخامس: «يا علي من سبّك فقد سبّني، ومن سبّني فقد سبّ الله» [1]؛ لأن المنافقين كانوا يشنون حملات على علي؛ لأنهم لا يقدرون على رسول الله صلى الله عليه وآله، وهم مولعون بسب عليّ والتشفي بشخصيته، لهذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله يهمّه الدفاع عن علي، «من سبّ عليّ فقد سبّني».

وهذا الحديث ينطبق على أولئك الذين قادوا علياً مكتوفاً وقالوا له: بايع يا عليّ.

فقال: فإن لم أفعل؟

فقالوا: إذن نضرب عنقك!! (وفي رواية): إذاً نقتلك ذلاً وصغاراً [2].

فهل هؤلاء ينطبق عليهم «من أحبّ علياً فقد أحبني»؟! أهكذا يفعل من يُحب علي؟ وهذه الروايات ذات مدلول سياسي؛ لأن من أحبّ علياً فمن الطبيعي أن لا يخالفه ولا يقوده ملبباً بحمائل سيفه، ومن الطبيعي أن لا يعتدي على الزهراء عليها السلام ولا يهدد علياً عليه السلام بالقتل، من أحبّ علياًّ كان تابعاً لعليّ عليه السلام، وهذا هو مدلول سياسي.

هل محبة عليّ موجودة عند شيعة أهل البيت، أم موجودة عند أولئك الذين قادوه مكتوفاً وهجموا على الزهراء وقتلوا الحسن وقتلوا الحسين وقتلوا ذرية رسول الله؟ هذه المحبة لها مدلول على مستوى أرض الواقع.

النصوص ذات المدلول الشمولي:

يعني أنها تعبّر عن شخصية الإمام عليّ عليه السلام، وتجسّد عظمة هذا الإنسان.

---

(١) كشف الغمة 1:107؛ الفصول المهمّة (لابن الصباغ المالكي) 1:590.

(٢) أنظر: الاختصاص:186؛ الاحتجاج 1:109؛ السقيفة وفدك (للجوهري):71.

النص الأوّل: كما في قول رسول الله ﷺ في معركة الخندق حين برز الإمام عليّ عليه السلام: «برز الإيمان كله إلى الشرك كله»[١]، ثمّ قال بعد نهاية المعركة: «ضربة عليّ يوم الخندق تعدل عبادة الثقلين»[٢]، وكان ذلك في معركة الأحزاب في السنة الخامسة للهجرة، حيث جمّعت قريش جموعها ومعهم من تحالف معهم، وهم في عشرة آلاف مقاتل، يومئذٍ كان جناح المسلمين قوياً أيضاً ، فرسول الله ﷺ كان لديه ثلاثة آلاف مقاتل، أي إن هناك امتدادات بشرية لدى المسلمين، لكن قريش جاءت بعشرة آلاف مقاتل.

رسول الله ﷺ في هذه المعركة التي تُسمّى معركة الأحزاب وتُسمّى أيضاً بمعركة الخندق تشاور مع القيادة العسكرية أنه ما هو الموقف أيها المسلمون؟ فأعطاه سلمان الفارسي مخططاً عسكرياً.

قال: نحن حينما كان يداهمنا خطر لا طاقة لنا فيه كنّا نحفر خندقاً، فأمر رسول الله ﷺ بحفر خندق حول أطراف المدينة بحيث لا يمكن لقوّات قريش أن تعبر، وجعل لكل عشرين فارساً أن يحفروا أربعين ذراعاً. جاءت قريش وشاهدت الخندق، وتراجعت خيولهم، وكان هناك بعض أبطال قريش وعلى رأسهم عمرو بن عبد ود العامري والذي كان يُلقب بفارس يَليل ــ وهي منطقة على بُعد من بدر ومن المدينة المنورة ــ حيث كان عمرو بن عبد ود ومعه جماعته وعشيرته وأصحابه قد قطع طريقهم رجال من بني بكر، فقال عمر بن عبد ود لأصحابه: اذهبوا وأنا أبقى هنا لأواجه قِطّاع الطرق، فوقف منفرداً يَصدّهم، وهو فارس عملاق وقوي وضخم، ورأوه صامداً، وانصرف الركب ووصل، ولمّا وصلوا انسحب عمرو بن عبد ود، وبنو بكر أيضاً لم يستطيعوا ملاحقة الركب،

(١) بحار الأنوار 20: 215؛ شرح نهج البلاغة 13: 261.
(٢) عوالي اللئالي 4: 86؛ شرح إحقاق الحق 7: 402.

حينئذٍ سُمي عمرو بن عبد ود فارس يليل، وكان يعدل ألف فارس.

عمرو بن عبد ود العامري كان وقتها بطلاً معروفاً مفتول العضلات لما وجد الخطَّة بهذا الشكل ـ أي الخندق ـ أصبح يتحرك يميناً وشمالاً إلى أن عثر على منطقة من الخندق يمكن للخيل القوية أن تعبرها، فقفز هو ومجموعة معه قفزةً عبروا بها الخندق ودخلوا في عمق المسلمين، فأصبح ينادي: ألا هل من مبارز؟ وليس هناك جواب، وكررَّها ثلاثاً، ثمّ أصبح يشتم المسلمين لإثارتهم، وليس هناك من يبرز، وفي كل مرةٍ كان يبرز له عليّ ورسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «من يبرز له وأنا أضمن له على الله الجنّة»، والقوم سكوت كأن على رؤوسهم الطير، فيقوم عليّ ويقول: أنا له يا رسول الله.

فيقول له: «يا عليّ اجلس إنه عمرو»، والإمام عليّ يجلس تأدباً.

ومرة ثانية يقول عمرو: ألا هل من مبارز؟ فلم يبر إليه أحد، فارتجز وقال:

ولقد بححت من النداء	بجمعكم هل من مبارز
ووقفت إذ جبن الشجاع	موقف الخصم المناجز
إني كذلك لم أزل	متسرعاً نحو الهزاهز
إن الشجاعة في الفتى	والجود من كرم الغرائز

فتقدم إليه أمير المؤمنين عليه السلام وهو يقول:

لا تعجلن فقد أتاك	مجيب صوتك غير عاجز
ذو نية وبصيرة	والصدق منجي كل فائز
إني لأرجو أن تقيم	عليك نائحة الجنائز
من طعنة نجلاء يبقى	ذكرها بين الهزاهز

رسول الله يستنهض المسلمين: «أيّكم يبرز له وأنا أضمن له على الله الجنّة»؟ فلا مجيب.

فيقوم عليّ ويقول: أنا له يا رسول الله.

فيقول: اجلس يا عليّ، إنه عمرو!

ومرة ثالثة يقوم عليّ ويقول: أنا له يا رسول الله.

فيقول: يا عليّ إنه عمرو.

قال: وإن يكن عمرو.

فقبَّله رسول الله ﷺ، وعمّمه بعمامته السحاب، وشدّ عليه تسعة أكوار بيده، وقلّده سيفه ذو الفقار ودرعَه الفضول، ثمّ دعا له بالنصر، وتقدم الإمام عليّ وحده راجلاً وعمرو بن ود فارساً، فقال له عمرو بن ود: من أنت؟

قال: أنا عليّ.

فقال: أنت ابن عبد مناف؟

قال: أنا عليّ بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف.

قال: أما خاف عليك محمّد أن اختطفك برمحي هذا فأدعك شائلاً لا إلى السماء ولا إلى الأرض؟

قال: لا، فابن عمّي يعلم أنك إذا قتلتني فأنا إلى الجنّة، وأنت إلى النار، وإن أنا قتلتك فأنت إلى النار، وأنا إلى الجنّة.

قال: كلتاهما لك يا عليّ.

ثمّ قال عليّ عليه السلام: يا عمرو، إنك كنت في الجاهلية تقول: لا يدعوني أحد إلى ثلاث إلاّ قبلتها، أو واحدة منها.

قال: أجل.

قال: فإني أدعوك إلى شهادة أن لا إله إلاّ الله وأن محمّداً رسول الله، وأن تسلم لرب العالمين.

قال: يا ابن أخ أخر هذه عني.

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: أما إنها خير لك لو أخذتها.

ثمّ قال: فها هنا أخرى.

قال: ما هي؟

قال: ترجع من حيث جئت.

قال : لا تحدّث نساء قريش بهذا أبداً.

قال: فها هنا أخرى.

قال: ما هي؟

قال: تنزل فتقاتلني.

فضحك عمرو وقال: إن هذه الخصلة ما كنت أظن أن أحداً من العرب يرومني عليها، وإني لأكره أن أقتل الرجل الكريم مثلك، وقد كان أبوك لي نديماً.

قال علي عليه السلام: لكنني أحب أن أقتلك، فأنزل إن شئت.

فأسف عمرو ، ونزل فضرب وجه فرسه وبادر إلى الإمام عليّ مسرعاً وضربه على رأسه، فثبت سيف عمرو بن ود في رأس الإمام عليّ ، فما كان من الإمام إلاّ أن ابتدره بضربةٍ كلمح بالبصر وبريق السماء وخطفه بسيفه فقطع رجليه، فثار الغبار.

فقال المنافقون: قُتل عليّ بن أبي طالب، ولم يتصوروا أنه بضربةٍ

كالبرق قد حَسم الموقف، وريثما هدأت العجاجة وإذا بعمرو بن ود العملاق واقع على الأرض.

الرواية تقول أن عمرو بن ود شتم عليّاً وشتم أُمَّه، فانسحب الإمام عنه حتّى هدأ غضبه عاد إلى عمرو بن ود وأجهز عليه فقتله.

رجع الإمام عليّ متبختراً في مشيته.

هنا رسول الله ﷺ أعطى للإمام عليّ وسامين، الوسام الأوّل حين برز والوسام الثاني حين رجع.

يوم برز قال: «برز الإيمان كله إلى الشرك كله».

ولما رجع وقد قتل عمرو بن ود قال رسول الله ﷺ: «ضربة عليّ يوم الخندق تعدل عبادة الثقلين».

رجع عليّ رجعة البطل المتبختر، فقد حَسم معركة ضخمة، فقال المنافقون: يا رسول الله، ألا ترى ابن عمّك كيف يتبختر؟

فقال رسول الله ﷺ: «إنها مشية يبغضها الله إلاّ في هذا المقام»، «ضربة عليّ يوم الخندق تعدل عبادة الثقلين»، هذا نص ذو دلالة شمولية على منزلة الإمام عليّ عليه السلام(١).

النص الثاني: قول رسول الله ﷺ: «لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، كرار غير فرار، لا يرجع حتّى يفتح الله على يديه».

في معركة خيبر ـ والقصة معروفة عندكم ـ أن يهود خيبر كانوا في حصن ضخم وعملاق، وأراد المسلمون أن يفتحوا هذا الحصن.

(١) أنظر نص الواقعة في: الإرشاد 1: 94- 105؛ كنز الفوائد 136.

في اليوم الأوّل جعل رسول الله صلى الله عليه وآله قيادة الجيش بيد أبي بكر، فقاد أبو بكر القوات الإسلاميّة وجاء إلى باب الحصن _ وهذا متفق عليه تاريخياً _ ولما وقف أبو بكر ومعه المسلمون أمام باب الحصن فُتحت باب الحصن الضخمة التي لا يفتحها إلاّ أربعون رجلاً وظهر فارس عملاق ضخم يركب على فرس مطهَّم مدجَّج بالسلاح وهو (مَرحب)، وبمجرد أن رآه المسلمون ورآه قائد المسلمين رجع يجبّنهم ويجبنونه.

وفي اليوم التالي أعطى رسول الله صلى الله عليه وآله الراية إلى عمر بن الخطاب، فتقدم عمر ومعه المسلمون، ولما وصل باب الحصن فُتح باب الحصن وإذا بهذا الفارس العملاق على فرس مدجج بالسلاح، ولما رآه عمر بن الخطاب ولّى منسحباً يجبّنهم ويجبنونه.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لأعطينّ الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله»، وهذا فيه دلالة فقهية ودلالة تربوية على أن الحب يجب أن يكون متبادلاً. فلا يقول قائل: أنا أحب الله ورسوله، بل يجب أن نفكر بأن الله يحبنا هو ورسوله أم لا؟ هنا رسول الله قال عن عليّ: «يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله»، ثمّ قال: «كرار غير فرار لا يرجع حتّى يفتح الله على يديه»، فاشرأبت الأعناق.. من يكون هذا الإنسان غداً؟

وكان عليّ عليه السلام مريضاً في عينيه رمد، وكان الرمد شديداً بحيث أنه لا يبصر طريقه، ولما صار غداً صباحاً قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «اُدعُ لي عليّاً »، فأُتي بعليّ يقودوه قوداً؛ لأنه لا يبصر الطريق، أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله من ريقه ووضعه على عينيه فارتد بصيراً، يا عليّ هذه الراية وهذا السيف وهذه خيبر لا يفتحها إلاّ أنت يا عليّ.

تقدم عليّ مع المسلمين، ومَرحب على عادته فتح باب الحصن وخرج، ولم يهتز عليّ أو يتراجع، ومرحب يقول: (أنا الذي سمتني أمّي مرحبا...)، فأجابه رجزاً وقال: «أنا الذي سمتني أُمّي حيدرة ...».

وبمجرد أن سمع مرحب هذه الكلمة رجع وأغلق باب الحصن.

قالوا: ما بك يا مرحب؟

قال: حدّثتني جدّتي أنه لا يستطيع أحد قتلك إلاّ واحد اسمه حيدرة، فإذا بارزك لا تبارزه، فعندما رأيت حيدرة تذكرت هذه المقولة وارتعدت فرائصي.

الرواية تقول: تمثل له إبليس وقال له: أصبحت تسمع كلام العجائز؟ وكثيرون اسمهم حيدرة، فلعلَّ غير هذا يقتلك، فتقدم مرحب والفريقان ينظرون، فما كان من عليّ عليه السلام إلاّ أن خطفه خطفةً وضربه ضربةً بسيفه كلمح بالبصر فمزّق الصخرة على رأسه، ثمّ قدّه نصفين وهو على الفرس، فلما رأى اليهود ما صُنع بفارسهم أغلقوا باب الحصن سريعاً، فجاء عليّ إلى باب الحصن التي يفتحها أربعون شخصاً ونظر ف إذا هي باب عملاقة وضخمة، فنظر إلى فتحة صغيرة فيها، فمدَّ إصبعه في تلك الفتحة وكانت يد الله تعالى معه فاقتلع الباب ورماها أربعين ذراعاً، وهنا يقول الشاعر:

يا قالع الباب الذي عن هزه	عجزت أكفٌّ أربعون وأربعُ
أأقول فيك سميدعٌ كلا ولا	حاشا لمثلك أن يُقال سميدعُ

«رجل يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، كرار غير فرار»[1].

---

(١) أنظر: أمالي الطوسي: 2/2/3 ؛ مسند أحمد 52:4.

هذا نص شمولي يدل على شخصية الإمام عليّ عليه السلام.

ونص ثالث: «لا فتىً إلاّ عليّ، لا سيف إلاّ ذو الفقار»، الذي نزل به جبرئيل من السماء في معركة أُحد، وهو منادياً بين السماء والأرض بعد انتصار المسلمين، منادياً من عند الله: «لا فتىً إلاّ عليّ، لا سيف إلاّ ذو الفِقار»[١].

هذه نسمّيها نصوص ذات دلالات شمولية.

أعمال ذات دلالات:

هناك أعمال وممارسات لرسول الله صلى الله عليه وآله أيضاً ذات دلالات سياسية وعلمية وشمولية.

منها: إرسال عليّ بسورة البراءة بعد أن كان قد أرسل أبا بكر أوّلاً، ثمّ سحبه وأرسل علياً؛ لأن جبرئيل هبط عليه وقال: إن الله يقول: «إنه لا يبلّغ عنك إلاّ أنت أو رجل منك»[٢].

وهكذا استخلاف الإمام عليّ عليه السلام في المدينة المنورة حينما خرج رسول الله صلى الله عليه وآله في أحد المعارك وهي معركة تبوك، وترك عليّاً في المدينة المنورة، وقوله له: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى، إلاّ أنه لا نبي بعدي»[٣]، وهذه العملية هي عملية استخلاف فيها دلالة واضحة.

وهكذا إغلاق الأبواب إلاّ باب عليّ.

---

(١) أنظر: بحار الأنوار10520؛ ينابيع المودّة 291:2.

(٢) راجع: معاني الأخبار298/ باب معنى الأذان من الله ورسوله/2؛ مستدرك الحاكم 31:3.

(٣) راجع: معاني الأخبار:78؛ الدر المنثور 2663.

أوحى الله ﷻ إلى نبيه ﷺ أن طهّر مسجدك ، وأخرج من المسجد من يرقد فيه بالليل ، ومُر بسد أبواب من كان له في مسجدك باب إلاّ باب علي عليه السلام ومسكن فاطمة عليها السلام، ولا يمرنّ فيه جنب ، ولا يرقد فيه غريب ، فأمر رسول الله ﷺ بسد أبوابهم إلاّ باب عليّ عليه السلام، وأقرّ مسكن فاطمة عليها السلام على حاله . فتكلم في ذلك الناس ، فقام رسول الله ﷺ فحمد الله تعالى وأثنى عليه ، ثمّ قال : «أما بعد ، فإنّي أُمرت بسد هذه الأبواب إلاّ باب علي، وقال فيه قائلكم ، وإني والله ما سددت شيئاً ولا فتحته، ولكني أُمرت بشيء فاتبعته»[١].

وهكذا مبيت عليّ على الفراش[٢].

نحن هذه الليلة نعيش شهادة هذا البطل الذي ما قام الإسلام إلاّ بسيفه، «ما قام ولا استقام الدين إلاّ بأموال خديجة وسيف عليّ»[٣].

نحن هذه الليلة نقف عند شهادة هذا الإنسان العظيم الذي ننتسب له نحن شيعته.

والحمد لله رب العالمين

* * *

---

(١) راجع: الكافي 2/395 ح 1؛ مسند أحمد 4/369.

(٢) المصدر السابق.

(٣) مرَّ سابقاً في هذه المحاضرة.

المحاضرة الخمسون:

حقوق الإنسان من وجهة نظر الإسلام

«اللهُمّ إنّكَ أنْزَلْتَ في كِتابِكَ أنْ نَعْفو عَمّن ظَلَمَنا، وَقَد ظَلَمْنا أنْفُسَنا، فاعْفُ عَنّا، فإنّكَ أولى بذلِكَ مِنّا».

بسم الله الرحمن الرحيم

حديثنا اليوم عن حقوق الإنسان.

الإسلام يؤكد ثلاثة أنواع من الحقوق:

أنواع الحقوق ثلاثة:

النوع الأوّل: حق الله.

النوع الثاني: حق الناس.

النوع الثالث: حقوق الإنسان.

اليوم في المدنيّة الحديثة يوجد هناك ركنان تعتمد عليهما المدنية الحديثة، ونحن الليلة لدينا بحثان: بحث حقوقي، ثمّ بحث عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، حيث إن هذه الليلة هي الليلة الأولى بعد شهادته عليه السلام.

المدنيّة الحديثة تعتمد على ركنين، أي لديها مشروعان كبيران:

المشروع الأوّل: هو الذي يسمى بالديمقراطية.

والمشروع الثاني: هو الذي يسمى بحقوق الإنسان.

الإسلام في الحقيقة يعتقد أن الحقوق ثلاثة أنواع، هناك حقوق الله، وهناك حقوق الناس، وهناك حقوق الإنسان.

حقوق الإنسان الذي تنادي به المدنيّة الحديثة هي حقوق صحيحة، لكن الإسلام يعتقد أن هذه واحدة من ثلاثة: حقوق الإنسان على الآخرين، وحقوق الآخرين على الإنسان . الإسلام يقول هناك حق للناس عليك كما لك عليهم حقوق. والثالثة: الله وحقه عليك.

طبعاً نحن نتناول هذا الموضوع تناولاً إجمالياً مبسطاً، ولكن هذا الفكر هو الذي نتبنّاه.

الإسلام لا يقف ضد حقوق الإنسان، بل يقرر أنّ:

1 _ الناس أحرار منذ تلدهم أمهاتهم.

2 _ الإنسان لا يُجبر على رأي ولا على عقيدةٍ ولا على فكر.

3 _ الإنسان حُر في عمله وفي سكنه.

كل ذلك صحيح، الإسلام لا يتقاطع مع حقوق الإنسان ، وهو يؤكّدها ويدافع عنها، وشرّع القتال من أجل حقوق الإنسان ، بل الإسلام تقدّم على الأمم المتحدة التي أمضت على حقوق الإنسان عام (1948م)، حيث قال: يجب الدفاع عن حقوق الإنسان . فحوّلها إلى حقوق مقدّسة يتحمل الآخرون مسؤولية الدفاع عنها وتفعيلها على الأرض والتضحية من أجلها.

الإسلام رتّب آثاراً شرعية وقانونية فيما إذا كانت حقوق الإنسان مفقودة، مثلاً البنت حين تُجبر على الزواج فالإسلام يقول: هذا خلاف حقوق الإنسان ، وهذا الزواج باطل. أنت تسافر وتركب وسيلة نقل مسروقة، فهذا خلاف حقوق الإنسان وسفرك محرم. أي إن الإسلام حوّل هذه القضية الحقوقية إلى قضية شرعية فيها حلال وحرام وواجب، وللدقة وللأهمية في ذلك نزل قوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ ﴾[1]، أي قاتلوا في سبيل إنقاذ الشعوب، لاحظوا التطور الذي عمله الإسلام في حقوق الإنسان.

---

(١) النساء:75.

المدنيّة الحديثة قالت: أيها الإنسان، أنت لك حقوق فطالب بها، وأنت حرٌّ في الرأي والعمل والعقيدة.

الإسلام قال: هذا صحيح، لكن إلى جانبه حقوق الناس الآخرين، الناس الآخرون لهم حقوق يجب عليك أن تدافع عنها أيضاً، كما أن الناس الآخرين لهم حقوق عليك، فالقضية متبادلة.

حقوق الإنسان في المدنية الحديثة هي في بعض أبعادها ترسيخ للأنانية، بينما الإسلام يعطي كتاباً من فصول متكاملة.

الفصل الأوّل: حقوق الإنسان، أي إن الإنسان يتمتع بحقه في الحرية في الرأي والعمل والعقيدة والحياة الشخصية.

الفصل الثاني: حقوق الآخرين على الإنسان، بدءً من الزوجة والأولاد، إلى الجار والأرحام، إلى الأصدقاء، ثمّ المجتمع والدولة. الإسلام هنا يعطي فصلاً ضخماً مهماً كبيراً في فلسفة بناء المجتمع.

اليوم كنت أقرأ رواية جميلة أحببت أن أقرأها عليكم ربما قبل موعدها.

الرواية تقول: الإمام عليّ عليه السلام دعاه رجلٌ ضيفاً، فقال الإمام عليه السلام: على أن تضمن لي ثلاث خصال.

قال: وما هي يا أمير المؤمنين؟

قال: لا تُدخل علينا شيئاً من خارج، ولا تدّخر عنّي شيئاً في البيت، ولا تُجحف بالعيال.

قال: ذاك لك يا أمير المؤمنين.

فأجابه أمير المؤمنين عليه السلام[1].

---

(١) الخصال188، 260.

لاحظوا هذه القصة، قد تحسبوها قضية بسيطة، لكنها قضية تأتي في عمق فلسفة الاجتماع الإسلامي، حقوق الإنسان على الآخرين، وحقوق الآخرين على الإنسان حيث يلاحظها.

الإسلام حتّى في أصول الضيافة يؤكد أن لا يكون هناك إحراج للعيال، وبلا تكلّف على صاحب البيت، الإسلام يقول: قال رسول الله ﷺ: «من أصبح لا يهتم بأمور المسلمين فليس منهم، ومن سمع رجلاً ينادي يا للمسلمين فلم يجبه فليس بمسلم»(١).

فليس فقط هناك حقوق الأنا، وإنما هناك حقوق الغير.

أما الفصل الثالث في نظرية حقوق الإنسان من وجهة نظر الإسلام فهو حقوق الله تبارك وتعالى، الإسلام يقول: الله له عليكم حقوق: أن تعبد الله ولا تشرك به أحداً، هذا حق من حقوق الله تعالى، وهذا الحق في منطق الحداثة الغربية غير مقبول، لماذا أسجد لله تعالى؟ ومن قال أن السجود لله واجب؟ أنا ولدتني أُمّي حراً ولا أريد السجود أو الخضوع لأحد فوقي. هذا هو منطق الأنانية الغربية، لكن من منطق الثقافة الإنسانية الإسلاميّة فأنت أيها الإنسان لديك روابط طيّبة مع الله تبارك وتعالى وليست روابط قطيعة وجفاء، وإذا كانت الروابط طيبة، إذن ﴿فاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾(٢)، وهذه روابط جميلة في ثقافة الإسلام.

حق الله أن تطيعه ولا تعصيه، أن تعبده ولا تشرك به.

أنا بهذا الصدد أذكر لكم شيئاً في شأن العلاقة بين الإنسان وبين الله تعالى.

---

(١) الكافي 1642/ باب الاهتمام بأمور المسلمين والنصيحة لهم/ ح 5.

(٢) البقرة153.

الإمام الصادق عليه السلام يقول: «سجدة الشكر واجبة على كل مسلم، تتم بها صلاتك، وترضي بها ربك، وتعجب الملائكة منك»[(١)].

سجدة الشكر واجبة من باب تكامل الإنسان كما سأشرحه لكم في جوهر النظرية.

الإمام الصادق عليه السلام يقول: إن هذه السجدة واجبة. فماذا تصنع هذه السجدة؟

1 _ «تتم بها صلاتك».

2 _ «وترضي بها ربك».

3 _ «وتعجب الملائكة منك».

الله والإنسان:

بعد أن عرفنا أنواع الحقوق، هنا يُطرح سؤال: هل أن الله تعالى يحتاج إلى الحقوق؟ الإنسان يحتاج إلى الحقوق، فهو يحتاج إلى مال وبيت وسكن وحرية وعمل ودولة تحميه وما شاكل ذلك، الناس أيضاً يحتاجون إلى الحقوق والدفاع عنهم، فهل الله تعالى يحتاج إلى صدقة أو قرض حين يقول: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً﴾[(٢)]، أو أنه تعالى يحتاج إلى أُناس يطوفون حول البيت حين يقول: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾[(٣)]؟

الجواب: إن الله تعالى غير محتاج إلى هذه الحقوق، وإنما هي

(١) من لا يحضره الفقيه 1/333/979.

(٢) البقرة:245.

(٣) آل عمران:97.

لأجل تكامل الإنسان، وكيف يعرج ويقترب من الكمال المطلق وهو الله تبارك وتعالى، هذه في الحقيقة تربية للإنسان وتكامل.

هناك شبهة تُثار على الإسلام من قِبَل المدنيّة الحديثة، وهي أن المدنيّة الحديثة تفكّر بحقوق الناس، لكن الدين يفكر بطريقة (يجب عليك، ويحرم عليك) لائحة الواجبات والفروض، ويثقل ظهر الإنسان بذلك، الدين نظام واجبات، والمدنيّة الحديثة نظام صلاحيات وهبات، ومن الطبيعي أن الناس يريدون الصلاحيات والهبات، ويهربون من القيود والفروض.

هذه الشبهة غير صحيحة، فالدين فيه حقوق الإنسان، وحقوق الناس، وحقوق الله تبارك وتعالى، أي فيه صلاحيات وفيه واجبات، وسأضرب لكم مثالاً تُحل به المشكلة.

قانون روضة الأطفال، وقانون الدراسة الجامعية.

روضة الأطفال فيها فقط حقوق الطفل، ولا يوجد شيء واجب عليه؛ لأن الطفل في هذا العمر لا يفهم ثقافة التكليف، لكن لمّا يصل هذا الطفل إلى الجامعة وقبلها المتوسطة والإعدادية فهناك ليس فقط حقوق الطالب، وإنما يجب على الطالب الدراسة والامتحانات، لماذا هذه الواجبات؟ لأن الجامعة تريد أن تخرّج إنساناً متكاملاً ، كالطبيب والمهندس والفيلسوف، ولأجل ذلك لا بدّ أن تحمّله مسؤوليات لكي يتكامل، بينما روضة الأطفال هدفها إشغال هذا الطفل ومؤانسته.

الفرق بين المدنيّة الحديثة وبين الإسلام هو هذا، المدنية الحديثة هي بمثابة ثقافة روضة الأطفال، فكل ما يريده الإنسان يعطونه إيّاه، لكن الإنسان المفروض له أن يتكامل، إذن هناك مسؤوليات يجب أن يتحمّلها

كطالب الجامعة، فيجب أن يدرس ويمتحن ويدخل دروساً عملية ونظرية لكي يحصل على شهادة الدكتوراه.

أُفق الإنسان في الحياة الغربية هي ثقافة الأنا والنفعيّة. أما أفق الإنسان الإسلامي فهي بشكل آخر، تهتم بتنظيم أخلاقه وسلوكه وخدمته للمجتمع وإخلاصه وإيثاره وكرمه وإحسانه، ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[١]، هذه المفاهيم غير موجودة في المدنيّة الحديثة.

نماذج حقوق الإنسان عند الإمام عليّ عليه السلام:

ابن ملجم هو قاتل الإمام عليّ عليه السلام، والإمام يقول: «أطعموه واسقوه وأحسنوا أساره، فإن بقيت فأنا ولي دمي، إن شئت عفوت، وإن شئت استنفذت، وإن هلكت فاقتلوه»، ثمّ أوصى فقال: «يا بني عبد المطلب، لا ألفينكم تخوضون دماء المسلمين خوضاً تقولون: قتل أمير المؤمنين! ألا لا يُقتلن بي إلاّ قاتلي»، ونهى عن المُثلة[٢]. هذه هي حقوق الإنسان.

أمير المؤمنين عليه السلام مرّة يقف مع يهودي أمام قاض في محكمة، والقاضي يعرف أنه أمير المؤمنين عليه السلام الذي قام الإسلام بسيفه، ف عن شُريح القاضي قال: لما توجّه عل ي إلى صفين افتقد درعاً له، فلما انقضت الحرب ورجع إلى الكوفة أصاب الدرع في يد يهودي، فقال لليهودي: الدرع درعي لم أبع ولم أرهن. فقال اليهودي: درعي وفي يدي. فقال:

(١) آل عمران134.

(٢) مناقب آل أبي طالب 3:95.

نصيرُ إلى القاضي، فقال شُريح: قل يا أمير المؤمنين. فقال: نعم ، هذه الدرع التي في يد هذا اليهودي درعي لم أبع ولم أهب. فقال شُريح: ماذا تقول يا يهودي؟ قال: درعي وفي يدي. فقال شريح: ألك بيّنة يا أمير المؤمنين؟ قال: نعم ، قنبر والحسن يشهدان أن الدرع درعي. فقال شريح: شهادة الابن لا تجوز للأب. فقال علي عليه السلام: رجل من أهل الجنّة لا تجوز شهادته؟ سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول: «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنّة ». فقال اليهودي: أمير المؤمنين قدّمني إلى قاضيه وقاضيه قضى عليه، أشهد أن هذا هو الحق، وأشهد أن لا إله إلاّ الله، وأشهد أن محمّداً رسول الله، وأن الدرع درعك(١).

عليّ مع القرآن:

الحديث الشريف عن رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «عليّ مع القرآن والقرآن مع عليّ، لن يفترقا حتّى يردا عليَّ الحوض» (٢)، هذا الحديث له صياغتان: الأولى: «عليّ مع الحق والحق مع عليّ، يدور حيثما دار» (٣)، وقد شرحت هذا النص لكم في العام الماضي.

والثانية هي هذا الحديث الذي يرويه صحاح أهل السُنّة قبل الشيعة وبأسانيد معتبرة: «عليّ مع القرآن والقرآن مع عليّ».

أبو ثابت الأنصاري وهو مولى أبي ذر يقول: شهدت مع علي عليه السلام يوم الجمل، فلما رأيت عائشة واقفة دخلني من الشكّ بعض ما

(١) ينابيع المودة 2/184: 158.

(٢) أمالي الطوسي: 460/1028/34؛ مستدرك الحاكم 3: 124.

(٣) إعلام الورى 1: 316؛ شرح نهج البلاغة 2: 297.

يدخل الناس، فلما زالت الشمس كشف الله ذلك عني، فقاتلت مع أمير المؤمنين عليه السلام، ثمّ أتيت بعد ذلك أُمّ سَلَمة زوج النبي صلى الله عليه وآله ورحمها، فقصصت عليها قصتي، فقالت: كيف صنعت حين طارت القلوب مطائرها؟ قال: قلت: إلى أحسن ذلك والحمد لله، كشف الله عزّ وجلّ ذلك عني عند زوال الشمس، فقاتلت مع أمير المؤمنين عليه السلام قتالاً شديداً. فقالت: أحسنت، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «عليٌّ مع القرآن، والقرآن معه، لا يفترقان حتّى يردا عليَّ الحوض»[1].

والرواية لنفس هذا الحديث يرويها ابن حجر صاحب كتاب (الصواعق المحرقة)، وهذا الكتاب مؤلّف أصلاً لنقد الشيعة، اسم الكتاب في الحقيقة هو (الصواعق المحرقة في الردّ على أهل البدع والزندقة)، وهو من أشهر كتب السلفيين ضد الشيعة، وهو متعصب جدّاً ضد الشيعة، صاحب هذا الكتاب يرويه في الصفحة (57): أن رسول الله صلى الله عليه وآله في مرض موته قال: «أيها الناس يوشك أن أُقبض قبضاً سريعاً فيُنطلق بي، وقد قدمت إليكم القول، ألا وإني مخلّف فيكم كتاب ربي وعترتي أهل بيتي...» ثمّ أخذ بيد عليّ عليه السلام فرفعها وقال: «هذا عليّ مع القرآن والقرآن مع عليّ، لا يفترقان حتّى يردا عليَّ الحوض».

أحد العلماء وهو السيد مرتضى الفيروزآبادي ألّف كتاباً يُعتبر من الكتب الرائعة اسمه (فضائل الخمسة من الصحاح الستة)، أي إنه استخرج فضائل رسول الله صلى الله عليه وآله وعليّ وفاطمة والحسن والحسين من كتب الصحاح الستة عند السُنّة، وهي: صحيح البخاري، صحيح مسلم،

---

(١) أنظر: أمالي الطوسي: 460/1028/34؛ فرائد السمطين 1: 177/ باب 36/140؛ مناقب الخوارزمي 176/214.

مسند أحمد، سنن الترمذي، سنن النسائي، ثمّ مستدرك الصحيحين. هذه ستة صحاح ضخمة، فاستخرج منها هذا السيد الجليل الفيروز آبادي (فضائل الخمسة من الصحاح الستة)، هذا الكتاب يروي هاتين الروايتين من مصادرها: «عليّ مع القرآن والقرآن مع عليّ».

فضل الزيارة:

نحن الليلة نعيش ذكرى شهادة أمير المؤمنين عليه السلام، أحدّثكم هذه الليلة عن فضل زيارة أمير المؤمنين عليه السلام، وعن فضل زيارة الإمام الحسين عليه السلام.

يقول إمامنا الكاظم عليه السلام: «أدنى ما يُثاب به زائر الحسين عليه السلام بشط الفرات إذا عرف حقه وحرمته وولايته أن يُغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر»[1].

الإمام الباقر عليه السلام يقول: «مُروا شيعتنا بزيارة قبر الحسين عليه السلام، فإن إتيانه يزيد في الرزق، ويمد في العمر، ويدفع مدافع السوء، وإتيانه مفترض على كل مؤمن يقرّ للحسين بالإمامة من الله»[2].

وهذا ثواب دنيوي، وهو غير الثواب الأُخروي، وهذا فضل زيارة الإمام الحسين عليه السلام.

أما فضل زيارة أمير المؤمنين عليه السلام فيقول إمامنا الصادق عليه السلام عندما سُئل: ما لمن زار جدّك أمير المؤمنين عليه السلام؟ فقال: «من زار جدّي عارفاً بحقه كتب الله له بكل خطوةٍ حجة مقبولة وعمرة مبرورة». ثمّ قال عليه السلام: «والله ما تُطعم النار قدماً اغبرّت في زيارة أمير المؤمنين عليه السلام ماشياً كان أو راكباً»[3].

(١) كامل الزيارات: 263/399/4.

(٢) كامل الزيارات: 284/456/1.

(٣) وسائل الشيعة: 14/376/19421/3.

الرواية الثانية عن الإمام الصادق عليه السلام: «إن زيارة الحسين عليه السلام تعدل حجةً وعمرةً، وزيارة أبي عليّ عليه السلام تعدل حجتين وعمرتين»[(١)].

الرواية الأخيرة في مجلسنا هذا عن الإمام عليه السلام يقول لسائل يسأل عن محل للسكن: «عليك بالعراق الكوفة، فإن البركة منها على اثني عشر ميلاً هكذا وهكذا، وإلى جانبها قبرٌ ما أتاه مكروب قط ولا ملهوف إلاّ فرّج الله عنه»[(٢)].

لما قرأت هذه الرواية انتقلت بذهني إلى كربلاء، حيث طفلة الحسين يوم عاشوراء تقول للرجل من جيش ابن سعد والنار قد التهمت ثيابها: حدّثتني عمّتي زينب أن لنا قبراً بالغري فدُلّني عليه. وهي لا تعلم المسافة البعيدة بين كربلاء وبين الغري.

يقول: قلت لها: يا علوية، بينك وبين الغري مسافة بعيدة.

قالت: إذن دُلّني على جسد والدي الحسين.

فأقبلت بها إلى جسد أبيها، فرمت بنفسها على الجسد وهي تقول: أبه يا أبه من الذي حزّ نحرك؟ أبه يا أبه من الذي قطع رأسك؟ أبه يا أبه من الذي أيتمني على صغر سني؟

الراوي يقول: فتح الحسين يديه وضمها إلى صدره.

ابن سعد أمر الجلاوزة أن يسحبونها من بين يدي الحسين، أقبلوا بالسياط وأبعدوها عن جسد أبيها الحسين عليه السلام.

إنا لله وإنا إليه راجعون

* * *

---

(١) وسائل الشيعة14: 1/19431/381.

(٢) وسائل الشيعة14: 1/19560/443.

المحاضرة الحادية والخمسون:

الصراط، وعقبات العبور عليه يوم القيامة

«إلهي إنْ أدخَلْتَني النّارَ فَفي ذلك سُرور عَدوّكَ، وإن أدخَلْتَني الجّنَة فَفي ذلك سُرور نَبِيّك، وأنا والله أعلَمُ أنّ سَرور نَبيّك أحَبُّ إلَيكَ مِنْ سُرورِ عَدوّكَ».

بسم الله الرحمن الرحيم

عبور الصراط يوم القيامة:

لدينا حديث عن رسول الله ﷺ يقول: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتّى يُسئَل عن أربع: عن عمره فيم أفناه، وعن شبابه فيم أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن حبّنا أهل البيت»[1].

رأيت من المناسب أن أُحدّثكم عن جسر يوم القيامة الذي يجب أن نعبره ويعبره الناس، هذا الجسر يُسمّى الصراط، وهو من مشاهد القيامة الكبرى.

مشاهد القيامة:

يوم القيامة فيها مجموعة مشاهد.

هناك سؤال: ما هي مشاهد يوم القيامة؟

من تلك المشاهد: الحشر، الناس كلهم، مليارات البشر منذ خلقهم الله تعالى وإلى يوم يُبعثون يجتمعون في عَرَصات القيامة، كلهم يُحشرون كأن على رؤوسهم الطير لا يتكلمون، ﴿وَخَشَعَتِ الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلا تَسْمَعُ إِلاَّ هَمْساً * يَوْمَئِذٍ لا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً﴾[2].

---

(١) الخصال: 253/125.

(٢) طه: 108 و109.

مشهد آخر في المحشر، هو مشهد تطاير الكتب، هذا الحشر الملياري المجتمِع يجد كتباً تتطاير على شكل مناشير، كل واحد باسمه فلان ابن فلان، كل واحد يأتي كتابه إليه، ليس باختياره أن يأخذ كتابه بيده اليمنى أو يأخذ كتابه باليسرى، بل يُفرض عليه الموقف بدون إرادته.

﴿وأَصْحابُ الْيَمِينِ ما أَصْحابُ الْيَمِينِ﴾[1]، ﴿وَأَصْحابُ الشّمالِ ما أَصْحابُ الشّمالِ﴾[2]، هناك يوم القيامة الإنسان ليس لديه اختيار، يدَك تتحرك، إنَ كنَت من أهل اليمين فيدك اليمنى تتحرك ذاتياً وتأخذ الكتاب، وإن كنت من أهل الشمال فيدك اليسرى تتحرك، ليس للإنسان هناك قدرة، وإنما تنطق جوارحه ذاتياً، لسانه ينطق ذاتياً، يده، رجله، هذا مشهد من مشاهد يوم القيامة هو تطاير الكتب.

من جملة تلك المشاهد مشهد الميزان، ﴿وَنَضَعُ الْمَوازِينَ الْقِسْطَ﴾[3]، كل واحد لديه ميزان لحسناته وسيئاته، توضع الحسنات في ميزان والسيئات في ميزان.

من جملة تلك المشاهد يوم القيامة الصراط، كل البشر يجب أن يمرّوا على صراط، ويعبرون على ذاك الصراط إلى الجنّة إن كانوا من أهلها، وإذا لم يكونوا من أهل الجنّة فإنهم يقعون في جهنم، هذا الصراط في تفسيره الأوّلي عبارة عن جسر ممدود على نار جهنم يعبره الخلائق، فمنهم من يعبر، ومنهم من يقع، والإنسان لا يعبر الصراط يوم

---

(١) الواقعة:27.

(٢) الواقعة:41.

(٣) الأنبياء:47.

القيامة حتّى يُسئَل عن أربع أشياء، عن شبابه، وعن عمره، وعن أمواله، وعن حب أهل البيت. ولهذا أنا أُحدّثكم اليوم عن الصراط.

كيف نعبر الصراط؟

وما هو الصراط؟

لننظر القرآن الكريم كيف يُقدّم لنا صورة عن الصراط؟

قبل هذا يوجد هنا بحث حضاري: هل يوجد صراط مستقيم واحد، أو يوجد صراطات مستقيمة؟ يعني هل الحق أُحادي أو متعدد؟

هل نؤمن بنظرية التعددية الدينية، أو نؤمن بنظرية الأُحادية الدينية؟

هذا بحث معاصر وحضاري وفلسفي.

الدين يقول: صراط الحق صراط واحد، ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[1]، صراط واحد هو حق والبقية باطل، وإذا ابتعد الإنسان عن هذا الصراط الحق يقع في صراط الباطل، لا يوجد تعدديّة حق، بل هو صراط واحد للحق، ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾[2]، أُحادية الحق.

في الفلسفة الإسلاميّة حينما نتحدّث عن الصراط ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾، الإسلام في الحقيقة يعطينا جواب على هذه الأسئلة الحضارية، لكن في كتبنا القديمة هي صياغات غير مطروحة بهذا الشكل، يعني لم يطرح في كتبنا القديمة مصطلح التعددية الدينية والأُحادية الدينية، هذا نحن الآن نطرحه، أمّا المطروح في كتبنا الدينية فإنه يوجد صراط واحد حق والبقية باطل.

---

(١) هود:56.

(٢) الفاتحة:6.

عن عبد الله بن مسعود، قال: كنّا عند رسول الله ﷺ، وأصحابه عنده حفل مجتمعون وفيهم علي بن أبي طالب ، فخط رسول الله ﷺ خطاً بين يديه، وخطاً إلى جانبه ، فقال: «هذا السبيل »، وأشار إلى علي عليه السلام، «وهذه السبل »، وأشار ، ﴿فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾، وأشار إليه ، ﴿ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ﴾، وأشار إلى السماء، ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[1].

وفي رواية عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال : كنّا جلوساً عند النبي ﷺ، فخط خطاً هكذا أمامه ، فقال : «هذا سبيل الله عزّ وجلّ»، وخطين عن يمينه وخطين عن شماله ، قال : «هذه سبيل الشيطان »، ثمّ وضع يده في الخط الأسود ، ثمّ تلا هذه الآية : ﴿وَأَنَّ هذا صِراطي مُسْتَقيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[2] [3].

نظرية أُحادية الحق:

هذه نظرية أُحادية الحق، وفي مقابلها توجد نظرية تعددية الحق.

في القرآن والأديان المسألة واضحة جدّاً، أنه من آمن فقد اهتدى، ومن لم يؤمن فقد كفر، لا يمكن أن يكون هذا على حق وهذا على حق، بل ﴿يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ ﴾[4]، القرآن يقول ﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾[5]، إذن هناك صراط حق، وما عداه باطل، ومسؤولية الإنسان أن يبحث عن الحق، ولا يقول: أينما أتجه فهو الحق. والحق

(١) المسترشد:617/283.

(٢) الأنعام:153.

(٣) مسند أحمد 3:397.

(٤) البقرة:257.

(٥) الملك:22.

قضية نسبية وليست قضية مطلقة، القرآن الكريم يؤمن بنظرية وحدة الحق ووحدة الصراط المستقيم، وما بقي فإنها صُرط غير مستقيمة لا تؤدي إلى النجاة، ﴿يا قَوْمِ ما لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ﴾[(١)].

على كل حال القرآن يتحدّث عن الصراط المستقيم، لكن القرآن حينما يتحدّث عن الصراط يعطينا مفهوماً أوسع وأعظم، حيث يبدو أن الصراط قضية موجودة في الدنيا وموجودة في الآخرة.

نحن قلنا إن الصراط في تفسيره الحرفي هو عبارة عن جسر ممدود على جهنم _ كما ذُكر في بعض الروايات _ [(٢)]، لكن حينما نأتي إلى القرآن الكريم نجد أنه يعطينا نظرية أعمق وأشمل وأوسع عن الصراط من الدنيا إلى الآخرة، ﴿إِنَّ رَبِّي عَلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[(٣)]، ﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلى وَجْهِهِ أَهْدى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[(٤)]، يعني الناس المؤمنون في الدنيا يمشون على الصراط المستقيم، إذن في الدنيا أيضاً يوجد صراط مستقيم، إذن الصراط ليس في الحقيقة هو صورة واحدة، وإنما عدّة صور، يعني حقيقة ذات عدّة وجوه، هي حقيقة

---

(١) غافر:41.

(٢) عن المفضل بن عمر قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الصراط ؟ فقال: «هو الطريق إلى معرفة الله عزّ وجلّ، وه و صراطان: صراط في الدنيا، وصراط في الآخرة. وأما الصراط الذي في الدنيا فهو الإمام المفترض الطاعة، من عرفه في الدنيا واقتدى بهداه مرَّ على الصراط الذي هو جسر جهنم في الآخرة، ومن لم يعرفه في الدنيا زلّت قدمه عن الصراط في الآخرة فتردى في نار جهنم». أنظر: معاني الأخبار:32/ باب معنى الصراط/ ح 1.

(٣) هود:56.

(٤) الملك:22.

واحدة، لكن لها وجه في الدنيا، وهذا الوجه ينعكس في الآخرة يصير عبارة عن جسر ممدود على جهنم، وفي الدنيا عبارة عن الواجبات والمحرّمات، الورع والولاية والنبوة والتوحيد، هو هذا الصراط، ولهذا نحن حينما نقول: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾[1]، نحن لا نقصد اهدنا الصراط الأُخروي الذي نعبر به إلى الجنّة، لا، بل نحن ندعو للدنيا، نقول: إلهي في الدنيا يوجد صراط مستقيم، اهدنا إلى ذلك الصراط المستقيم، الصراط المستقيم هو عبارة عن الحق أينما يوجد حق، إذن هو ذاك الصراط المستقيم، أينما يوجد باطل إذن ذاك هو انحراف عن الصراط المستقيم، ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ﴾[2]، الذين لا يؤمنون بالآخرة هنا في الدنيا هم عن الصراط متخلفون ومنحرفون عن الجادة المستقيمة.

إذن تكوّنت عندنا نظرية، هذه النظرية هي من عدّة مفردات:

الأولى: أن الصراط الحق واحد غير متعدد.

الثانية: أن الصراط في الآخرة هو امتداد للصراط في الدنيا، الصراط في الآخرة انعكاس لما هو في الدنيا، إذن الآن نحن في الدنيا من يمشي على صراط مستقيم ويعبر المزالق، يوم القيامة أيضاً يقدر أن يعبر وينجو، ومنهم من يرسب في الامتحان.

عقبة الولاية:

هذه مجموعة عقبات، وأهم تلك العقبات هي عقبة الولاية،

---

(١) الفاتحة:6.

(٢) المؤمنون:74.

الولاية في الحقيقة بالمعنى الاسمي لها تعني ولاية أهل البيت عليهم السلام، لكن المعنى الأعمق هو الإخلاص لله تعالى، الولاية لله، ﴿هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ ﴾[١]، الإنسان حينما يعطي ولايته لله تعالى طبعاً يوالي نبيه ويوالي أهل البيت عليهم السلام.

الولاية من أخطر عقبات يوم القيامة على الصراط، ولهذا جاء في تفسير: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ * فَكُّ رَقَبَةٍ ﴾[٢] العقبة هي الأئمّة، من صعدها فك رقبته من النار[٣].

سوف أقرأ لكم هذه الليلة مجموعة روايات جميلة مفيدة ثمّ أنتقل للمحرمات الاقتصادية.

الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام، يقول الراوي:

سألته عن الصراط؟، قال: «هو أدق من الشعرة، وأحدّ من السيف، فمنهم من يمشي عليه مثل البرق، ومنهم يمرّ عليه مثل عدو الفرس، ومنهم من يمرّ عليه ماشياً، ومنهم من يمر عليه حبواً، ومنهم من يمرّ عليه متعلقاً به فتأخذ منه النار شيئاً وتترك منه شيئاً»[٤].

هذه أقسام عبور الناس على الصراط حسب أعمالهم.

وفي رواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «ألا ومن أحب عليّاً مرّ على الصراط كالبرق الخاطف ولم يرَ صعوبة»[٥].

---

(١) الكهف:44.

(٢) البلد:12 و13.

(٣) أنظر: تفسير القمي 422:2.

(٤) تفسير القمي 29:1.

(٥) بحار الأنوار 89/11427.

ويُحدّث مالك بن أنس، عن الإمام الصادق عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام، عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «إذا كان يوم القيامة ونصب الصراط على ظهراني جهنم فلا يجوزها ويقطعها إلاّ من كان معه جواز فيه ولاية عليّ بن أبي طالب»[١].

رواية أخرى عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «يا عليّ، إذا كان يوم القيامة أقعد أنا وأنت وجبرئيل على الصراط، فلم يجز إلاّ من كان معه كتاب فيه براءة بولايتك»[٢].

وعن الإمام الباقر عليه السلام قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾[٣]، سُئِل عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: «أخبرني الروح الأمين أن الله لا إله غيره، إذا جمع الأولين والآخرين أتي بجهنم تقاد بألف زمام، آخذ بكل زمام مائة ألف ملك من الغلاظ الشداد، لها هدة وتغيظ وزفير، وإنها لتزفر الزفرة، فلولا أن الله عز وجل أخّرهم إلى الحساب لأهلكت الجمع، ثمّ يخرج منها عنق يحيط بالخلائق البر منهم والفاجر، فما خلق الله عز وجل عبداً من عباده ملكاً ولا نبياً إلاّ نادى: رب نفسي نفسي، وأنت يا نبي الله تنادي: أمّتي أمّتي. ثمّ يوضع عليها صراط أدق من حد السيف، عليه ثلاث قناطر: أما واحدة فعليها الأمانة والرحم، وأما الأخرى فعليها الصلاة، وأما الأخرى فعليها عدل رب العالمين لا إله غيره، فيكلّفون الممر عليه، فتحبسهم الرحم والأمانة، فإن نجوا منها حبستهم الصلاة، فإن

(١) بشارة المصطفى:309.

(٢) معاني الأخبار:36/ باب معنى الصراط/6.

(٣) الفجر:23.

نجوا منها كان المنتهى إلى رب العالمين ﷻ، وهو قوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾[١]. والناس على الصراط، فمتعلق، وقدم تزل، وقدم تستمسك ، والملائكة حولهم ينادون: يا حليم اغفر واصفح، وعد بفضلك وسلم، والناس يتهافتون فيها كالفراش، فإذا نجا ناج برحمة الله ﷻ، نظر إليها فقال: الحمد لله الذي نجّاني منكِ بعد إياس بمنّهِ وفضله، إن ربنا لغفور شكور»[٢].

المحرمات الاقتصادية:

المحرمات الاقتصادية في الإسلام توجد قائمة اسمها المحرمات الاقتصادية، وقائمة اسمها الواجبات الاقتصادية.

ما هي المحرمات الاقتصادية في القانون الإسلامي؟ ما هي الواجبات الاقتصادية في القانون الإسلامي؟

المحرمات الاقتصادية الكبرى عشرة:

المحرم الأوّل: السرقة، ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾[٣].

المحرم الثاني: التطفيف، ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ﴾[٤].

المحرم الثالث: اكتناز الأموال، ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[٥].

---

(١) الفجر:14.

(٢) أمالي الصدوق:241/ 256/ 4.

(٣) المائدة:38.

(٤) المطففين: 1.

(٥) التوبة:34.

المحرم الرابع: الإسراف، ﴿إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾[1].

المحرم الخامس: الربا، ﴿أَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبا﴾[2].

المحرم السادس: الرشوة.

المحرم السابع: الاحتكار.

المحرم الثامن: القمار.

المحرم التاسع: الغش.

المحرم العاشر: التكسب بالمعاصي، مثل الغناء.

والحمد لله رب العالمين

* * *

(١) الأنعام:141.

(٢) البقرة:275.

المحاضرة الثانية والخمسون:

أسباب ضعف الاندفاع الديني

«مَا لِي كُلَّمَا قُلْتُ قَدْ صَلَحَتْ سَرِيرَتِي ، وَقَرُبَ مِنْ مَجَالِس التَّوَّابِينَ مَجْلِسِي عَرَضَتْ لِي بَلِيَّةٌ أزَالَتْ قَدَمِي وَحَالَتْ بَيْنِي وَبَيْنَ خِدْمَتِكَ ، سَيّدِي لَعَلَّكَ عَنْ بَابِكَ طَرَدْتَنِي ، ... أوْ لَعَلَّكَ فَقَدْتَنِي مِنْ مَجَالِس الْعُلَمَاءِ فَخَذَلْتَنِي...».

بسم الله الرحمن الرحيم

الحديث هذه الليلة عن مجالس العلماء، انطلاقاً من قوله عليه السلام: «أو لعلَّك فقدتني من مجالس العلماء فخذلتني».

ضعف الاندفاع الديني:

في هذا الدعاء الإمام السجاد عليه السلام يعالج مشكلة نُسمّيها: (ضعف الاندفاع الديني) أو (ضعف الهمّة الدينية).

إن الناس يختلفون في درجة اندفاعهم للقضايا الدينية وللعبادات والمناسك والأعمال الصالحة المختلفة، الأنبياء عليهم السلام _ مثلاً _ كانوا في قمة الهمّة الدينية والاندفاع الشديد، حتّى أن رسول الله صلى الله عليه وآله بلغت به الهمّة الدينية أنه كان يقف على قدميه للصلاة حتّى تورمت قدماه، فنزل قوله تعالى: ﴿طه * ما أَنْزَلْنا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقى﴾[1]، لا تعذب نفسك بهذا المقدار.

الإمام السجاد عليه السلام بلغت به الهمّة الدينية والاندفاع العظيم للأعمال الصالحة الدينية أن جاريته حينما سُئلت عنه؟ قالت: ما أتيته بطعام نهاراً قط، ولا فرشت له فراشاً ليلاً قط[2]. أي إنه طول السنة هو في النهار صائم، وفي الليل قائم للعبادة، هذا تصوير رائع عن عبادة هذا الإنسان الإمام زين العابدين عليه السلام، هذه درجة عالية من الهمّة.

---

(١) طه: 1 و2.

(٢) مناقب آل أبي طالب 2943.

قد يقول قائل: لسنا أنبياء حتّى نبلغ ما بلغوا، صحيح ذلك، لكن غير الأنبياء قد يبلغ مستوىً عالٍ من الهمّة والاندفاع الديني، حتّى نجد مثلاً الإمام أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ في وصف المتقين يقول: «عَظُم الخالق في أنفسهم فصغر ما دونه في أعينهم، فهم والجنة كمن قد رآها فهم فيها منعمون، وهم والنار كمن قد رآها فهم فيها معذبون. قلوبهم محزونة، وشرورهم مأمونة ، وأجسادهم نحيفة، وحاجاتهم خفيفة، وأنفسهم عفيفة. صبروا أياماً قصيرة أعقبتهم راحة طويلة. تجارة مربحة يسرها لهم ربهم. أرادتهم الدنيا فلم يريدوها. وأسرتهم ففدوا أنفسهم منها. أما الليل فصافون أقدامهم تالين لأجزاء القرآن يرتلونه ترتيلاً. يحزنون به أنفسهم ويستثيرون به دواء دائهم. فإذا مروا بآية فيها تشويق ركنوا إليها طمعاً، وتطلعت نفوسهم إليها شوقاً، وظنّوا أنها نصب أعينهم. وإذا مروا بآية فيها تخويف أصغوا إليها مسامع قلوبهم وظنوا أن زفير جهنم وشهيقها في أصول آذانهم»[١]، في شهر رمضان مثلاً يُستحب ختم القرآن ثلاث مرّات على الأقل، ويُستحب أن يُختم القرآن في شهر رمضان عشر مرّات كحد أعلى، المؤمنون ذوو همّة واندفاع، وهؤلاء ليسوا أنبياء ولا أوصياء، وإنما من المؤمنين المتقين، وأمّا بعض الناس فإن همّتهم ضعيفة واندفاعهم ضعيف.

الإمام زين العابدين عَلَيْهِ السَّلَامُ في الدعاء يريد أن يعالج مشكلة اسمها (مشكلة ضعف الاندفاع والهمّة الدينية)، لماذا بعض الناس ليس لديهم همّة دينية؟ مثلاً يريد أن يذهب للصلاة جماعة، فيقول له الشيطان: صلّي بالبيت أفضل، أو يريد أن يقوم لصلاة الليل والشيطان يقول له: لا تصلّ، وهكذا، كثير من الناس يعانون من ضعف الهمّة، فهل هذه حالة طبيعية؟

الإمام زين العابدين عَلَيْهِ السَّلَامُ يعتبرها حالة مرضية غير طبيعية، طبعاً

---

(١) نهج البلاغة 2/160/193.

بعض الناس يصل به ضعف الهمّة إلى مستوى ترك الصلاة، أو التساهل فيها.

هذا الذي يقول عنه القرآن الكريم: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ ساهُونَ﴾(١)، فهو يصلي يوماً ويوماً لا يصلي.

ضعف الهمّة حالة مرضية، والإمام زين العابدين عليه السلام بمثابة الطبيب الذي يريد أن يعالج هذه الحالة المرضية.

توجد أمراض تصيب البدن، مثل مرض اسمه (ضعف المناعة)، أي يصبح بدن الإنسان غير قادر على دفع الأمراض، فالإنسان الطبيعي لديه قدرة دفع للأمراض، أمّا بعض الناس فيُبتلون بمرض اسمه (ضعف المناعة)، أي (الإيدز).

علاج مرض فقد المناعة الروحيّة:

الإمام زين العابدين عليه السلام يعتبر علاج هذا المرض من خلال حضور (مجالس العلماء)(٢)، يعني إذا كان لديك فقد المناعة الدينية وفقر الدم الروحي _ مثلاً _ فإن علاجك هو أن تحضر مجالس العلماء، فإما أن تحضر ميدانياً، أو عبر كاسيت مسجل، أو تلفزيون، ربما تكون غير قادر على حضور المجلس لبعده عنك.

الإمام زين العابدين عليه السلام يعالج مرض فقد المناعة الروحية عن طريق حضور مجالس العلماء، يقول: إذا أردتم أن يكون لديكم مناعة

---

(١) الماعون: 4 و5.

(٢) حيث يقول: «أو لعلّك فقدتني من مجالس العلماء فخذلتني»، بما يعني أن الابتعاد عن مجالس العلماء هو سبب الخذلان الإلهي، وحضور مجالس العلماء هو سبب التوفيق الإلهي.

ذاتية واندفاع ديني، فإن القلب يحتاج إلى تذكير، والبدن يحتاج إلى تطهير، والعقل يحتاج إلى تنوير.

فالإنسان يحتاج إلى تذكير وتطهير وتنوير.

التذكير والتطهير والتنوير:

التذكير للقلب: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾(١)، والتطهير للبدن: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾(٢)، والتنوير للعقل: ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾(٣).

حينئذٍ سوف نواجه سؤالاً، ولعلَّ كل شخص منكم لديه إحساس بهذا السؤال، واليوم نريد أن تعرضوه على أنفسكم عرضاً علمياً.

سبب الإعراض عن مجالس العلماء:

السؤال: لماذا كثير من الناس لا يرغبون في حضور مجالس العلماء؟

هذا الأمر ما هو تحليله النفسي والاجتماعي؟ بعضهم يأتي في نهاية المجلس، وبعضهم يرغب حضور مجلس الرادود وليس الخطيب، وبعضهم يقف خارج المجلس ولا يدخل لاستماع حديث العالم والخطيب، لماذا؟

هذا الأمر له تحليل نفسي واجتماعي، وهذه الظاهرة موجودة، وهي أن كثيراً من الناس لا يرغب حضور مجالس العلم والدرس مطلقاً وليس فقط المجالس الدينية، ما هي الأسباب النفسية لهذه الحالة؟

---

(١) الغاشية:21.

(٢) المدثر: 4.

(٣) النور:40.

أنا في الحقيقة تساءلت مع نفسي، فوجدت عشرة أسباب لضعف همّة الناس في حضور المجالس الدينية، بعضها أسباب صحيحة حقّة، وبعضها ناشئة من حالات مَرَضية، وها أنا أعرضها عليكم:

السبب الأوّل: الحديث التكراري:

إن حديث العلماء حديث تكراري مُمِل، لا يوجد فيه شيء جديد، والناس يريدون شيئاً جديداً، هذه حقيقة، فمجالس العلماء الفعلية هي تكرار واستنساخ لأحاديث سابقة مُمِلة في كثير من الأحيان.

السبب الثاني: تحديد الحريات:

هو أن مجالس العلم والذكر هي تحديد للحريات، هذا حرام، وهذا مكروه، وهذا مستحب، فهذا يسمونه تحديد الحريات، وأيضاً هي تقييد للحريات داخل المجلس وأثناء المحاضرة، ترى نفسك مكبلاً لا تستطيع أن تتكلم أو تضحك أو تأكل أو تقوم، فقط تسمع وترى، وهذا تقييد للحريات، ولهذا ترى بعض الناس يقف خارج المجلس ويأخذ راحته في شرب الشاي والقهوة، ويصغي بنفس الوقت إلى المحاضرة في وقت واحد، ولكنّه إذا كان داخل المجلس سوف يتقيد ولا يقدر على الخروج، وهذا هو أحد الأسباب.

السبب الثالث: زرع القنوط من رحمة الله:

بعض العلماء لا يعطون الأمل العظيم برحمة الله، بل يزرعون القنوط من رحمة الله، (جهنم وعذاب) بحيث يعرضون الصورة المخيفة فقط، وليست الصورة البيضاء اللامعة، بينما الصحيح عرض الصورتين بنفس الوقت: الرجاء، والخوف.

لكنهم كثيراً ما يعرضون صورة الخوف أو القنوط من رحمة الله

تعالى فقط، بحيث يخرج الإنسان ويقول في نفسه: أنا من أهل جهنم!، ولا داعي للذهاب إلى مجالس الموعظة!

السبب الرابع: الابتعاد عن هموم الناس:

إن بعض العلماء يتكلم في عالم السماء والناس يعيشون في عالم الأرض، بينما يريد الناس الحديث عن همومهم وأحزانهم ومشاكلهم، لكن بعض العلماء يبتعدون عن ذلك، وهذا لا ينسجم مع الناس، فهم يبحثون عمّن يتكلم عن مشاكلهم الاقتصادية أو السياسية أو حاجاتهم المعيشية، وعند ابتعاد العلماء عن هموم الناس فتلقائياً يبتعد الناس عن هذه المجالس، ومثال على ذلك الطبيب الذي لا يعالج أمراض الناس أو يعطيك دواء لغير المرض الذي تشكو منه، فطبيعي أنك لا تذهب إليه وتبتعد عنه.

السبب الخامس: اللغة الصعبة والطريقة القديمة:

كثير من العلماء يتحدّثون بطريقة صعبة فلسفية، وكأن الذين يجلسون أمامهم تلاميذ أرسطو، فلا يفهمون منهم شيئاً، فليس كل الموجودين هم طلاب جامعة أو حوزة علمية، لذلك يجب أن نحدّثهم بلغة بسيطة؛ لأن اللغة الصعبة والمعاني المعقدة لا يستفيد منها الحاضرون شيئاً، لاحظ _ مثلاً _ هذا الخطيب حينما يقرأ شعراً في ظلامة الزهراء عليها السلام:

صُبَّت عليَّ مصائِبٌ لو أنها ... صُبَّت على الأيام صرن لياليا [(١)]

فأنت تجد كل الناس يتفاعلون معه؛ لأنه شعر بسيط ومفهوم، وهكذا عندما يقرأ الخطيب _ مثلاً _ أبياتاً في مصيبة الإمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء:

---

(١) مناقب آل أبي طالب 2081.

إن كان دين محمّد لم يستقم إلاّ بقتلي يا سيوف خذيني [١]

كلهم يتفاعلون معها؛ لأنها لغة واضحة بسيطة، ولكنكم عادة تسمعون الخطباء وأهل المنبر يبدؤون بقصيدة شعرية من (12) إلى (14) بيتاً والجالسون لا يفهمون منها معنىً واضحاً، مثلاً يقرأ الخطيب في مصيبة الزهراء عليها السلام:

أبتاه هذا السامري وعِجلُه تُبِعا ومال الناس عن هارون [٢]

قد يوجد بعض الخطباء أنفسهم لا يعرفون معنى هذا البيت، ولهذا فإنهم يقرأونه قراءة خاطئة، هذا البيت يعني أن الزهراء تخاطب رسول الله صلى الله عليه وآله وتقول له: أن أبا بكر وعمر هما مثل السامري وعِجله في قصة موسى عليه السلام حين صنع السامري عجلاً من ذهب فاتبعه أصحاب موسى عليه السلام، وهكذا المسلمون تركوا عليّ بن أبي طالب عليه السلام واتّبعوا غيره. لكن هذا الشعر لا يفهمه كثير من الناس، فهو شعر قديم غير مفهوم، وبالتالي يكون ثقيلاً على مسامع الناس.

اليوم إذا أردنا أن نقرأ شعراً أو أردنا أن نتحدّث بلغة يجب أن لا نتحدّث بلغة صعبة، فأحد أسباب عدم حضور الناس إلى المجالس الدينية والعلمية هو صعوبة اللغة والمعاني المعقدة، بينما حينما تسمعون الشاعر يقول:

يا قالع الباب الذي عن هزّه عجزت أكف أربعون وأربعُ [٣]

---

(١) لسان حاله عليه السلام، وقد توهّم البعض أنه شعراً له عليه السلام. لذا لزم التنويه.

(٢) من قصيدة للشاعر صالح الحلي رحمه الله لسان حال الزهراء عليها السلام. بيت الأحزان128.

(٣) من قصيدة لابن أبي الحديد المعتزلي المسمّاة بالقصيدة العينية، يمدح بها أمير المؤمنين عليه السلام. أنظر: الروضة المختارة (شرح القصائد العلويات السبع)140.

فكم ترتاحون لهذا الشعر؛ لأن معناه جميل، وأسلوبه بسيط جدّاً، ولهذا فهو أفضل الشعر، هي معاني جميلة بعبارات جميلة.

السبب السادس: فقدان عنصر الإثارة:

سوف أعطيكم اليوم بحثاً تحليلياً من الواقعيات التي تعيشونها.

لماذا الشباب يحبون مجالس الرواديد واللطم أكثر مما يحبون مجالس العلماء؟

الجواب: لأنه يوجد فيها عنصر اسمه عنصر الإثارة والمشاركة. أما المجلس العلمي فهو مجلس جافّ ومن طرف واحد.

الناس مثلاً يتفاعلون مع كرة القدم، ويجتمعون عشرات الآلاف؛ لأن كرة القدم بطبيعتها يوجد فيها عنصر إثارة وعنصر مشاركة، فالمتفرج يشارك في إثارة اللاعب، كما اللاعب يشارك في إثارة الجمهور.

أما الخطاب الجاف والمطالب العلمية اليابسة فليس بها عنصر إثارة، ولهذا فإن الناس يبتعدون عنها.

السبب السابع: جرح مشاعر الناس:

لعلَّ بعض العلماء يجرح مشاعر الناس ويحتقرهم، وكأنه يتعامل معهم من أعلى، وكأنهم غير صالحين، ووجوههم سوداء وهو فقط وجهه أبيض، فهؤلاء الناس الذين تُجرح مشاعرهم سوف لا يحضرون المجلس مرةً ثانية. التعامل مع الناس والشباب بأعلائية يدعو إلى ضعف الاندفاع لحضور المجالس العلمية الدينية.

السبب الثامن: إبعاد المرأة واحتقارها:

يوجد في الكثير من ميادنينا احتقار للمرأة وطردها من حضور

المجالس الدينية. ولكن المرأة إذا لم تحضر ويحضر الرجل وحده فإن العائلة سوف تنقسم داخلياً.

ولهذا نجد حجّ بيت الله الحرام واجب على الرجال والنساء.

وإذا ذهبتم إلى مكّة والمدينة ستجدون ظاهرة لا يعرف الناس ما هو تحليلها، الناس في مكّة المكرمة مبتهجون وفرحون، لكن حينما يأتون إلى المدينة المنوّرة فإنهم يعيشون أزمة نفسية، ما هو تحليل ذلك؟

إن أحد أسباب ذلك أن المسجد الحرام مفتوح للرجال والنساء، فتدخل العوائل سويةً، بخلاف مسجد النبي ﷺ حينما تُمنع النساء من دخوله إلاّ في ساعات محدودة.

فهذا في الحقيقة يؤدي إلى مشكلة حقيقية، فالرجل إذا كان مع عائلته لا يعرف ما يفعل، ثمّ هذه الحالة من الاحتقار للمرأة ومنعها من الدخول تدعو للاشمئزاز، بخلاف الحالة في مسجد مكّة المكرمة.

طبعاً ليس المقصود هو الاختلاط والإباحيّة، فهذا أمر غير صحيح، الآن بحمد الله لدينا في زيارة المراقد المقدَّسة يشترك الرجال والنساء، لكن كل منهم له موقعه الخاص، أما لو قلنا الزيارة في الصباح فقط للرجال، والعصر للنساء مثلاً، فتصوروا كيف ستكون العملية هنا في النجف أو كربلاء ـ مثلاً ـ؟

مثلاً لو أردت ليلة الجمعة الذهاب إلى كربلاء المقدسة وكان الوقت مقسّماً بين الرجال والنساء صباحاً ومساءً، فهل تذهبون بعد ذلك للزيارة، أم ستجدون صعوبة؟

السبب التاسع: عدم التزام الواعظ:

حينما يكون الواعظ غير متعظ، وهذه حالة موجودة، يعني هو غير

صادق القول، ولهذا القرآن الكريم يقول: ﴿لِمَ تَقُولُونَ ما لا تَفْعَلُونَ﴾[1]، يتحدّث عن الزهد وهو غير زاهد، ويتحدّث عن تربية الأولاد وهو لم يربّي أولاده، ويتحدّث عن حقوق المرأة وهو ظالم لها، يتحدّث عن أشياء وهو لم يطبقها.

هذا الأمر يجعل كلامه غير مسموع، وتبتعد الناس عن مجلسه.

السبب العاشر: عنصر قابل غير فاعل:

إن الناس في مجالس الوعظ والإرشاد عنصر قابل غير فاعل، فالناس بشكل عام وخصوصاً الشباب يريدون أن يكون لهم دور وحركيّة، ومجلس الوعظ والإرشاد لا يعطي للناس إلاّ دور الاستماع.

وطبيعة النفس البشرية تريد أن تتحرك وأن يكون لها دور، ولهذا فإن الناس إذا أعطوا دوراً يرتاحون، فإذا جاء رادود يرتاحون؛ لأنهم يباشرون معه دور الترديد أو اللطم، بخلاف مجلس الواعظ والخطيب.

هذه عشرة عوامل وأسباب لضعف الاندفاع لحضور المجالس الدينية والوعظيّة، والإسلام يقول لا بدَّ من معالجة هذه العوامل العشرة، وتوجد هنا معالجتان:

بعض المعالجات للظاهرة:

المعالجة الأولى: تأكيد الثواب:

إن الإسلام يكثّف فكرة الثواب والفضل والحسنات في هذه المجالس، ويقول: أيها الشباب، إذا كان صعب عليكم الحضور إلى هذه المجالس لأن اللغة العلمية صعبة، أو لا توجد إثارة، وما شاكل ذلك،

---

(1) الصف: 2.

لكن احضروا لأجل الثواب، مثلاً الصلاة، فقد تكون صعبة، لكن أنت تبتغي بها الثواب، أو مثل الدواء الذي تأخذه، فلعلَّ الدواء صعب ولكنك تستعمله لأجل الشفاء، ولهذا جاءت الرواية عن رسول الله ﷺ تقول: «النظر إلى وجه العالم عبادة»[١]، وعنه ﷺ قال: «من سلك طريقاً يطلب به علماً سلك الله به طريقاً إلى الجنة، وإنه يستغفر لطالب العلم من في السماء ومن في الأرض، حتى الحوت في البحر»[٢].

هذه الروايات تُذكر؛ لكي تولّد اندفاعاً نحو المجالس الدينية، لكن هل هذا كافي؟

لا، هذا غير كافٍ، مهما جلبت من روايات، ما زال تلك المشاكل العشرة موجودة فالناس لا يحضرون إلاّ قليلاً، فلا بدّ أن نُعالج تلك المشاكل.

المعالجة الثانية: أن يكون العالِم أو الواعظ متّعظاً:

ولهذا جاء الإسلام اللطيف وقال: أيها العلماء، عندما تعظون الناس عليكم أن تكونوا أنتم متّعظين، ﴿لِمَ تَقُولُونَ ما لا تَفْعَلُونَ﴾[٣]، فأنت أوّلاً أدّب نفسك ثمّ أدّب الناس. قال الإمام عليّ عليه السلام: «من نصب نفسه للناس إماماً فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره، وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه، ومعلّم نفسه ومؤدّبها أحقّ بالإجلال من معلّم الناس ومؤدّبهم»[٤].

---

(١) أمالي الطوسي: 454/ 1015/ 21.

(٢) الكافي 1: 34 / باب ثواب العالم والمتعلم / 1.

(٣) الصف: 2.

(٤) نهج البلاغة 4: 16/ 73.

المعالجة الثالثة: تواضع العلماء لِمَن يُعلِّمون:

الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام تقول: «تواضعوا لمن تعلّمونه العلم، وتواضعوا لمن طلبتم منه العلم، ولا تكونوا علماء جبّارين فيذهب باطلكم بحقكم».[1] لا تتعامل معهم من أعلى وبكبرياء وكأنك أنت ضابط الدين كله وهؤلاء الجالسين كأن ليس لهم دين ولا يعرفون شيئاً، لماذا؟ لعلَّ هذا الجالس أمامك أفضل منك، لعلَّ هذا الشاب الصغير معرفته الدينية أفضل مني، وعند الله هو أفضل مني، لماذا؟ لأن الحشر يوم القيامة على نية القلوب وليس على أساس المعلومات: ﴿إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾.[2]

المعالجة الرابعة: تكريم المرأة:

الثقافة الدينية تقول: «طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة»[3]، لماذا أنت تذهب إلى مجلس المحاضرة والمرأة ممنوع أن تذهب، هذه ليست ثقافة دينية، هذه ثقافة جاهلية، صحيح أن هذه الثقافة موجودة لدينا، لكن هي ليست إسلاميّة، بل هي انحرافية، وثقافة عزل المرأة واستبداد الرجل بالعلم، فصلاة الجمعة للطرفين، والحج والموعظة للطرفين، وزيارة المراقد المقدسة للطرفين.

أنا لست بصدد بحث هذا الأمر، لكن هي إشارات سريعة للمعالجات حتّى لا يكون حديث العالم الديني حديثاً جافاً.

---

(١) الكافي 1:36/ باب صفة العلماء/1.

(٢) الشعراء:89.

(٣) مستدرك الوسائل 17/21250/249:17.

المعالجة الخامسة: ذكر قصص الأمم السابقة:

القرآن الكريم يقول: ﴿وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾[١]، يعني: أيها النبي، تكلّم لهم عن قصص تاريخية، عن آدم ونوح إلى آخره، على أن تكون قصصاً حقيقية صادقة وليست كاذبة.

كنت أقرأ في كتاب استغربت منه، لما فيه من أكاذيب.

منها أن رسول الله ﷺ كان جالساً، إذ أتاه رجل طويل كأنه نخلة، فسلّم عليه، فردَّ عليه السلام وقال: من أنت؟ قال: أنا الهام ابن هيم بن لاقيس بن إبليس.

فقال له رسول الله ﷺ: ما بينك وبين إبليس إلاّ أبوين؟! قال: نعم، يا رسول الله. فقال له رسول الله ﷺ: فكم أتى لك؟ قال: أكلت عمر الدنيا إلاّ أقله، أنا أيّام قتل قابيل هابيل غلام أفهم الكلام... الخ[٢]. يعني أن عمره يبلغ آلاف السنين، هذه قصص كاذبة.

القرآن الكريم يقول: ﴿وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾[٣]، ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾[٤]، الناس يحتاجون إلى قصة وتاريخ وعبرة، وليس فقط قضايا علمية وبراهين واستدلالات علمية، يحاول الإسلام أن يعالج هذه المشاكل.

المعالجة السادسة: بعث الأمل في قلوب الناس:

في الرواية عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «الفقيه حق الفقيه من لم يقنط الناس من رحمة الله»[٥]. فالفقيه والواعظ والعالم الحقيقي هو الذي يزرع في قلوب الناس الأمل والرجاء.

---

(١) إبراهيم:5.

(٢) أنظر: بصائر الدرجات118.

(٣) إبراهيم:5.

(٤) يوسف:3.

(٥) نهج البلاغة 90/20:4.

المعاجة السابعة: طرح ومعالجة هموم الناس ومشاكلهم:

ولهذا في صلاة الجمعة يجب، أو ينبغي ـ هذا بحث فقهي ـ أن يتناول الخطيب هموم الناس، ولذلك فإن الأنبياء عليهم السلام لم يكن عملهم فقط هو قول: اتقوا الله، بل كان عملهم: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾، وكذلك: ﴿وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾[1]، أي بحث المشاكل الاقتصادية، فقد كانوا يناقشون المشاكل الحياتية. ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ﴾[2]، هذه هي هموم الناس.

* * *

هذه هي عوامل وأسباب ضعف اندفاع الناس نحو المجلس الديني والتي يجب أن نعالجها اليوم، فالقلب يحتاج إلى تذكير، والبدن يحتاج إلى تطهير، والعقل يحتاج إلى تنوير، هذا شهر رمضان شهر التذكير، فنحن خلال السنة بحمد الله لدينا تذكير يومي، خمس مرّات في اليوم، وتذكير يوم الجمعة في صلاة الجمعة، ولدينا تذكير موسمي في شهر رمضان المبارك.

الدعاء يقول: «أو لَعَلَّكَ فَقَدْتَنِي مِنْ مَجَالِس الْعُلَمَاءِ فَخَذَلْتَنِي، أو لَعَلَّكَ رَأَيْتَنِي فِي الْغَافِلِينَ فَمِنْ رَحْمَتِكَ آيَسْتَنِي، أو لَعَلَّكَ رَأَيْتَنِي آلِفَ مَجَالِس الْبَطَّالِينَ فَبَيْنِي وَبَيْنَهُمْ خَلَّيْتَنِي».

والحمد لله رب العالمين

* * *

---

(١) الرحمن: 9.

(٢) النساء: 75.

المحاضرة الثالثة والخمسون:

بحث في الحب الإلهي وإجابة الدعاء

«أو لعلَّك لَمْ تُحِبّ أنْ تَسْمَعَ دُعائي فَباعَدتّني...».

بسم الله الرحمن الرحيم

الحديث هذه الليلة عن الحب، وعن الدعاء، وعن القرب والبُعد من الله تعالى، وهذا في المقطع: «أو لعلَّك لم تحب أن تسمع دعائي فباعدتني».

هذا المقطع الذي هو فرضية من الفروض الاحتمالية.

الإمام السجاد عليه السلام يطرح مجموعة فروض احتماليّة، أحد تلك الفروض: «أو لعلَّك لم تحبّ أن تسمع صوتي فباعدتني».

فبينما أقبل على الدعاء، وإذا أجد نفسي تذهب إلى مكان آخر، وتُسلب مني لذة المناجاة.

هذا المقطع فيه بحثان:

البحث الأوّل: ما هو الحب الإلهي؟ ماذا يعني أن الله يحب ولا يحب؟ أليس الدعاء يقول: «أو لعلَّك لم تحب»؟ إذاً ما هو الحب الإلهي؟

البحث الثاني: الدعاء والإجابة، هذا بحث من البحوث المهمة في الفكر الإسلامي: الدعاء، شروط الإجابة، حتميّة الإجابة، متى تكون الإجابة؟ ومتى تتخلف الإجابة؟

سوف نتناول هذين البحثين بشيء من الإيجاز والتبسيط.

الحبُّ الإلهي:

القرآن يتحدّث عن الحب الإلهي حينما يقول: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾[1].

---

(١) المائدة:54.

﴿إِنْ كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾[١]، إذاً هناك حب متبادل من العبد إلى الله تعالى، ومن الله تعالى إلى العبد، هذا الحب يسمى الحب المتبادل.

الحب عندنا نحن البشر يعني ميل القلب وانجذابه إلى المحبوب. فهل الله تعالى لديه ميل قلبي؟ وهل الحب الإلهي مثل الحب البشري؟

الله تعالى أجلّ من أن يكون لديه ميل القلب أو قسوة القلب وما شاكل ذلك من التأثرات النفسية، إذن ما هو الحب الإلهي؟ وما هي حقيقته؟

فلاسفة الإسلام _ العرفاء _ يقولون: أصل الوجود هو الحب، من الشمس والقمر والبشر والإنس والجن والملائكة والمجرّات والأكوان التي لا نهاية لها، هذه كلها أصلها هو الحب، فكيف ذلك؟

الحديث القدسي يقول: «كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف، فخلقت الخلق لكي أعرف»[٢]، فأصل القضية: «فأحببت أن أعرف»، الله أحب أن يَبسُط فيضَ الوجود على الماهيات وعلى المخلوقات، وأحب أن يُلبس هذه الهويات فيض الوجود، وأحب كل ذلك، فكان ما أحب.

فأصل الوجود هو الحب، ولولا الحب الإلهي لم يكن وجود.

مثلاً أنت لا تقوم بعمل إلاّ إذا كانت لديك محبة خاصة لذلك العمل، وخاصةً حينما تكون في حال الاختيار وليس في حال الاضطرار.

الله تبارك وتعالى خلق هذا الوجود حباً وليس حاجةً، ولا مضطراً له، ولا جهلاً به، إذاً لماذا خَلَق الله الوجود؟

---

(١) آل عمران:31.

(٢) بحار الأنوار84 :344.

يقول الفلاسفة: إن الله تعالى بَسَط الوجود على الموجودات محبةً منه، هذا الحب الإلهي الذي غَمَر الوجود. ولولا الحب الإلهي لم تُقسَّم الأرزاق، ولم تُعطِ العافية، ولا كبرنا، ولا ستر الله علينا، فالحب الإلهي هو خلفية جميع ما في هذا الكون من وجود ومن عطاء إلهي، هذه هي الحقيقة الأولى التي يذكرها علماء الإسلام.

ويذكرون حقيقة ثانية هي:

حقيقة علمية عرفانية، اليوم أريد أن أنقلكم إلى حديث العرفاء، حيث يوجد لدينا فلاسفة ويوجد لدينا عرفاء، وهذه المصطلحات كلٌ منها لها معنى:

العرفاء هم الذين وصلوا إلى مرحلة المعرفة بالله، وليس مجرد الاستدلالات العلمية، كما هو شأن الفلاسفة.

لا محبوب إلاّ الله:

فالعرفاء يقولون: لا محبوب إلاّ الله، ولا مُحِب إلاّ الله، أصلاً كل ما موجود في قلوبنا من خيوط حب بينك وبين أيّ من كان، أصل هذا الخيط هو الله تعالى، واتجاه هذا الخيط نحو الخالق الأزلي.

يمكن أن تحب ما ينسجم معك وما يحقق أهدافك، لكن قد يخطأ الإنسان ويحب معصية من المعاصي، وفي الحقيقة هو ليس حب المعصية، وإنما هو حب السعادة، أصل المحبة هي أن تحصل على السرور المطلق، ولكن هذه المحبة التي هي باتجاه المطلق باتجاه الله تعالى تنعكس على هذا وهذا، لذلك يكون هناك الكثير من المحبوب، والحال أن المحبوب واحد، ﴿ما نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونا إِلَى اللهِ زُلْفى﴾[1].

---

(١) الزمر: 3.

على كل حال، العرفاء يقولون: لا محبوب في الوجود إلاّ الله تعالى، ومهما أحببت فإنك إنما تريد أن تصل إلى ذاك المطلق الذي يشفي غليلك، مثلاً أنت عندما تذهب إلى ماء البحر لتشرب فأنت تريد الارتواء، ولكن أنت أخطأت وتصورت أن ماء البحر يحقق الارتواء.

وهذا هو ما يُذكر في البيت الشعري المعروف:

كلماتنا شتّى وحُسنك واحد   كلٌّ إلى ذاك الجمال يُشيرُ

فالمحبوب الأوّل والأخير هو الله تعالى، كما أن أصل الحب ومصدره هو الله تعالى، مثل الرحمة والحنان ورقة القلب هذه من الله تبارك وتعالى.

فرحمة الأُمّ على ابنها هي في الحقيقة نفحة وخيط اشعاع إلهي جاء إلى قلب هذا الإنسان، وهكذا كل حب وعشق هو من الله تعالى، وهذا معناه أن المحب بالأصل هو الله تعالى، لكنه ظهر في قلب الأُمّ والأب والزوجة وهكذا. وهذا هو معنى ما يقوله العرفاء: (لا محبوب إلاّ الله، ولا مُحب إلاّ الله).

مقام الحبّ:

نحن نقول عن الأنبياء عليهم السلام: إبراهيم خليل الله، موسى كليم الله، عيسى روح الله، نبينا صلى الله عليه وآله حبيب الله، وهذا يسمى مقام الحب، وهو أعلى مقام.

أيضاً العرفاء لديهم مراتب، مرتبة فوق مرتبة إلى أن يصل إلى مرتبة الحب، هذه فوق المقامات الأخرى.

مثلاً أنت تذهب لزيارة الإمام الحسين عليه السلام وتقول: «السلام عليك

يا أبا عبد الله، السلام عليك يا ابن رسول الله، السلام عليك يا ابن أمير المؤمنين، عبدك وابن عبدك، وابن أَمَتك، المقر بالرق والتارك للخلاف عليكم، والموالي لوليكم، والمعادي لعدوكم قصد حرمك واستجار بمشهدك، وتقرب إليك بقصدك، أأدخل يا سيد الوصيين، أأدخل يا فاطمة سيدة نساء العالمين، أأدخل يا مولاي يا أبا عبد الله، أأدخل يا مولاي يا ابن رسول الله».

فمرة تقرأها بدون أن تتمعن في كلماتها، ومرة تقرأها فيحصل عندك عشق، ولهذا جاء في الروايات: «فإن خشع قلبك، ودمعت عينك، فهو علامة الإذن فادخل»[١]، فإذا حصلت رقة القلب ودمعة العين فإن هذا أعلى المقامات فقد، حصل اتصال المحب بالمحبوب، أي أنت في الحقيقة التقيت بروح الإمام الحسين عليه السلام، وهذا هو مقام الحب.

العرفاء يقولون: مقام الحب هو أعلى المقامات، وأعلى المراتب، ولهذا كان نبينا صلى الله عليه وآله حبيب الله.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إن كان سبحانه اتخذ إبراهيم خليلاً، فقد اتخذني حبيباً»[٢].

خليل: يعني صديق دائم الرفقة، وهي مرتبة عظيمة، أمّا الحبيب فإنه أعظم من الخليل.

لنرجع إلى السؤال: ما هو الحب الإلهي؟

تقول الرواية عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: قال جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله: «تقدموا في الدعاء فإن العبد إذا كان دعاء فنزل به البلاء فدعا،

---

(١) بحار الأنوار 98/199.

(٢) الهداية الكبرى: 67.

قيل: صوت معروف وإذا لم يكن دعاء فنزل به البلاء فدعا، قيل: أين كنت قبل اليوم؟»[١].

ومعناه أن العبد كثير الشكر والحمد عندما يطلب شيئاً من الله في الدعاء، تقول الملائكة: صوت معروف محبوب، ويقول الله سبحانه وتعالى: هذا عبدي وأنا أحب أن أسمع صوته، وهناك إنسان لا يدعو، لكن حينما تشتد عليه الأمور فقط يدعو، والملائكة تقول: صوت غريب غير معروف، والله تعالى الكريم اللطيف أيضاً يقول: صوت لا نعرفه، لا أريد أن أسمعه.

تفسير الحبّ الإلهي:

ما هو هذا الحب؟ الله تعالى يُحب، أو لا يُحب؟

هناك عدّة تفاسير، منها: التفسير المادي:

وهو أن الحب الإلهي بمعنى الثواب، أي إن الله تعالى يحب عبده، بمعنى أنه يعطيه نعمة بعد نعمة. فالله ليس لديه قلب حتّى يحصل له ميل وحنان، فإذاً الحب الإلهي بمعنى نتائج الحب الإلهي، بمعنى الرحمة، هذا هو التفسير المادي، وهو تفسير غير مقبول؛ لأنه في الحقيقة إلغاءٌ لحقيقة الحب، وتأويل بلا مبرر.

والقرآن يُسجّل أن الله تعالى يحب، ويفرح، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾[٢].

والرواية تقول: «إن الله يفرح بتوبة عبده المؤمن إذا تاب كما يفرح أحدكم بضالّته إذا وجدها»[٣].

---

(١) الكافي 4722/ باب التقدم في الدعاء/ ح 5.

(٢) البقرة222.

(٣) الكافي 4362/ باب التوبة/ ح13.

توجد هناك حقيقة يشير لها القرآن ، وهي حقيقة الحب الإلهي، العرفاء وقفوا عند هذا المعنى وبصعوبة لتفسير الحب الإلهي الذي يقوله الدعاء: «لعلَّك لم تحب».

مناجاة الإنّي:

ولأجل تلطيف الأجواء قد قرأت لكم في المحاضرة السابقة مناجاة لبعض المتصوفة كانت تسمى مناجاة (الهو)، وطريقة دعاء الدراويش هي: (يا هو، يا من هو، يا من لا هو إلاّ هو)، أما مناجاة الإمام السجاد عليه السلام في دعاء أبي حمزة الثمالي فهي مناجاة جميلة وعظيمة يطمئن الإنسان حين يقرأها، ولأجل أن نقارن بين أدعية أهل البيت عليهم السلام وبين أدعية المتصوفة أقرأ لكم الليلة مقاطع من مناجاة الإنّي.

يقول: (يا إني قد تحققت بك عني، فلا صبر لي عني، لمّا أصبحت مني، في إني، كأنك مني، لم أطلبني مني بأني، لئلا تغار فيزول عني، إني فإنه لا إن لي إلاّ بإنك، وإني بي ليس إني، فإن الإن لك ولي بك لإني.

فقال الإن: صدقت في بعض وأخطأت في بعض، سلني أعلمك.

فقلت: يا إني علمني، قال: لك إن حقيقة، ولي إن حقيقة غير إن إنك لا يثبت عند إني، كما إني عند ظهور إنك، فلا تجمع في الإثنين أبداً، فإذا كنت في إنك فأنا معك بأطول أمداد، وإذا كنت فيك بإني وذهب إنك ظهر عنك وظهر عني)، هذه هي مناجاة (الإن) لبعض العرفاء.

أنظروا هذه الأدعية، ثمّ أنظروا أدعية أئمّتنا عليهم السلام الجميلة:

«أو لعلَّك رأيتني آلف مجالس البطالين فبيني وبينهم خليتني، أو

لعلَّك لم تحب أن تسمع دعائي فباعدتني، أو لعلَّك وجدتني غير شاكر لنعمائك فخذلتني... إلهي ربيتني بنعمك صغيراً ونوَّهت باسمي كبيراً».

«فيا من ربّاني في الدنيا بإحسانه ونعمه، وأشار لي في الآخرة إلى كرمه ورضوانه، معرفتي يا مولاي دليلي عليك، وحبي لك شفيعي إليك»، وكونوا على ثقة بأن الحب متبادل، ولا يمكن أن يكون من طرف واحد. فإذا كان لديكم حب لله تعالى فاعرفوا أن الله يحبكم، لأن الحب خيط متبادل مثل شعاع الشمس، «وحبي لك شفيعي إليك، وأنا واثق من دليلي بدلالتك، وساكن من شفيعي إلى شفاعتك، أدعوك يا ربي راهباً راغباً راجياً خائفاً، إذا رأيت ذنوبي فزعت، وإذا رأيت كرمك طمعت». ما أجمل هذه العبارات؟ فهي مناجاة أئمّتنا الأطهار عليهم السلام.

سؤال: لماذا الله تعالى يحب عبداً ويبغض آخر؟

أنا وأنت حينما نحب شيئاً ربما لحاجة، أو لفضل له علينا، لكن الله تعالى لماذا يحب بعض عباده؟ ولماذا لا يحب بعضهم؟

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾[1].

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا ﴾[2]، هل إن الله تعالى محتاج لهم!، أم هم أصحاب الفضل عليه؟!

ما هي خلفيّة الحب الإلهي؟

ما هي فلسفة وخلفية هذا الحب؟ ولا بدَّ أن نعرف ماذا نعمل حتّى يحبنا الله تعالى؟ الحب الإلهي قد ينطلق من فكرة التجانس والسنخية

(١) البقرة222.

(٢) الصف: 4.

كما نقول بالمثل الشعبي: (إن الطيور على أشكالها تقع)، فنحن بمقدار ما نتجانس مع الله تعالى وأخلاقه بمقدار ما يحبنا الله تعالى، وبمقدار ما نتباعد عن أخلاق الله ونقترب من أخلاق الشياطين. نتباعد عن الله تعالى؛ لأن العلماء يقولون: إن الله يحب نفسه، فكلما نقترب من ذات الله ومن أخلاقه ومن جماله حينئذٍ سوف نكون قريبين من الله تعالى.

فسبب الحب هو التجانس، وسبب الكره هو التباعد.

الله تعالى غير محتاج لنا حتّى يحبنا، فالإنسان ما قيمته بالنسبة إلى الله تعالى. الله خالق السماوات والأرضين، ملك الملوك، الأزلي الأبدي، دام ملكه وعظم شأنه، الله يحب أن يسمع صوتي، ومن أنا حتّى يحب أن يسمع صوتي؟ بمقدار ما يكون هذا الصوت صوتاً إلهياً وصوتاً قريباً من أخلاق الله تعالى وجماله يكون صوتاً محبوباً حتّى لو كان صغيراً.

إن الحب والرضا ناشآن من حالة التجانس بيننا وبين الله تبارك وتعالى، قدر ما تكون مرآة القلوب مغسولة ونظيفة قدر ما يكون نور الله تبارك وتعالى نافذاً إلى هذه المرآة.

ولكن إذا كانت المرآة غير نظيفة فإنه لا تعكس النور، رغم أن النور يأتي إليها.

الحب المتبادل هو ما نلاحظه في مناجاة نبي الله موسى عليه السلام مع الله تبارك وتعالى، حيث يقول: يا رب، أقريب أنت مني فأناجيك؟ أم بعيد فأناديك؟

فأوحى الله تعالى إليه: يا موسى، أنا جليس من ذكرني.

فقال موسى: يا إلهي فمن في سترك يوم لا ستر إلاّ سترك؟

فأوحى الله تبارك وتعالى إليه: الذين يذكرونني فأذكرهم

ويتحابون فيَّ فأحبهم، فأولئك الذين إذا أردت أن أصيب أهل الأرض بسوء ذكرتهم فدفعت عنه بهم(١).

فببركة هؤلاء الناس يدفع الله عنّا السوء.

البحث الثاني: الدعاء والإجابة:

يوجد هناك بحث، ونحن نسمعه كثيراً، عن آداب الدعاء، وشروط الإجابة.

هناك مفهومان:

المفهوم الأوّل: حتمية الإجابة.

المفهوم الثاني: كيفية تأثير الدعاء.

حتمية الإجابة:

القرآن الكريم يقول: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾(٢)، وهو صريح وواضح في أن تتحقق الإجابة بعد الدعاء. لكننا سنواجه سؤالاً يقول: إن كانت الإجابة حتمية، فكيف نرى كثيراً من الناس يَدعون ولا يُستجاب لهم(٣)؟!

هنا يقول العلماء: إن شروط الدعاء لم تتحقق بشكل صحيح،

---

(١) بحار الأنوار16290.

(٢) غافر:60.

(٣) قال رجل من أصحاب أبي عبد الله عليه السلام: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إني لأجد في كتاب الله آيتين أطلبهما فلا أجدهما!، فقال عليه السلام: «وما هما؟»، قلت: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ فندعوه فما نرى إجابة!، قال: «أفترى الله أخلف وعده؟»، قلت: لا. قال: «فمم؟»، قلت: لا أدري، قال: «لكني أخبرك: من أطاع الله فيما أمر به ثمّ دعاه من جهة الدعاء أجابه»، قلت: وما جهة الدعاء؟ قال: «تبدأ فتحمد الله وتمجده بذكر نعمه عليك فتشكره، ثمّ تصلي على النبي صلى الله عليه وآله، ثمّ تذكر ذنوبك فتقر بها ثمّ تستغفر منها، فهذه جهة الدعاء...» إلخ. (أنظر: مكارم الأخلاق276).

ومثال على ذلك حينما نقول: إن الشمس محرقة، فهذا صحيح، ولكن إن كان هناك مانع يحول بينك وبين الشمس فإنه سوف لا يصلك لهيبها.

إن شروط الدعاء مهمّة لقبوله عند الله تبارك وتعالى، وهذا بحث طويل، لعلّي أوفق لذكره في محاضرات قادمة.

تفسيران لتأخر الإجابة:

لقد ذكر العلماء تفسيرين في فلسفة تأخر الإجابة:

التفسير الأوّل: أن الإجابة على نوعين: تنفيذية، وتقبّلية. وإذا لم تتحقق الإجابة التنفيذية فإن الاستجابة التقبّلية بمعنى قبول الدعاء والرضى عن العبد الداعي تتحقق بلا شكّ.

التفسير الثاني: إن الاستجابة موزَّعة، وهو يعني أن الاستجابة حتمية بلا شكّ، لكنها تتجه نحو ذاك العضو الذي مارس الدعاء بشكل حقيقي. فالاستجابة مرة تكون للعين حينما تدمع في أثناء الدعاء، ومرة للّسان حينما يتحرك بالدعاء، ومرة للقلب حينما يكون صادقاً في الدعاء. إن كل واحد من هذه الأعضاء لا بدّ أن ينال قسطه من الاستجابة. وإذا كان الدعاء مجرد لقلقة لسان فإن الاستجابة سوف تكون للسان وحده، وهكذا حينما تدعو بلسانك لكن قلبك في مكان آخر، هذا يعني أنه لم يكن هناك دعاء وإنما هو فقط لسان يتحرك، ومع ذلك فإن هذا الدعاء له إجابة على مستوى اللسان.

السيد بحر العلوم لديه منظومة فقهية نظّم فيها الفقه الإسلامي يقول:

تَلهجُ في إيّاكَ نَستعينُ   وأنتَ غيرَ الله تستعينُ [1]

(١) مستدرك سفينة البحار 7:65.

دعاء للزواج:

رواية يرويها صاحب كتاب (عدة الداعي) تقول:

كان رجل بالمدينة وكانت له جارية نفيسة، فوقعت في قلب رجل وأعجب بها، فشكى ذلك إلى أبى عبد الله عليه السلام، فقال: تعرض لرؤيتها، فكلما رأيتها فقل: (أسأل الله من فضله)، ففعل، فما لبث إلاّ يسيراً حتّى عَرض لوليها سفر، فجاء إلى الرجل فقال: يا فلان، أنت جارى وأوثق الناس عندي، وقد عرض لي سفر، وأنا أحب أن أودعك جاريتي تكون عندك، فقال الرجل: ليس لي امرأة، ولا معي في منزلي امرأة، وكيف تكون جاريتك عندي؟ فقال: أقومها عليك بالثمن، وتضمنه لي وتكون عندك، فإذا أنا قدمت فبعنيها أشتريها، وإن نلت منها نلت ما يحل لك، ففعل وغلظ عليه بالثمن، وخرج الرجل فمكثت عنده، ومعه ما شاء الله حتّى قضى وطره منها، ثمّ قدم رسول لبعض خلفاء بنى أمية يشترى له جواري، وكانت هي فيمن سمى أن تشترى، فبعث الوالي إليه فقال له: بع جارية فلان، قال: فلان غائب، فقهره إلى بيعها وأعطاه الثمن ما كان فيه ربح، فلما أخذت الجارية وأخرج بها من المدينة قَدِم مولاها، فأوّل شيء سأله عن الجارية كيف هي؟ فأخبره بخبرها وأخرج إليه المال كله الذي قومه عليه، والذي ربح، فقال: هذا ثمنها فخذه، فأبى الرجل وقال: لا آخذ إلاّ ما قومته عليك، وما كان من فضل فخذه لك هنيئاً، فصنع الله له بحسن نيته[1].

تفسيران للإجابة:

سؤال: كيف نفسر استجابة الدعاء؟

(١) عدة الداعي: 292.

الجواب: هناك تحليلان:

الأوّل: التحليل الديني.

الثاني: التحليل المادي.

التحليل الديني:

التحليل الديني يقول: إن الدعاء هو عبارة عن ارتباط بصاحب القدرة المطلقة وبالغني المطلق، ذلك الغني الذي يملك جميع المملوكات، والارتباط به يعني الوصول إلى منابع القدرة والثروة وكل ما هو ممكن.

لكن العلماء الماديين لا يؤمنون بالله ولا بالسماء ولا بالقدرة المطلقة، فجاءوا ليقدموا تحليلاً مادياً.

التحليل المادي:

قالوا في التحليل: نحن في الحقيقة جزء من هذا الكون، وهذا الكون هو عبارة عن مجموعة اتصالات وإشعاعات.

وكل هذا الذي نراه من ماء وطين ونباتات وإنسان وحيوان هو عبارة عن أمواج يصطدم بعضها بعضاً، وهناك في الفضاء المحيط بنا ثلاثون بليون موج. بما فيها الأمواج المنبعثة من القلوب، وعند تحليلهم المادة وجدوا الذرة والذي يسمى في السابق (الجوهر الفرد)، حيث إنها لا يمكن أن تنقسم إلى جزئين وعندما جاء العلم اكتشف في الذرة حركة عجيبة تعمل ليل نهار وتسمى (الإلكترون، والبروتون)، وهي عبارة عن خيوط إشعاعيّة لا تقدر على الحركة بسبب الجاذبية، وبعد ذلك اكتشف العلماء أن هذا الكون يتكون من ثلاثين بليون شعاعاً، وأن

الكون هو عبارة عن أنوار، وليست هناك مادة، مما يعني أن هذا الكون هو عبارة عن أنوار مضغوطة، والقلب هو عبارة عن موجات إشعاعيّة، وجاء العلماء ليكتشفوا كيف يستجاب الدعاء، وتحليله بما أننا جزء من هذا الكون الإشعاعي فإن أرواحنا وإرادتنا ومحبتنا تتفاعل مع هذه الأمواج الإشعاعية العالمية، وتربط إرادتنا بهذا الكون، فعندما نريد المطر تتحرك الغيوم والمياه وتتبخر؛ لأنك جزء مؤثر من ذلك الكون.

ثلاث جرعات وخطوات وقطرات:

هناك رواية عن الإمام السجاد عليه السلام أنه قال:

«ما من خطوة أحب إلى الله عز وجل من خطوتين: خطوة يسد بها المؤمن صفاً في سبيل الله، وخطوة إلى ذي رحم قاطع. وما من جرعة أحب إلى الله عز وجل من جرعتين: جرعة غيظ ردها مؤمن بحلم، وجرعة مصيبة ردها مؤمن بصبر. وما من قطرة أحبّ إلى الله عز وجل من قطرتين: قطرة دم في سبيل الله، وقطرة دمعة في سواد الليل لا يريد بها عبد إلاّ الله عز وجل»[1].

والحمد لله رب العالمين

* * *

(١) الخصال:50/ باب الاثنين/ ح60.

المحاضرة الرابعة والخمسون:

الإيمان واليقين والرضى

«اللَّهُمَّ إِنّي أسْألُكَ إِيمَانا تُبَاشِرُ بِهِ قَلْبِي ، وَيَقِينا حَتَّى أعْلَمَ أنَّهُ لَنْ يُصِيبَنِي إِلاّ مَا كَتَبْتَ لِي ، وَرَضِّنِي مِنَ الْعَيْشِ بِمَا قَسَمْتَ لِي...».

بسم الله الرحمن الرحيم

الحديث هذه الليلة عن هذا المقطع من الدعاء: «اللَّهُمَّ إِنِّي أسْألُكَ إِيمَانا تُبَاشِرُ بِهِ قَلْبِي، وَيَقِينا حَتَّى أعْلَمَ أنَّهُ لَنْ يُصِيبَنِي إلاّ مَا كَتَبْتَ لِي، وَرَضِّنِي مِنَ الْعَيْش بمَا قَسَمْتَ لِي».

ثلاث مراتب:

هذه ثلاث مراتب: الإيمان، وفوق الإيمان اليقين، وفوق اليقين الرضا بما قَسَم الله تعالى.

كما تعلمون أنه ليس كل مؤمن هو راضٍ بما قَسَم الله تعالى، فهناك مؤمن يعترض أو يسخط على الله تعالى، ويوجد مؤمن مُتيقّن وشكور وراضٍ بقضاء الله وقدره.

توجد رواية عجيبة عن الإمام الصادق عليه السلام تقول: «ثلاث تناسخها الأنبياء من آدم حتّى وصلن إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، كان إذا أصبح يقول: اللَّهُمَّ إِنِّي أسْألُكَ إِيمَاناً تُبَاشِرُ بِهِ قَلْبِي، وَيَقِيناً حَتَّى أعْلَمَ أنَّهُ لَنْ يُصِيبَنِي إلاّ مَا كَتَبْتَ لِي، وَرَضِّنِي مِنَ الْعَيْشِ بِمَا قَسَمْتَ لِي»[(١)]، اليوم نتحدّث عنها بشكل موجز.

«اللَّهُمَّ إِنِّي أسْألُكَ إِيمَانا تُبَاشِرُ بِهِ قَلْبِي»، معنى (تُباشر) أي يختلط

---

(١) الكافي 5242/ باب القول عند الإصباح والإمساء/ ح10.

مع القلب ويعالج القلب وينزل إليه: ﴿أَلاَ بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[1]، وليس فقط نظرياً وفكرياً.

«وَيَقِينا حَتَّى أَعْلَمَ أَنَّهُ لَنْ يُصِيبَنِي إِلاَّ مَا كَتَبْتَ لِي»، ويجب أن يكون لدينا يقين أن ما يجري علينا هو مكتوب في علم الله تعالى، ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾[2].

«وَرَضِّنِي مِنَ الْعَيْشِ بِمَا قَسَمْتَ لِي»، الرضى بما قَسَم الله تعالى هو من أعظم درجات الإيمان.

أدعية أهل البيت عليهم السلام:

الحقيقة أن أدعية أهل البيت عليهم السلام هي كنز عظيم، حُرم منه غيرنا، في حج بيت الله الحرام نحن نقرأ دعاء الإمام الحسين ودعاء الإمام السجاد عليهما السلام، وسائر ما لدينا من الأدعية، لكن أراقب جماعة من المغرب والسودان ومصر فأرى لديهم أدعية صوفية لا تنزل إلى القلب، وليست ذات محتوى معرفي ولا تربوي، وتفتقر إلي مضامين تتضمنها أدعيتنا، فهؤلاء مساكين محرومون من النعمة التي لدينا.

أقرأ لكم نموذجاً من أدعية المتصوفة، ولنقارن بينها وبين أدعية أهل البيت عليهم السلام.

توجد مناجاة يذكرها المتصوفة اسمها مناجاة (الهو)، ومناجاة أخرى اسمها (الأنا)، وأخرى (الأنت)، وأخرى (الإن)، هذه المناجاة يذكرها شيخ المتصوفة ابن عربي، أقرأ لكم نموذجاً منها حتّى تقارنوا

---

(١) الرعد:28.

(٢) الحديد:22.

بين دعاء أبي حمزة الثمالي وبين تلك النماذج، وانظروا هل تستفيدون منها شيئاً أم لا!؟

مناجاة ألهُو:

هذه مقاطع من مناجاة ألهُو: (يا هو لمّا غيبتنا عناصرنا منّا في غيبته فطمعنا من حيث غيبنا، نَوّه بما غابَ عنكَ مِنكَ الهُو، فنادانا الهو قف على ما غاب عنك منّا، تعاين ما غاب عنك منّا، فإذا بالهو ينادي: يا عبادي طلبتم مني مقاماً لا يراني فيه غيري، كنت في العمى ولا شيء معي، وأنا كما كنت لا شيء معي، هذا العمى هو الهو الذي لك، فإن الصورة اقتطعت لك ما أنت فيه، فقلت: يا هو الهو ما أصنع في الهو؟ فقال: خرّق نفسك فيه، فرميتُ بنفسي في الفلك عرياناً منسلخاً من ظلمة ذلك الفلك، فقرأت ما استرحت، فنادى الهو: يا من فيه كل شيء ما يصنع الشيء بالشيء وهو شيء)، هذه هي مناجاة الهو، وأنت لا تكاد تفهم منها شيئاً، رغم أن مضامينها قد تكون صحيحة لدى أصحابها[1].

ولكن اسمعوا مناجاة أئمّتنا عليهم السلام: «اللَّهُمَّ أَنْتَ الْقَائِلُ وَقَوْلُكَ حَقٌّ وَوَعْدُكَ صِدْقٌ: ﴿وَاسْأَلُوا اللهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً﴾...، عَظُمَ يَا سَيِّدِي أَمَلِي ، وَسَاءَ عَمَلِي، فَأَعْطِنِي مِنْ عَفْوِكَ بِمِقْدَارِ أَمَلِي، وَلا تُؤَاخِذْنِي بِأَسْوَإِ عَمَلِي»[2].

تلك مناجاة المتصوّفة الذين حُرموا من مدرسة أهل البيت عليهم السلام، وهذه مناجاة أئمّتنا عليهم السلام، كم هو الفرق الكبير بينها؟

(١) أنظر: مجموعة رسائل ابن عربي/ المجموعة الأولى/ كتاب الباء/ طبع دار الحجة البيضاء.

(٢) من (دعاء السحر) كان الإمام السجاد عليه السلام يدعو به في سحر كل ليلة من شهر رمضان. أنظر: إقبال الأعمال 1561.

اليوم ونحن نقف عند هذا المقطع: « اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ إِيمَانا تُبَاشِرُ بِهِ قَلْبِي »، لديَّ مقدمة في بحث فلسفي معاصر، وأنا مضطرّ لتناوله بعناوينه الكبرى، لأن هذا البحث عميق، إلاّ أن الجيل المطلع على الثقافة المعاصرة يدرس مثل هذه المسائل.

البحث الفلسفي الأوّل هو: هل أن معارفنا هي معارف حقيقية وصحيحة؟ والبحث الثاني: نحن نزعم أن هناك حقائق، مثلاً الماء سائل، الهواء غاز، هذه حقائق، هل هي مطلقة أو نسبية؟

هناك نظريتان:

النظرية الأولى: الفلسفة الواقعية.

النظرية الثانية: الفلسفة السفسطائية.

الفلسفة السفسطائية:

وتعني الشكّ في كل ما هو لنا من وجود، واليوم هذه الفلسفة مطروحة بعنوان (النسبية)، وهي تعني أنه ليست هناك حقائق مطلقة، مثلاً تقول: الشمس طالعة. في الحقيقة عندنا الشمس طالعة، ولكن عند الناس الذين يعيشون في بلاد أخرى من الكرة الأرضية فإن الشمس عندهم غائبة، هذه الفلسفة السفسطائية (الشكاكية) تقول: لا توجد حقيقة مطلقة ثابتة، وإنما الحقيقة لديها شكلان مختلفان، حيث لا يوجد حقيقة ثابتة، وإنما الإنسان هو مقياس الحقيقة، مثلاً أنت تقول: الجو بارد. هذه عندك حقيقة، لكن عند غيرك الجو حار، وهكذا _ مثلاً _ يقول شخص: المحاضرة طويلة، ولكن شخص آخر يأنس بالمحاضرة ويندمج معها بحيث عند انتهائها يقول: المحاضرة قصيرة، وأنت تقول: المحاضرة طويلة، هنا يكون المقياس هو أنت كيف تتفاعل مع المحاضرة، هذه هي النظرية النسبية.

الألوان كذلك عندما نفحصها نجدها لا شيء، وإنما هي بالحقيقة ليست ألواناً أصلاً، القوس قزح عندما نراه في السماء نجد ألوانه سبعة، وعندما نقترب منه نجد أن ليس هناك ألوان، وهكذا أيضاً الطعام عندك حلو وغيرك يجده مُرّاً، هذه هي النظرية النسبية.

الفلسفة الواقعية:

الأديان الإلهية تؤمن بأن هناك حقائق ثابتة ومطلقة وليست نسبية، هناك قضايا غير مرتبطة بالإنسان، القضايا الكونية ليست قضايا نسبية.

ولهذا نعتقد بوجود الله ﷻ، المعاد، الوحي، النبوة، هذه غير نسبية، بل هي قضايا حقيقية ومطلقة هنك من يؤمن بها، ومن لا يؤمن بها، الله ﷻ موجود للمؤمن والكافر، فلسفة الأديان قائمة على نظرية الحق وليست نظرية الشكّ، يعني النظرية الواقعية بدل النظرية السفسطائية الشكاكية.

ولهذا عندما نتعامل مع الدعاء علينا أن نتعامل مع حقائق، « وَأَنْتَ الْفَاعِلُ لِمَا تَشَاءُ ، تُعَذِّبُ مَنْ تَشَاءُ بِمَا تَشَاءُ كَيْفَ تَشَاءُ ، وَتَرْحَمُ مَنْ تَشَاءُ بِمَا تَشَاءُ كَيْفَ تَشَاءُ »[(١)]، هذه حقائق نتعامل معها، وليست أوهام يوم ما تكتشف أنها قضايا نسبية، مثلاً عندك جهنم حارة، أو عند غيرك جهنم باردة، ليست كذلك، بل جهنم بالفعل حارة ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَاراً تَلَظَّى﴾[(٢)]، و﴿تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى﴾[(٣)]، الجيد وغير الجيد يشعران بها.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) الليل:14.

(٣) المعارج:17.

الإيمان بالحقيقة:

الإيمان قائم على أساس حقّانية الحقائق، «اللهم إني أسألك إيماناً» حتّى نصل إلى الحقيقة ونكتشفها؛ لأن الحقيقة رغم أنوفنا موجودة، سواءً اكتشفناها أو لم نكتشفها، وإن لم نكتشفها فسنكون نحن الخاسرون، الإيمان يهدف إلى اكتشاف الحقائق ومعرفتها والوصول إليها قبل أن تضيع الفرص منّا: «اللهم إني أسألك إيمانا تُباشر به قلبي».

الإمام السجاد عليه السلام لديه نَصٌّ جميل يقول فيه:

«ألا إن للإنسان أربع أعين: عينان يبصر بهما أمر دينه ودنياه، وعينان يبصر بهما أمر آخرته...»، العينان في الدنيا نبصر بهما في البيت، في الطريق، الصديق، والعدو، لكن لدينا عينان نبصر بهما الآخرة «فإذا أراد الله بعبد خيراً فتح له العينين اللتين يبصر بهما الغيب في أمر آخرته، وإذا أراد به غير ذلك ترك القلب بما فيه»(١).

حتّى لو أعطيناه خمسين دليلاً فإنه لا يؤمن بالآخرة، مثال ذلك بني إسرائيل وكيف أنزل الله عليهم مائدة من السماء، ﴿الْمَنَّ وَالسَّلْوى﴾(٢)، وحينها كانوا في صحراء سيناء لا يوجد فيها شيء، ومع ذلك لم يؤمنوا.

ولهذا القرآن يقول: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ بِكُلِّ آيَةٍ ما تَبِعُوا قِبْلَتَكَ﴾(٣)؛ لأن ليس لديهم عيون ولا قلب، ولو أتيتهم بمائة دليل لما آمنوا، فقد أعمى الله تلك العينين اللتين يبصران بهما الآخرة.

الإيمان هو عين القلب وليس عين البدن، هذا الإيمان هو الفضل

---

(١) الخصال90/240.

(٢) البقرة:57.

(٣) البقرة145.

العظيم في استقامة الإنسان، وإن أفضل الأعمال هو الإيمان بالله ﷻ: «لا إله إلاّ الله حِصني، فمن دخل حِصني أمن من عذابي»[١].

هل كلمة لا إله إلاّ الله هي مجرد كلمة، أو هي حقيقة وواقع؟

الجواب: إن كلمة لا إله إلاّ الله ليست مجرد حروف، بل هي حقيقة، مثال على ذلك المؤمن الأصم وهو لا يسمع ولا يتكلم ولا يعرف كلمة لا إله إلاّ الله، ومع ذلك فإنه يقولها في قلبه.

الحديث المروي عن النبي ﷺ يقول: «من قال: (لا إله إلاّ الله) مخلصاً دخل الجنّة، وإخلاصه أن يحجزه (لا إله إلاّ الله) عمّا حَرَّمه الله ﷻ»[٢]، النبي ﷺ قال: «مخلصاً»، «وإخلاصه أن يحجزه»، يحجزه عمّا حرّمه تعالى عليه، وليس القول فقط، المهم هو الإخلاص وليس القول.

وللطريفة يُحكي أن تاجراً عبر إلى حمص فسمع مؤذناً يقول: أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأن أهل حمص يشهدون أن محمّداً رسول الله، فقال: والله لأمضين إلى الإمام وأسأله، فجاء إليه فرآه قد أقام الصلاة وهو يصلي على رجل ورجله الأخرى ملوثة بالعذرة، فمضى إلى المحتسب ليخبره بهذا الخبر، فسأل عنه؟ فقيل: إنه في الجامع يبيع الخمر، فمضى إليه فوجده جالساً وفي حجره مصحف وبين يديه باطية مملؤة خمراً، وهو يحلف للناس بحق المصحف أن الخمرة صرف ليس فيها ماء، وقد ازدحمت الناس عليه وهو يبيع. فقال: والله لأمضين إلى القاضي وأخبره، فجاء إلى القاضي فأخبره بجميع ما رأى. فقال له القاضي: يا جاهل، أما

---

(١) حديث قدسي رواه الإمام الرضا عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام، عن النبي ﷺ، عن الله ﷻ. أنظر: عيون أخبار الرضا عليه السلام 1441/ باب37/ ح 4.

(٢) معاني الأخبار370/ باب معنى قول لا إله إلاّ الله بإخلاص/ ح 2.

المؤذن فإن مؤذننا مرض فاستأجرنا يهودياً صيتاً يؤذن مكانه ، فهو يقول ما سمعت ، وأما الإمام فإنهم لما أقاموا الصلاة خرج مسرعاً فتلوثت رجله بالعذرة وضاق الوقت فأخرجها من الصلاة واعتمد على رجله الأخرى ، ولما فرغ غسلها ، وأما المحتسب فإن ذلك الجامع ليس له وقف إلاّ كرم ، وعِنَبه ما يؤكل فهو يعصره خمراً ويبيعه ويصرف ثمنه في مصالح الجامع ! فخرج التاجر من البلد وحلف أنه لا يعود إليها أبداً [1]. فهذا ليس له قيمة إذا قالها لساناً فقط.

«أسألك إيماناً تُباشر به قلبي».

يحكى أن المقدس الأردبيلي قدس سره المدفون في مدخل الحرم العلوي الشريف أنه عندما كان يذهب إلى حضرة أمير المؤمنين عليه السلام قبل الفجر تنفتح له الباب وحدها، فيدخل ثمّ تنغلق الباب[2].

ويقال: إنه لم يمدّ قدميه طول حياته تأدباً بين يدي الله، وينقل عنه قوله: رغم أنه لا يوجد أحد أمامي لكن الله تعالى موجود، فكيف أمد رجليَّ، لم يمد رجليه أيام حياته، فلما دنت منه الوفاة مدّوا رجليه وهو في تلك الحالة، قال: إلهي أنت تعلم أني طول تلك المدة لم أسأ الأدب، لكن الآن هذا تكليف عليَّ، فأنت تأمر أن الذي ينزل به الموت يمدد إلى جهة القبلة، وإلاّ فلم أكن أمدّ رجليّ.

هذا مستوىً عال من مستويات الإيمان حين يباشر القلب ويعمره، «إيماناً تُباشر به قلبي»، وهذا الأمر قد تتصورون أنه خاص بالعلماء، لكن قد يوجد شباب كذلك.

---

(١) المستطرف 2: 518.

(٢) أنظر: الكنى والألقاب 3: 201.

الشاب المؤمن:

ثوبان مولى رسول الله ﷺ، كان شديد الحب لرسول الله ﷺ، قليل الصبر عنه، فأتاه ذات يوم وقد تغير لونه، ونحل جسمه، فقال ﷺ: «يا ثوبان! ما غيّر لونك؟»، فقال: يا رسول الله! ما بي من مرض، ولا وجع، غير أني إذا لم أرَك اشتقت إليك حتّى ألقاك، ثمّ ذكرت الآخرة، فأخاف أني لا أراك هناك، لأني عرفت أنك ترفع مع النبيين، وإني إن أدخلت الجنّة كنت في منزلة أدنى من منزلتك، وإن لم أدخل الجنّة فذاك حتّى لا أراك أبداً!

أنظروا الفكر البعيد المدى.

فهنا نزل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾(١).

ثمّ قال ﷺ: «والذي نفسي بيده، لا يؤمننّ عبدٌ حتّى أكون أحبّ إليه من نفسه، وأبويه، وأهله، وولده، والناس أجمعين»(٢).

هذا نموذج للقلب العامر بالإيمان.

وهناك قلب لم يذق الإيمان، فهو مؤمن ظاهراً، لكن من داخله كافر.

لا أتحدّث عن البُعد الشرعي هل يُسمّى مؤمناً أو كافراً؟ صحيح أن من قال: (لا إله إلاّ الله، محمّداً رسول الله) فهو مسلم، لكن إني أتحدّث عن البُعد الواقعي، هناك قلب لم يذق معنى الإيمان حتّى لو كان نظرياً مؤمناً بالله.

---

(١) النساء:69.

(٢) أنظر: تفسير مجمع البيان 1263.

انحرافات ابن تيميّة:

أضرب لكم مثالاً، أحد أئمّة الاتجاه السلفي (ابن تيميّة) في القرن الثامن الهجري، وهو مؤسس الفكر التكفيري، فلا تتصوروا أن الحالة التكفيرية الموجودة الآن في العراق والعالم الإسلامي ليست لها أصول فكرية، بل لها أصول أصحابه يفتخرون به، تذهب إلى مصر وإلى الدول العربية، فمثل ما هنا يوجد القرآن ومفاتيح الجنان فهناك يوجد منهاج السُنّة لابن تيميّة.

أنظروا ابن تيميّة ماذا يقول؟ ثمّ أنظروا هل أن هذا القلب الذي صدر منه مثل هذا الكلام هو قلب مؤمن؟ بقطع النظر عن الشكل والمظهر.

أقرأ لكم نموذج لكلماته فيما يتعلق بأهل البيت عليهم السلام؛ حتّى تعرفوا ما هي علاقة هذا الإنسان برسول الله صلى الله عليه وآله.

يقول عن الإمام عليّ عليه السلام: (كان عليّ مخذولاً حيثما توجّه، حاول الخلافة مراراً فلم ينلها، إنما قاتل للرئاسة لا للديانة، والرافضة تعجز عن إثبات إيمان عليّ وعدالته، وحديث: «أنا مدينة العلم» كذباً...)، ثمّ يأتي إلى كل فضيلة من فضائل الإمام عليّ عليه السلام فيُكذبها.

(قول عمر: لولا عليّ لهلك عمر، هذا القول إن صحَّ فقد قالها عمر لغير عليّ).

(مجموع ما صح لعليّ من الفضائل عشرة، وهي مشتركة بينه وبين غيره).

ويقول: (يزيد لم يأمر بقتل الحسين).

ويقول: (ابن ملجم كان من أعبد الناس).

لاحظوا هو يقول: إن الشيعة تعجز عن إثبات إيمان عليّ بن أبي طالب عليه السلام، لكن ابن ملجم كان من أعبد الناس عند ابن تيميّة، أنظروا هذا القلب هل فيه إيمان؟

أمّا يزيد فإنه بعد واقعة الحرّة التي وقعت بعد مقتل الحسين عليه السلام بسنتين، حيث ثار أهل المدينة المنورة، يزيد أعطى أمراً للجيش الشامي أن يكتسح المدينة، وأبيحت المدينة، المؤرخون يقولون: قُتل عشرة آلاف شخص، وإن الدماء سالت كل مسيل، حتّى أن الدماء وصلت إلى المسجد النبوي، بعض الروايات تقول: إن الدماء دخلت في المسجد النبوي حتّى وصلت للروضة النبوية قرب قبر رسول الله صلى الله عليه وآله، وقتل أشراف الناس، هذه واقعة تاريخية ثابتة، لكن ابن تيميّة يريد أن يتخلص من هذه وكأن يزيد كان من الصالحين، ويجب على ابن تيميّة أن يدافع عن يزيد فيقول: (أما واقعة الحرّة فلم يُقتَل فيها جميع الأشراف، ولا بلغ عدد القتلى عشرة آلاف، ولا وصَلَت الدماء إلى قبر النبي، ولا كان القتل في المسجد بل في خارج المسجد) هذا كله دفاعٌ عن يزيد.

أما عن الحديث النبوي الشريف: «لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله»، وهي رواية ثابتة بصحاح الفريقين[١]، التي تقول: إن الأوّل أعطوه الراية ورجع، والثاني أعطوه الراية ورجع، ووصلت القضية إلى عليّ عليه السلام، حيث قال رسول الله: «لأعطينَّ الراية...».

ابن تيميّة يقول عنها: (هذه الرواية صحيحة، لكن ليس فيها فضيلة؛ لأن «يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله» هذه ثابتة لكل المؤمنين وليس لعليّ فقط).

الروايات تقول: «اشرأبت الأعناق من هذا الذي يحبه الله ورسوله؟».

---

(١) أنظر: أمالي الصدوق604/839/10؛ صحيح البخاري 4:20؛ سنن البيهقي 6:362.

ولكن ابن تيميّة يقول: هذه صفة كل المسلمين، ولا فضيلة فيها ولا منقبة لعليّ خاصة.

أما عن تكسير الأصنام على الكعبة، فإن الروايات باتفاق الشيعة والسُنّة تقول: إن رسول الله قال لعليّ: اصعد على كتفي وكسّر الأصنام.

الإمام عليّ عليه السلام قال: يا رسول الله اصعد أنت على كتفي.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا يا عليّ أنت اصعد، فصعد وكسَّر الأصنام[1].

لكن ابن تيميّة يقول: (هذه الرواية صحيحة، لكن هذه ليست منقبة لعليّ، فالحسن والحسين كانا يصعدان على ظهر النبي).

أنتم حكّموا أنفسكم، هذا هو الإمام عليّ عليه السلام الذي قال له النبي صلى الله عليه وآله: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى»[2]، وهذا هو ابن تيميّة وأقواله: أن ابن ملجم كان أعبد الناس، وأن يزيد لم يقتل الحسين، ستعرفون معنى القلب الأسود، فهو نظرياً يقول: أشهد أن لا إله إلاّ الله، لكن عملياً هو صاحب قلب أسود لم يدخله نور الإيمان[3].

---

(١) روي عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «انطلق بي رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الأصنام، فقال: أجلس، فجلست إلى جنب الكعبة، ثمّ صعد رسول الله على منكبي، ثمّ قال لي: انهض بي إلى الصنم، فنهضت به، فلما رأى ضعفي عنه قال: أجلس، فجلست وأنزلته عني، وجلس لي رسول الله، ثمّ قال لي: اصعد يا عليّ، فصعدت على منكبه، ثمّ نهض رسول الله، فلما نهض بي خُيِّل لي أني لو شئت نلت السماء، وصعدت على الكعبة، وتنحى رسول الله فألقيت صنمهم الأكبر صنم قريش، وكان من نحاس موتداً بأوتاد من حديد إلى الأرض...». أنظر: مناقب آل أبي طالب 1: 398؛ مستدرك الحاكم 3: 5.

(٢) أنظر: صحيح البخاري 4: 208؛ صحيح مسلم 7: 120.

(٣) للاطلاع على ما تقدم يُراجع كتاب ابن تيميّة الموسوم بـ(منهاج السُنّة)، وما أبعده عن السُنّة، بل هو النفاق بعينه، وقد صرّح بنفاقه ابن حجر العسقلاني في الدرر الكامنة 1: 154 وقال ما نصه: ⇦

فنحن حينما نقول: «اللهم إني أسألك إيماناً تباشر به قلبي»، نسأل إيماناً يعالج القلب، فالقلب إذا كان أسودَ فإن الإيمان لم يباشره ولم يعالجه.

هذا حديث عن الإيمان.

اليقين:

ننتقل إلى الحديث عن اليقين، «ويقيناً حتّى أعلم أنه لن يصيبني إلاّ ما كتبت لي»، نحن بحاجة إلى إيمان مضاعف، إيمان راسخ في القلب اسمه اليقين.

يوجد أناس لديهم إيمان، لكن يعبدون الله على حرف، فإن أصابهم خير اطمأنوا به، وإن أصابتهم فتنة انقلبوا على وجوههم، خسروا الدنيا والآخرة [1]. يوجد مؤمن عند السراء، أمّا عند الضراء فهو غير مؤمن، نحن بحاجة إلى يقين راسخ ولا يشكّ أبداً.

⇨ وقال ابن تيميّة في حق عل يّ: أخطأ في سبعة عشر شيئاً، ثمّ خالف فيها نص الكتاب ... ويقول الحافظ ابن حجر: وافترق الناس فيه – أي في ابن تيميّة – شيعاً، فمنهم من نسبه إلى التجسيم، لما ذكر في العقيدة الحموية والواسطية وغيرهما ، من ذلك كقوله: إن اليد والقدم والساق والوجه صفات حقيقية لله، وأنه مستو على العرش بذاته ... إلى أن يقول: ومنهم من ينسبه إلى الزندقة، لقوله: النبي ﷺ لا يستغاث به، وأن في ذلك تنقيصاً ومنعاً من تعظيم النبي ﷺ.

إلى أن يقول: ومنهم من ينسبه إلى النفاق، لقوله في عل يّ ما تقدم – أي قضية أنه أخطأ في سبعة عشر شيئاً – ولقوله: إنه – أي عليّ – كان مخذولاً حيثما توجه، وأنه حاول الخلافة مراراً فلم ينلها، وإنما قاتل للرئاسة لا للديانة، ولقوله: إنه كان يحب الرئاسة، ولقوله: أسلم أبو بكر شيخاً يدري ما يقول، وعلي أسلم صبياً، والصبي لا يصح إسلامه، وبكلامه في قصة خطبة بنت أبي جهل، وأن عليّاً مات وما نسيها. فإنه شنع في ذلك، فألزموه بالنفاق، لقوله ﷺ: «ولا يبغضك إلاّ منافق». إنتهى.

(١) قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ (الحج:11).

حتّى عندما تشتد الأمور علينا نقول: صدق الله ورسوله، هذا ما وعد الله ورسوله، وما زادهم إلاّ إيماناً[١].

الإمام عليّ عليه السلام كان يقول: «والله لو كُشِف لي الغطاء _ أي أنظر إلى السماء _ ما ازددت يقيناً»[٢]، هذا هو الإيمان الراسخ.

روي أن رسول الله صلى الله عليه وآله قرأ قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلأسْلامِ﴾[٣]، فقال: «إن النور إذا في القلب انفسح له، وانشرح» قالوا: يا رسول الله، فهل لذلك علامة يُعرف بها؟

قال صلى الله عليه وآله: «التجافي عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود، والاستعداد للموت قبل نزول الموت»[٤].

هذه علامات الإنسان المؤمن.

هذه الأمور الثلاثة:

1 _ «التجافي عن دار الغرور»، يعني غير منشغل ليلاً ونهاراً بالدنيا وهمومها وحسابات الدنيا.

2 _ «الإنابة إلى دار الخلود»، فهو دائماً يفكّر في الآخرة.

ليس المقصود طبعاً القضية الشكلية. بل المقصود أن يفكر الإنسان فعلاً بآخرته، فهذا البيت وهذه السيارة كلها سوف تذهب.

3 _ «والاستعداد للموت قبل نزول الموت»، وهذا هو دعاء الإمام

---

(١) قال تعالى: ﴿وَلَمَّا رَأَ الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزابَ قالُوا هذا ما وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَما زادَهُمْ إِلاَّ إِيماناً وَتَسْلِيماً﴾ (الأحزاب:22).

(٢) مناقب آل أبي طالب 1:317 ؛ شرح نهج البلاغة10:142.

(٣) الأنعام:125.

(٤) روضة الواعظين:448.

السجاد عليه السلام: «اللهم ارزقني التجافي عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود، والاستعداد للموت قبل حلول الفوت»(١).

اليقين الحقيقي بالله علامته التجافي عن دار الغرور، نحن بحاجة إلى يقين حقيقي علامته: «التجافي عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود، والاستعداد للموت قبل نزول الموت».

أذكر لكم هذه الرواية:

قال أبوذر: أوصاني رسول الله صلى الله عليه وآله بسبع:

أوصاني أن أنظر إلى من هو دونّي، ولا أنظر إلى من هو فوقي. وأوصاني بحب المساكين والدنو منهم، وأوصاني أن أقول الحق وإن كان مُرّاً. وأوصاني أن أصِل رحمي وإن أدبرت، وأوصاني أن لا أخاف لومة لائم، وأوصاني أن أستكثر من قول: (لا حول ولا قوة إلاّ بالله)، فإنها من كنوز الجنّة(٢).

«اللهم إني أسألك إيماناً تُباشر به قلبي، ويقيناً حتّى أعلم أنه لن يصيبني إلاّ ما كتبت لي، ورضّني من العيش بما قسمت لي، إنك أرحم الراحمين».

والحمد لله رب العالمين

* * *

---

(١) إقبال الأعمال 4021.

(٢) الخصال345/ باب السبعة/ ح12.

المحاضرة الخامسة والخمسون:

الفقر إلى الله تعالى

«إلهي.. أنا الفَقيرُ الذي أغنَيْتَه».

بسم الله الرحمن الرحيم

حديثنا اليوم عن (الفقر)، ومقام الفقر والفقراء بين يدي الله تبارك وتعالى.

وانطلاقاً مما قرأناه من الدعاء في هذه الفقرة: «أنا الفقير الذي أغنيته، وأنا الذليل الذي أعززته، وأنا الخائف الذي آمنته».

«أنا الفقير».

القرآن يقول: ﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾[١]، هذا تقابل بين الإنسان في صفة الفقر، وبين الله تبارك وتعالى في صفة الغنى، هكذا نقرأ في دعاء الإمام الحسين عليه السلام المعروف بـ(دعاء عرفة):

«إلهي أنا الفقير في غناي، فكيف لا أكون فقيراً في فقري، وأنا الجاهل في علمي، فكيف لا أكون جهولاً في جهلي...».

«إلهي إنّ من كانت محاسنه مساوي، فكيف لا تكون مساويه مساوي، وإنّ من كانت حقائقه دعاوي، فكيف لا تكون دعاويه دعاوي»[٢].

الفقر حظ جميع الموجودات:

الفقر هو صفة وحظ جميع الموجودات، الفلاسفة يقولون: من الناحية الفلسفية إن حظ جميع الموجودات هو الفقر، إن كان لها وجود فهو من الله تعالى، إن كان للإنسان سمع فهو من الله تعالى وإن كان له

---

(١) فاطر:15.

(٢) بحار الأنوار22595.

بصر وعافية فهو من الله تبارك وتعالى، كل شيء وجودي للمخلوقات فهو نصيب الله تبارك وتعالى، أما المخلوق فإن نصيبه الفقر ولا شيء غيره، يقول الحديث: «كان الله ولم يكن معه شيء»[1]، وقد أكمله بالقول: (وما زال كما كان)، أي إن الله تبارك وتعالى ليس معه شيء، وحده لا شريك له، إذا كان لدينا شيء من الوجود فهو من الله تبارك وتعالى، بل هو امتداد لاسم الله تعالى.

حظ المخلوقات فلسفياً هو الفقر، ومفهوم الفقر كما يتم التأكيد عليه في الثقافة الدينية هو الفقر في كل شيء، ونصل في نهاية ذلك إلى أخلاق الفقر، ومشاعر الفقر، وعيشة الفقراء.

سوف أتحدّث عن مفهوم الفقر، ولماذا نعيش عيشة الفقراء؟

ولدينا مناجاة للإمام زين العابدين عليه السلام اسمها مناجاة (المفتقرين)، وهي مناجاة خاصة يقول فيها: «إلهي كسري لا يجبره إلاّ لطفك وحنانك، وفقري لا يغنيه إلاّ عطفك وإحسانك، وروعتي لا يسكنها إلاّ أمانك، وذلتي لا يعزها إلاّ سلطانك، وأمنيتي لا يبلغنيها إلاّ فضلك، وخلّتي لا يسدّها إلاّ طولك، وحاجتي لا يقضيها غيرك، وكربي لا يفرجها سوى رحمتك، وضري لا يكشفه غير رأفتك. وغلتي لا يبردها إلاّ وصلك، ولوعتي لا يطفئها إلاّ لقاؤك، وشوقي إليك لا يبله إلاّ النظر إلى وجهك، وقراري لا يقرّ دون دنوّي منك، ولهفتي لا يردها إلاّ روحك، وسقمي لا يشفيه إلاّ طبك...»[2].

(١) الفصول المهمة (الحر العاملي) 28/72/1541.

(٢) بحار الأنوار 150/91.

المقصود بالفقر:

الفقير بمعناه الفقهي: هو ذلك الإنسان الذي لا يملك قوت سنته، بمعنى أنه ليس لديه قدرة معاشيّة لمدة سنة كاملة، سواءً كانت نقداً حاضراً أو نقداً مضموناً له شهرياً كأصحاب الرواتب الشهرية الثابتة لهم من الدولة أو من أرباب العمل. لكن إذا افترضنا أن ليس لديه راتب شهري، وليس لديه عمل مضمون، ولا يوجد لديه أملاك يمكن أن يبيعها عند الحاجة، فهذا يعتبر فقير.

الآن عندما نتحدّث في الثقافة الإسلاميّة عن الفقر، ورسول الله ﷺ عندما يقول: «اللهم أحيني مسكيناً، واحشرني في زمرة المساكين» [1]، هل بمعنى أن رسول الله ﷺ يريد أن يكون من الفقراء بهذا المعنى من الفقر؟ لا طبعاً؛ لأن الإسلام يريد لنا الغنى، ولذا نقرأ في الدعاء: «اللهم اعطني السعة في الرزق» [2]، إن الله تبارك وتعالى لا يريد لنا الفقر بالمعنى الفقهي واللغوي، بل هو الكريم والغني، فكيف يرضى لعباده الفقر!؟

ولهذا يُستحب أن ندعو بالغنى والرزق في أدعيتنا اليومية في الصلاة وغيرها، ويوجد دعاء جميل جدّاً، وأرجو من الشباب أن يحفظوا هذا الدعاء، وهو ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام في تعقيبات صلاة العشاء: «اللهم إنه ليس لي علم بموضع رزقي، وإنما أطلبه بخطرات تخطر على قلبي، فأجول في طلبه البلدان، فأنا فيما أنا طالب كالحيران لا

---

(١) مستدرك الوسائل 15/80372037.

(٢) مصباح المتهجد595.

أدري أفي سهل هو أم في جبل، أم في أرض أم في سماء، أم في بر أم في بحر، وعلى يدي مَنْ، ومِنْ قِبَل مَنْ؟ وقد عَلِمتُ أن علمه عندك وأسبابه بيدك، وأنت تقسمه بلطفك وتسببه برحمتك، اللهم فصلّ على محمّد وآله، واجعل يا رب رزقك لي واسعاً، ومطلبه سهلاً، ومأخذه قريباً، ولا تعنتني بطلب ما لم تقدر لي فيه رزقاً، فإنك غني عن عذابي، وأنا فقير إلى رحمتك، فصل على محمّد وآل محمّد، وجُدْ على عبدك بفضلك إنك ذو فضل عظيم»[١].

إذن الإسلام يريد منّا أن نطلب الرزق والغنى، ولا يريد من الناس أن يكونوا فقراء، ولذا فقد ورد في الحديث الشريف: «الفقر سواد الوجه في الدارين»[٢]، فما معنى تأكيد ثقافة الفقر في الأدعية الدينية وفي الآيات القرآنية، قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ﴾[٣].

أبو ذر الغفاري رضي الله عنه، له كلمة في ذم الفقر يقول:

(إذا ذهب الفقر إلى بلد، قال له الكفر: خذني معك)[٤]، يعني عندما يصيب المنطقة الفقر ينتشر فيها الكفر والظلم، وينتشر فيها الفساد والعصيان.

كان أبو ذر الغفاري حكيماً وثائراً، وكان يطالب بحق الفقراء، وكان يطوف في شوارع الشام ويقرأ قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ

(١) بحار الأنوار 83: 124.

(٢) بحار الأنوار 69: 30.

(٣) فاطر: 15.

(٤) الشيعة في الميزان: 380.

وَالْفِضَّةَ وَلا يُنْفِقُونَها فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذابٍ أَلِيمٍ ﴾[١]، مشيراً بذلك إلى قصور معاوية بن أبي سفيان، وكانَ يحثّ على العدالة في التوزيع، ولأنه كان شيعياً مخلصاً وثائراً وعادلاً فقد صُبَّت عليه الاتهامات والابتلاءات، مع أن أبا ذر معروفٌ في شخصيته، وهو الذي قال فيه رسول الله ﷺ: «ما أقلّت الغبراء ولا أضلَّت الخضراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذر»[٢]. مع ذلك أنظروا ماذا يقول عنه محب الدين الخطيب وهو رئيس تحرير مجلة الأزهر في مصر، يقول: إنّ طريقة أبي ذر كانت منافية لطريق المسلمين. ثمّ تأتي لجنة الاختبار في الأزهر تقول: أجمعت اللجنة على الطعن بأبي ذر، واتهمته بالهَوَس والخروج على جماعة المسلمين، كل ذلك لأنه كان يطالب بالعدالة الاقتصادية. وكذلك كانوا يتهمونه بأنه كان يذكي نيران الفتنة بين المسلمين، رغم أنه اشتهر بالزهد والورع والتقوى، لكن قد أثَّرت فيه دعوة أهل المكر ففتنته، فكان آلةً عمياء، ولم يكن يعلم أن عثمان أعلم منه وأتقى وأورع للدين والأمّة.

هكذا يقول الأزهر الشريف!! فيا للعجب، وكأنهم لم يسمعوا مقالة رسول الله ﷺ في أبي ذر: «ما أقلّت الغبراء ولا أضلَّت الخضراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذر»[٣].

لقد كانت هناك مجابهة بين أبي ذر وبين عثمان، ولهذا كان الخط العثماني ثمّ الأموي يوجهون له الطعن والاتهام.

الله تباك وتعالى لا يريد الفقر لعباده، بل يريد الغنى للعباد.

---

(١) التوبة:34.

(٢) الإصابة 1087.

(٣) أمالي الطوسي:39/70/53.

أربعة ملائكة:

ولهذا يوجد لدينا أربعة من الملائكة، وَهُم أصحاب المهمات الكبيرة، وأنتم تعلمون أن السماء فيها الكثير من الملائكة، والروايات تقول أنه لا يوجد موضع قدم في السماء خالٍ من الملائكة[(١)].

لكن هناك ملائكة يمكن أن نسمّيهم أصحاب المهمات الكبيرة.

ومن جملة أصحاب المهمات الكبيرة جبرائيل عليه السلام، الذي يقول فيه القرآن: ﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ * مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾[(٢)]، وعمله هو الربط بين أهل الأرض والسماء من خلال الوحي، وتسديد الأنبياء عليهم السلام، وهو يمثل الخط المعنوي وخط التكامل للإنسان.

والمَلَك الثاني اسمه إسرافيل عليه السلام، وهو من أصحاب المهمات الكبرى، أما عمله فهو بعث الحياة والروح، هذه الحياة التي لم يستطيع العلم لحدّ الآن أن يفسرها، والتفسير الديني وليس التفسير الفيزيائي يقول: إن هناك مَلَك عمله بثّ الحياة في أبدان المخلوقات وهو عنصر الحياة والذي يُمثّل البناء الروحي، ولهذا الملك نفختان:

النفخة الأولى: يموت فيها كل العباد، كما قال تعالى: ﴿فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّماواتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ﴾[(٣)].

وأما النفخة الثانية: فيبعث فيها جميع من في السماوات والأرض، وتدب الحياة مرةً أخرى فيهم.

---

(١) سُئل الإمام الصادق عليه السلام: الملائكة أكثر أم بنو آدم؟ فقال: «والذي نفسي بيده لملائكة الله في السماوات أكثر من عدد التراب في الأرض، وما في السماء موضع قدم إلاّ وفيه مَلَك يسبّحه ويقدّسه...». بحار الأنوار 78:65.

(٢) التكوير: 20 و21.

(٣) الزمر: 68.

وهناك مَلَك ثالث له مهمة عظيمة وهو عزرائيل عليه السلام، ومهمته قبض الأرواح، وهو أمين على الأرواح عندما تَخرج من الجسد.

وهناك مَلَك رابعٌ وهو أيضاً صاحب مهمة كبيرة، وهو المعنيُّ في حديثنا هذا، واسمه ميكائيل عليه السلام، ومهمته تدبير الأرزاق، وبمعنى آخر: تدبير أسباب النظام الكوني الذي يُمثّل المطر والرياح والسحاب والشمس وغيرها، ولولا هذا النظام الكوني لمات كل من في الوجود، حيث لا يعيش النبات ولا الحيوان، وسوف تجف البحار ويموت الإنسان بحيث لا يبقى أحد في الوجود.

وعبر هذا التنظيم الكوني وعلى يد ميكائيل تأتي الأرزاق، وهذا لا يعني طبعاً أن البشر لا يتحملون المسؤولية، بل عليهم السعي وراء الرزق.

ولنعد إلى الموضوع فنقول: إن الله تبارك وتعالى يريد رزق العباد ولا يريد فقرهم.

إذن ما هو المطلوب والمقصود بالدعاء: «اللهم احشرني مع المساكين»؟

الجواب: هو أن الإنسان فقير إلى الله تبارك وتعالى، ولا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً، وهذا هو الفقر الذاتي، وهذا الفقر موجود في الكائنات جميعاً، حتّى ولو كان أغنى الأغنياء مثل نبي الله سليمان عليه السلام الذي قال: ﴿وَهَبْ لِي مُلْكاً لا يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي﴾[1].

هذا المفهوم يذكّرنا بنظرية فيزياويّة، وهي نظريّة القصور الذاتي في الموجودات، وهي نظرية حاولَت أن تفسّر سبب سقوط الأجسام إلى

---

(١) ص:35.

أسفل، وتطورت فيما بعد إلى نظرية الجاذبية التي تعني أن سبب سقوط الأشياء إلى أسفل هو وجود قدرة جذب لدى الأرض، ثمّ تطورت على يد العالم (اينشتاين) إلى نظرية (التحدُّب الكوني) الذي ينفي الجاذبية طبعاً، ويقول: إن السبب في سقوط الأجسام هو (التحدُّب الكوني).

لقد كان هناك سؤال، وهو : لماذا نرى التفاحة تقع على الأرض؟ ولماذا كل هذه الأجسام المادية لا تقف في الهواء؟

تقول النظرية الأولى: إن هذا هو بفعل القصور الذاتي الذي يعني أن هذه الكائنات ذاتياً لا تقدر على الوقوف في الهواء ويجب أن تقع، وهو تحليل فلسفي.

ثمّ جاء (نيوتن) وكشف نظرية أخرى وقال: إن نظرية القصور الذاتي غير صحيحة، بدليل أن هذه التفاحة وهذه الأجسام المادية لو وضعناها خارج الغلاف الجوي المحيط بالكرة الأرضية أو لو وضعت في صندوق مفرَّغ من الهواء لبقت معلقة ولا تقع على الأرض.

إذن السقوط على الأرض ليس لسبب ذاتي، بل بفعل سبب آخر أطلق عليه (نيوتن) اسماً آخرَ هو الجاذبية، بمعنى أن الأرض يوجد لها جاذبية، لقد أصبحت هذه النظرية سارية في العالم عشرات السنين، حتّى جاء العالم (اينشتاين)، وطرح نظرية أخرى، تعتبر قفزة نوعية في المعارف البشرية، واسمها نظرية: (التحدّب الكوني).

ويعني أن هذا الكون محدَّب غير منبسط وهو مستدير، وهذه النظرية تشمل كل الكون، لكن إلى أين يتَّجه التحدّب الكوني؟ لقد طرح (اينشتاين) نظرية (الزَمَكان) [1]، وهو الزمان الذي يمثل البعد الرابع،

(١) أي: الزمان والمكان.

لأن للأشياء أبعاد مثل الطول والعرض والارتفاع، أما البعد الرابع فهو الزمان.

وهذه النظرية تُسهّل على الإنسان حلّ الكثير من المشاكل الفلسفية والدينية، مثل: كيف نعلم بما سيكون؟ وكيف يتنبأ المتنبئون بما سيحدث بعد مئات السنين؟ وكيف يَعلَمُ الله ما يحدث في آخر الزمان؟، تأتي هنا نظرية البعد الرابع التي تقول أن الزمان هو مثل الأبعاد الأخرى، النملة عندما تسير على خشبة طويلة فإنها لا ترى نهايتها، لكن الإنسان حينما ينظر من أعلى يستطيع أن يعلم متى تصل هذه النملة إلى النهاية.

الأديان تقول أن كل الموجودات تحمل معها الفقر الذاتي إلى الله تبارك وتعالى، وهو يعني أن هذا الموجود ليس لنفسه شيء من وجود، بل هو فقير مطلق، وإنما الوجود هو هبة من الله تعالى، المال والعافية والرزق كلّه هبة من الله تبارك وتعالى، بل الوجود هو امتداد وإشعاع وتجلّي للوجود الإلهي وليس شيئاً غيره.

ولهذا عندما يتصور الإنسان أنه يملك شيئاً لنفسه يكون قد انحرف من صراط الإيمان إلى صراط الكفر، وهذا يمرّ بمراتب، حيث يعتقد الإنسان أن الرزق والعافية والحياة بيده، وهذا في الواقع شرك خفي بالله تبارك وتعالى، وحتّى يصل إلى درجة الكفر المعلن، عندما قال فرعون: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى﴾[(١)].

أما المؤمن فإنه يقول: «إلهي وبيدك لا بيد غيرك زيادتي ونقصي، وضري ونفعي» [(٢)]. وإذا اعتقد الإنسان أن بيده شيء فهذه غفلة، وإذا أراد

(١) النازعات:24.

(٢) إقبال الأعمال 2963.

الله تبارك وتعالى أن يعاقبنا على هذه الفعلة فإنه يصنع معنا مثل ما صنع بنبيّه يونس عليه السلام.

مشكلة نبي الله يونس عليه السلام ليست مثل مشكلتنا؛ لأنه كان نبياً.

الآية القرآنية تقول في يونس عليه السلام: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾[1]، ويقول المفسرون في معنى قوله: ﴿فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ أن يونس عليه السلام تصوّر أن بقدرته سينجو من العذاب عندما يحيط بأهل القرية، كان يتصور يونس عليه السلام أنه بخروجه منها سوف يأمن من العذاب الذي سينزل على قومه، ولكن الله تبارك وتعالى سلط عليه الحوت في البحر وابتلعه، بعد ذلك انتبه يونس عليه السلام عن هذه الغفلة: ﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾[2].

أخلاق الفقر إلى الله:

نريد أن نؤكد أن الفقر إلى الله له أخلاق وشمائل وليس مجرد موقف نظري، بل أخلاقه هي أخلاق الفقير إلى الله تبارك وتعالى، وهنا أقرأ لكم شيئاً عن أخلاق رسول الله صلى الله عليه وآله وهو سيد الفقراء إلى الله.

الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام تقول: مرّت امرأة بذيئة برسول الله صلى الله عليه وآله وهو يأكل وهو جالس على الحضيض (الحضيض: قرار الأرض وأسفل الجبل) فقالت: يا محمّد، إنك لتأكل أكل العبد وتجلس جلوسه، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله: «إني عبد وأيّ عبد أعبد مني»، قالت: فناولني

(١) الأنبياء:87.
(٢) الأنبياء:87 و88.

لقمة من طعامك، فناولها فقالت: لا والله إلاّ الذي في فيك، فأخرج رسول الله ﷺ اللقمة من فيه فناولها فأكلتها، قال أبو عبد الله عليه السلام: «فما أصابها بذاء حتّى فارقت الدنيا»[١].

صفة النبي ﷺ:

يقول التاريخ في وصف النبي ﷺ:

كان رسول الله ﷺ متواصل الأحزان.

دائم التفكير.

ليست له راحة.

ولا يتكلم إلاّ في حاجة.

طويل السكوت.

لا تُغضبه الدنيا وما كان لها، فإذا تعوطي الحق لم يعرفه أحد ، ولم يقم لغضبه شيء حتّى ينتصر له.

وإذا غضب أعرض وأشاح.

لا يجلس ولا يقوم إلاّ على ذكر الله تبارك وتعالى.

يجلس على الأرض، ويأكل على الأرض.

ويعقل الشاة ويجيب دعوة المملوك.

وكان يخيط ثوبه، ويخصف نعله، وكان يحلب عنز أهله[٢].

أمّا الإمام عليّ عليه السلام فعندما بعث برسالته إلى ابن حنيف، فقد قال له: «ألا وإنّ لكل مأموم إماماً يقتدي به ويستضيء بنور عِلمه، ألا وإنّ

(١) الكافي 6: 271/ باب الأكل متكأً/ ح 2.

(٢) أنظر: عيون أخبار الرضا عليه السلام 2: 283/ باب صفة النبي ﷺ/ ح 1؛ معاني الأخبار: 81/ ح 1.

إمامَكُم قد اكتفى من دنياهُ بطِمريه ومن طعامه بقرصيه، أما والله ما أعددت لبالي ثوبي طمراً، ولا كنزتُ من دنياكم تبراً، ولا ادخرت من غنائمها وفراً، ولا حزت من أرضها شبراً»[1]، رغم أنه كان خليفَة المسلمين، وكل الخزائن بيده ولكن هذه هي أخلاق الفقراء.

أنواع الفقر:

عندنا فقر علمي، وفقر مادي، وفقر نفسي. وفقر معنوي.

الفقر العلمي:

وهو المشار إليه بقوله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾[2]، وقال تبارك وتعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾[3].

في صباح هذا اليوم قرأت في صحيفة خبرين يمكن أن يدخلا في سياق الحديث عن الفقر العلمي.

الخبر الأوّل يقول: (الزبيب يمنع تسوس الأسنان والتهابات اللّثة)، يقول الخبر: أشارت دراسة حديثة في واشنطن بأن الزبيب يحتوي على مركبات تكافح تكون البكتريا المسؤولة عن تسوس الأسنان والالتهابات في اللثة، وأشار الباحث (كرستينا)، من كلية أطباء الأسنان في مدينة شيكاغو إلى وجود خمس مركبات كيميائية نباتية في الزبيب هي:

1 _ حامض اليوناليك، 2 _ وأرديهيب، 3 _ وأوليانوليك، 4 _ وبيوتولين، 5 _ وحامض فيوتولين أحد مركبات ريوفونال المفيدة للأسنان واللّثة وأنها تكافح التسوس والتهابات اللثة.

---

(١) نهج البلاغة 3:45/70.

(٢) طه114.

(٣) الإسراء:85.

هذه معلومات جديدة، لكننا نلاحظ أن الفقه الإسلامي وقبل أكثر من ألف وأربعمائة عام يقول باستحباب أكل واحد وعشرين حبّة من الزبيب قبل طعام الإفطار.

وهناك خبر علمي آخر يأتي أيضاً في سياق الفقر العلمي لدى الإنسان، وحيث يوجد لدينا في الفقه الديني أيضاً أنه يكره أن ينام الإنسان على بطنه، والنوم السليم هو أن ينام على ظهره أو على أحد جانبيه، أما النوم على البطن (فإنها نومة الشياطين)[1]، وهذا هو التعبير الفقهي.

حول هذا الموضوع قرأت في صحيفة المؤتمر خبراً عنوانه:

(النوم على البطن يزيد حصوات الكلى)، يقول الخبر: قد حذَّر الأطباء من النوم على البطن؛ لأنه يزيد من تكون الحصى في الكلية.

نلاحظ أن الدين يعطينا معلومات، ولكن دون أن يشرح لنا ما هي خلفياتها العلميّة، وقد نكتشف هذه الخلفيات، وقد لا نكتشفها. هذا هو الحديث عن الفقر العلمي.

الفقر المادي:

كما جاء في الدعاء: «وبيدك لا بيد غيرك زيادتي ونقصي»، حيث إن الإنسان لا يملك شيئاً، حتّى هذا النَفَس لا نستطيع أن نَضمن رجوعه إلينا مرة أخرى.

---

(١) في الرواية: أنه كان من كرم أخلاق أمير المؤمنين عليه السلام أنه يتفقد النائمين في المسجد ويقول للنائم: «الصلاة يرحمك الله الصلاة...» ففعل ذلك كما كان يفعله على مجاري عادته مع النائمين في المسجد، حتّى إذا بلغ إلى الملعون -ابن ملجم- فرآه نائماً على وجهه قال له: «يا هذا قم من نومك هذا، فإنها نومة يمقتها الله، وهي نومة الشيطان ونومة أهل النار...»، أنظر: بحار الأنوار42: 281.

الفقر النفسي:

يعني أن أحوال الإنسان مسروراً كان أو كئيباً وغير ذلك من الأحوال النفسية ليست بيده أيضاً، والكثير من الأطباء اليوم يعالجون الأمراض النفسية، واليوم الأمراض النفسية في تزايد في دول أوربا، ونرى العيادات المختصة في العلاج النفسي أكثر من عيادات العلاج البدني؛ لكثرة الأمراض النفسية.

الإنسان فقير إلى الله تعالى في وضعه النفسي: ﴿إِنَّ الإِنسانَ خُلِقَ هَلُوعاً * إِذا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً * وَإِذا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً * إِلاَّ الْمُصَلِّينَ﴾[١].

الفقر المعنوي:

حيث يحتاج الإنسان من الله تبارك وتعالى إلى المعنويات.

قال الله تعالى: ﴿وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ﴾[٢]، فإنّ تكامل الإنسان معنوياً يحتاج إلى دعم وإسناد من الله تبارك وتعالى.

﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَراءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾[٣].

قال رسول الله ﷺ: «إن لي حرفتين اثنتين، فمن أحبهما فقد أحبني، ومن أبغضهما فقد أبغضني، الفقر والجهاد»[٤]. وهذا ينطبق على المعنى الذي شرحناه سابقاً، وهو حالة الفقر إلى الله تبارك وتعالى.

والحمد لله رب العالمين

* * *

---

(١) المعارج :19 -22.

(٢) آل عمران164.

(٣) فاطر:15.

(٤) جامع السعادات 63:2.

المحاضرة السادسة والخمسون:

هويّة الأحوال الشخصيّة للشيطان

«اللّهم اكفِني شَرَّ الشّيطان، وَشَرَّ السّلطان، وَسَيِّئاتِ عَمَلي، وطَهّرني مِنَ الذُنوبِ كلّها».

بسم الله الرحمن الرحيم

الحديث هذه الليلة عن الشيطان:

هل هو حقيقة؟ أم هو وهم؟

هل هو مستقل في الوجود، أم هو عبارة أخرى عن الأهواء والشهوات؟

ماذا يقول القرآن؟ وماذا يقول الإسلام؟

إبليس أبو الشياطين ما هو؟

العلوم الحديثة غير قادرة على أن تكشف هذه الحقيقة، ممكن تعرف بعض أفكارها، لكن ما هو الشيطان؟

هنا يأتي دور الوحي والغيب، وهنا يأتي دور الأنبياء عليهم السلام لكي يحدّثونا عن هذا الموجود الخبيث الشرير وعن أدواره وأساليبه.

هويّة الأحوال الشخصيّة للشيطان:

ونحن نريد في هذه الليلة أن نكشف هوية الأحوال الشخصية للشيطان، ما هي الهوية الشخصية له؟

الأولاد، التاريخ، السكن، النوع، الأسرة، لون البشرة، العلامات الفارقة، أهدافه، أساليبه، جنوده، ذكر هو أم أنثى؟

هوية الأحوال الشخصية لإبليس في المفهوم الديني، حيث إن المفهوم الديني يجعل الإنسان دائماً يعيش أجواء معركة مع هذا الخبيث

﴿فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾[1]، فيجب أن نعرف هذا العدو وأسلحته، وعندما يكشف الإنسان أسلحة عدوه يستطيع أن يصنع أسلحة مضادة له.

هكذا يقول الدعاء: «اللهم اكفني شرّ الشيطان، وشرّ السلطان وسيّئات عملي، وطهّرني من الذنوب كلها، وأجرني من النار، وأدخلني الجنّة برحمتك»، وبحثنا هو البحث عن هوية الأحوال الشخصية للشيطان، وهو بحث في غاية التعقيد، ولا نستطيع إلاّ تناول أطراف منه.

الشيطان هل هو عبارة عن أوهام، أم هو حقيقة؟

الشيطان حقيقة:

القرآن الكريم يقول إن الشيطان حقيقة ومخلوق، وهو مستقل عن الإنسان رغم نفوذه في الإنسان كالأشعة السينية التي تنفذ في الإنسان عند فحصه وتنفذ إلى الإنسان من وراء الجلد.

أوّلاً: الفهم الديني يقول: إن الشيطان وجود مستقل، مثل المكروبات، فحين يصاب الإنسان بمرض الزكام فإن سببه هو فيروس، علماً أن هذا الفيروس لا نراه لصغر حجمه، ولكنه ينفذ إلى جسم الإنسان دون العلم به، كذلك الشيطان في الفهم الديني هو فيروس روحي يدخل إلى الإنسان ويخبث ذاته فيميل إلى قسوة القلب وإلى المعاصي، فيكون حسوداً، أو شريراً.

إذاً الشيطان حقيقة وليس وهماً.

الشيطان خاضع للقدرة الإلهيّة:

ثانياً: الشيطان مخلوق لله تعالى، وهو عبد الله تعالى، ورغم أن

(١) فاطر: 6.

الشيطان هو عدو الله تعالى ولكنه مخلوق، وكل المخلوقات هي عبيد الله تعالى، ولكنه عاص مثل باقي العبيد.

مثال ذلك فرعون عندما عصى الله قال: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى﴾(١)، وعندما سقط غريقاً في البحر أصبح ينادي: (يا الله أنقذني). ﴿حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُوا إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾(٢).

الشيطان كذلك هو عبد لله، ولكنه مطرود، وعبدٌ رجيم: ﴿فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾(٣)، والرجيم يعني الذي يرمى بالحصى.

وهنا يكمن الفاصل الكبير بين الفهم الديني التوحيدي وبين الديانات الأخرى غير التوحيدية التي قامت على أسس ثنائية بين الله تبارك وتعالى والشيطان، الله رب الخير، ورب الشر هو الشيطان، حيث إن هذه الأديان تعتقد أن هناك ربّين، رب الخير المتمثل بالله تعالى، ورب الشر وهو الشيطان.

نحن نعتقد بإله واحد، وهذا الإله الواحد هو الذي خلق الفيروس الروحي (الشيطان)، والمكروبات المجهرية وغير المجهرية. هو خالق كل شيء في هذا الكون، وكل شيء من هذه الخلائق له هدف خاصة.

وهذه هي الديانة التوحيدية (لا إله إلاّ الله)، وهكذا هو الشيطان هو عبد لله تبارك وتعالى، ولكن الله طرده من الجنّة؛ لأنه عصاه في عدم سجوده لآدم عليه السلام.

---

(١) النازعات:24.

(٢) يونس:90.

(٣) الحجر:34.

لكن الشيطان لا يستطيع الخروج من إرادة الله تبارك وتعالى، ولهذا طلب الشيطان من الله أن يجعل عمره طويلاً؛ لأن عمره بيد الله وليس بيده.

ثمّ قال الشيطان: سلطني على بني آدم.

فقال الله تبارك وتعالى: سلطتك على بني آدم.

الشيطان مخلوق مستقل، حقيقة وجودية، وهو عبد مخلوق لله تبارك وتعالى.

يوجد لدينا فرقة تسمى الفرقة الشيطانية، ويقال أنها في شمال العراق في منطقة سنجار، وهم يؤمنون به باعتباره إله الشر، فلا يمسونه بشيء يسيء إليه.

الإسلام والأديان الإلهية تقول أن هناك إله واحد للخير والشر، والشيطان هو مخلوق، وقد سلطه الله تبارك وتعالى على الإنسان لحكمة معينة.

خَلْق الشيطان:

خُلِق الشيطان قبل خَلْق آدم عليه السلام بستة آلاف سنة كما تقول بعض الأحاديث.

السكن:

يقول الشيطان: إن لي وطنين: الوطن الأوّل عدلت عنه ولا رجعة لي إليه عندما كنت في السماء مع الملائكة، والوطن الثاني هو الأرض.

عمل الشيطان:

عمل الشيطان هو غواية الإنسان، عمله هو إضلال الإنسان، على عكس الملائكة الذين عملهم هو هداية الإنسان: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ

أَجْمَعِينَ * إِلاَّ عِبادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾[١]، وهناك رواية عن الإمام الصادق عليه السلام يقول: «ما من قلب إلاّ وله أذنان، على أحدهما مَلَك مُرشد، وعلى الآخر شيطان مُفتن، هذا يأمره، وهذا يزجره»[٢].

ينبغي على الإنسان أن يحافظ على هذا القلب الجميل الذي هو سكن الله تبارك وتعالى، لأن الإنسان عندما يحشر يوم القيامة يُحشر بقلبه وليس بشكله المادي، وأن هذا القلب له أذنان، أي له سمعان، مرة يسمع حديث هداية ومرة يسمع حديث غواية، ولو أصغى الإنسان إلى النطق الخفيف للاحظ أن هناك صوت خفيف يدعوه إلى المعصية، ويوجد صوت آخر يدعوه إلى الهداية، والقلب يسمع الصوتين.

إن الأجهزة المختبرية غير قادرة على معرفة هذه الأشياء، وحتّى لو وُضع تلسكوب (هابل) فإنه غير قادر على اكتشافها، وقد يمكن لهذه الأجهزة أن تكشف جلطة القلب أو تصلب الشرايين فقط، ولكنها غير قادرة على كشف الشياطين ورؤيتها.

﴿إِنَّما يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ ما لا تَعْلَمُونَ﴾[٣].

(إنما) في اللغة العربية تسمى أداة حصر، يعني أن عمل الشيطان هو بث الفرقة والعداوة بين الناس فقط. وهدفه الوحيد هو تعكير الأجواء، يقول القرآن الكريم: ﴿إِنَّما يُرِيدُ الشَّيْطانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَداوَةَ وَالْبَغْضاءَ﴾[٤].

---

(١) ص:82 و83.
(٢) الكافي 2662/ باب أن للقلب أذنين.../ ح 1.
(٣) البقرة:169.
(٤) المائدة:91.

عدد أفراد أسرة الشيطان:

هو بعدد سكان الكرة الأرضية من الإنس والجن، يعني إذا كان عدد سكان الأرض (6) مليارات فعدد أفراد أسرة الشيطان (6) مليارات أيضاً، ويقول القرآن الكريم: ﴿وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴾[1]، ويقول: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾[2].

كل معصية يكون خلفها شيطان، فيصبح العدد كبير، وهذا معناه أنه يجب أن نأخذ حذرنا من الشياطين التي تدور حولنا وتعمل بشتى الطرق لإغوائنا وتضليلنا.

الروايات تقول: إن عدد الشياطين عندما تجتمع مثل مجموعة من الدبابير (الزنبور) حين تجتمع على الحلوى، وهكذا تجتمع الشياطين على المؤمنين[3].

نوع الشيطان:

هو عبارة عن طاقة سببية، مرةً تكون إنساً، ومرة تكون جنّاً، والقرآن الكريم يقول: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * إِلهِ النَّاسِ * مِنْ شَرِّ الْوَسْواسِ الْخَنَّاسِ * الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ * مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾[4].

(١) الشعراء:95.

(٢) الزخرف:36.

(٣) عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «إن الشياطين على المؤمنين أكثر من الزنابير على اللحم، ثمّ قال – هكذا بيده –: إلاّ ما دفع الله». الاختصاص:30 ؛ ونقله المجلسي في البحار 239:64، وقال: قوله: (هكذا بيده) كأنه عليه السلام أشار إلى جهة السماء اهـ. وفي معنى القول توسع.

(٤) الناس: 1 – 6.

ساحات عمل الشيطان:

ساحات العمل عند الشيطان ثلاثة، وهي: الأهواء، والإدراكات، والأفعال.

العنصر الأوّل: الأهواء، وهي مجموعة رغبات الإنسان ودوافعه الغريزية.

العنصر الثاني: الإدراكات، وهي مجموعة معلومات الإنسان التي يحصل عليها الإنسان من خلال أدوات الإدراك.

العنصر الثالث: الأفعال، مثل السير والنوم والأكل، والشيطان أحياناً يأكل مع الإنسان، ومرة ينام معه، حيث يقول القرآن الكريم: ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ﴾(١)، ويقول على لسان أيّوب: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾(٢).

أساليب الشيطان:

هناك مجموعة أساليب عند الشيطان:

1 ـ الخداع والتضليل، ﴿قالَ فَبِعِزَّتِك لأغوِيَنّهم أجمَعين﴾(٣).

2 ـ التزيين والتجميل، ﴿وإذ زَيّنَ لَهم الشّيْطانُ أعمالَهم﴾(٤).

3 ـ الإرهاب والتخويف، ﴿إنّما ذلكُمُ الشّيطانُ يخوّف أولياءَه﴾(٥).

إبليس يجمع جنوده:

وفي رواية عن الإمام الصادق عليه السلام يرويها الشيخ الصدوق في كتابه (مجالس الصدوق)، وهي عبارة عن مجالس رمضانية، حيث قال

---

(١) الإسراء:64.

(٢) ص:41.

(٣) ص:82 .

(٤) الأنفال:48.

(٥) آل عمران175.

عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لما نزل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا﴾(١)، صعد إبليس جبلاً بمكة يقال له (ثور)، فصرخ بأعلى صوته بعفاريته، فاجتمعوا إليه. فقالوا: يا سيدنا، لم دعوتنا؟ قال: نزلت هذه الآية، فمن لها؟ فقام عفريت من الشياطين، فقال: أنا لها بكذا وكذا. قال: لست لها. فقام آخر فقال مثل ذلك، فقال: لست لها. فقال الوسواس الخناس: أنا لها. قال: بماذا؟ قال: أعدهم وأمنيهم حتّى يواقعوا الخطيئة، فإذا واقعوا الخطيئة أنسيتهم الاستغفار، فقال: أنت لها، فوكله بها إلى يوم القيامة»(٢).

التوبة سلاح مضاد:

من أهم الأسلحة المضادة للشيطان هي (التوبة).

في رواية عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال: «لما أعطى الله إبليس ما أعطاه من القوة، قال آدم: يا رب، سلطت إبليس على ولدي، وأجريته منهم مجرى الدم في العروق، وأعطيته ما أعطيته، فما لي ولولدي؟ قال: لك ولولدك السيئة بواحدة، والحسنة بعشر أمثالها، قال: يا رب، زدني، قال: التوبة مبسوطة إلى أن تبلغ النفس الحلقوم، قال: يا رب، زدني، قال: أغفر ولا أبالي، قال: حسبي»(٣).

والحمد لله رب العالمين

* * *

---

(١) آل عمران: 135.

(٢) أمالي الصدوق: 551/736/5.

(٣) وسائل الشيعة: 16: 88/21055/5.

المحاضرة السابعة والخمسون:

فلسفة وجود الشيطان

«وَأعُوذُ بِكَ يَا رَبّ عَلَى نَفْسِي وَدِينِي وَمَالِي ،
وَعَلَى جَمِيعِ مَا رَزَقْتَنِي مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ».

بسم الله الرحمن الرحيم

ما زال الحديث عن قوله في الدعاء: «واكفني شرّ الشيطان»، وبالأمس بحثنا عن هوية الأحوال الشخصية لإبليس، من تاريخ خَلْقه، إلى النوع، إلى عدد أفراد الأسرة، إلى أسئلة أخرى سُجلت بالأمس وفقاً للفهم الديني وما لدينا من نصوص، باعتبار أن هذا المجال لا تستطيع المختبرات العملية أن تكتشفه، وإنما سبيلنا الوحيد في هذه المعلومات هو ما يأتينا عن أهل بيت الوحي عليهم السلام.

اليوم كما وعدناكم نكمل صفحات اضبارة إبليس الذي هو عدو للإنسان.

من المواد التي ذكرناها بالأمس هي:

المادة الأولى: وهي تاريخ الولادة لإبليس، والتي كانت قبل ولادة آدم بستة آلاف عام.

الثانية: السكن: موطنه الأصلي في السماء، وموطنه الثاني في الأرض.

الثالثة: الشغل: غواية الإنس والجان.

الرابعة: أفراد الأسرة: جنود بعدد الإنس والجن.

الخامسة: النوع: نوع إبليس، هل هو من الجن؟ وذريته الأصليين هم من الجن، ولكن ذريته بالتَبَع هم من الجن والإنس؛ لأنه يشارك الناس في أولادهم، كما قرأت لكم بالأمس بعض النصوص في هذا الشأن.

السادسة: ساحات العمل: الأهواء، والإدراكات، والأفعال.

أما في هذه الليلة وتكملة للموضوع نذكر بعض أساليب الشيطان وجنوده في غواية بني آدم.

أساليب الشيطان:

هي الأساليب التي يتحرك بها هذا العدو، وهذه الأساليب هي عبارة عن التزيين أحياناً، والمكر والخداع ثانيةً، وعبارة عن التخويف ثالثة.

إبليس وعيسى عليه السلام:

في الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «جاء إبليس إلى عيسى عليه السلام فقال: أليس تزعم أنك تحيي الموتى؟ قال عيسى: بلى، قال إبليس: فاطرح نفسك من فوق الحائط، فقال عيسى: ويلك، إن العبد لا يجرب ربه. وقال إبليس: يا عيسى، هل يقدر ربك على أن يدخل الأرض في بيضة والبيضة كهيأتها؟ فقال: إن الله تعالى لا يوصف بعجز، والذي قلت لا يكون، يعني هو مستحيل في نفسه كجمع الضدين»[1].

وهذه الأسلوب يتّبعه الشيطان دائماً مع البشر عن طريق أصدقاء السوء.

كنت أقرأ في صحيفة صادرة في بغداد، وفي وقتها استغربت من هذا الخداع الشيطاني، لكني لم أعلّق عليه في المحاضرات، هذه الصحيفة تقدم نصيحة للزوجة إذا رأت زوجها ينظر إلى النساء، حيث إن بعض الأزواج ينظر إلى غير زوجته من النساء، ونحن دينياً نقدم لمثل هذا الرجل نصيحة، وهي: ﴿قُلْ

(١) بحار الأنوار 14: 271.

لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبصارِهِمْ ﴾[1]، لكن لاحظوا الخداع الشيطاني الذي جاء عن طريق هذه الصحيفة وبشكل دقيق، يقول: (نصيحة للزوجة أنه إذا رأيتِ زوجك ينظر إلى النساء فأنتِ أيضاً أنظري إلى الشباب، فإذا سألك: لماذا تنظرين إلى الشباب؟ فقولي له: فلماذا أنت تنظر إلى النساء؟ وحينئذٍ سوف تنتهي المشكلة)، ولكن الواقع أن المشكلة ستتعقد، وهو سيولع بالنساء، وهي سوف تولع بالشباب، فإما أن تصير معركة داخلية، وهذا ما يريده الشيطان، وإما أنهم يستمرون بهذه المعصية وتتأزم الأمور أكثر وأكثر، وهذا ما يريده الشيطان أيضاً.

القدرة الحصانية للشيطان:

وصلنا إلى مفردة أخرى، وهي حجم الطاقة، والذي عبرنا عنه بالأمس بالقدرة الحصانية للشيطان.

القرآن الكريم يقول: ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطانِ كانَ ضَعِيفاً ﴾[2]، هذه القضية هي قضيّة نسبية في الفهم الديني، كيد الشيطان ضعيف، لكن إذا كنت أنت أضعف منه فسيكون عليك قوياً؛ لأن القضية نسبية، وإذا كنت أقوى منه فسوف ينشلّ الشيطان وتنتهي المشكلة.

الفهم الديني يقول إنه لا قدرة حصانية للشيطان: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * إِنَّما سُلْطانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴾[3]، فالقضية أصبحت نسبية، أمّا هو فليس لديه قدرة بحيث يسحب هذا أو ذاك.

---

(١) النور:30.

(٢) النساء:76.

(٣) النحل:99 و100.

تباعد الشيطان:

هناك رواية من المفيد أن أقرأها لكم _ طالما أصبحت القضية نسبية _ والتي تقول عن الإمام الصادق عليه السلام: «ألا أخبركم بشيء إن أنتم فعلتموه تباعد الشيطان كما تباعد المشرق من المغرب؟».

قالوا: بلى.

قال عليه السلام: «الصوم يسود وجهه، والصدقة تكسر ظهره، والحب في الله والموازرة في العمل يقطع دابره، والاستغفار يقطع وتينه»[(١)].

هذه في الحقيقة محاولات لقطع الحبل بين الشيطان وبين الإنسان وذلك يفسّر لنا معنى: ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً﴾[(٢)]، كان هذا جواباً على سؤال عن حجم الطاقة الحصانية لإبليس.

اسم الشيطان:

كان لدينا سؤال آخر هو في بداية هوية الأحوال الشخصية لإبليس، ما هو الاسم؟

الإمام الرضا عليه السلام يقول: «إنما سُمّي إبليس إبليساً لأنه أبلس من رحمة الله عز وجل»[(٣)]. أي: يئس من رحمة الله.

فلسفة وجود الشيطان:

وصلنا إلى سؤال رقم عشرة، وهو: فلسفة وجود الشيطان، وهو سؤال عريض: لماذا خلق الله تعالى الشيطان؟

---

(١) الكافي 4:62/ باب ما جاء في فضل الصوم والصائم/ ح 2.

(٢) النساء:76.

(٣) معاني الأخبار138/ باب معنى إبليس/ ح 1.

هناك اتجاهان: اتجاه للعلماء الأشاعرة السُنّة، وهو الاتجاه الأشعري.

وهناك اتجاه لدى علماء الشيعة، وهو الاتجاه الذي يحلّل ويحاول اكتشاف فلسفة القضايا وفق النصوص المعتبرة.

أما مذهب الأشاعرة فإنه يدعو إلى أن نتعبد بالأمور ولا نسأل، وهذا سؤال ممنوع؛ لأن الله ﴿لا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾[1]، ونحن ليس لدينا جواب لهذا السؤال.

طبعاً هنا جاء علماء الشيعة وقدّموا جواباً لهذا السؤال وفقاً لنصوص أهل البيت عليهم السلام، ووفقاً للتحليل الفلسفي، وكانت عباراتهم في أكثر من صورة.

جزء مقوّم لنظام الإنسان:

ويمكن أن نلخصها بشيء واحد وهو: أن خَلْق الشيطان جزء مقوم لنظام الإنسان الكوني، ولولا عنصر الشيطان لم يبرز عنصر الرحمن في الإنسان، فمثل ذلك مثال الموجب والسالب لا بدَّ من وجودهما لتحقق الضوء، الشيطان يوجد حيث كانت هناك إرادة، وحيث كانت هناك شهوة، فالشيطان هو الوجه الآخر لإرادة الإنسان وشهواته.

مثال آخر هو شرطة المرور، حيث يضعون بعض المطبّات في بداية الحي السكني أو مدرسة أطفال؛ وذلك لتخفيف سرعة السير، هذا المطب في وجه من الوجوه هو خيرٌ عظيم، حيث لولاه لكان من الممكن أن يُدهس طفل خارج من المدرسة أو عائلة في هذا الحي

(١) الأنبياء:23.

السكني، ولو لم يضع شرطة المرور هذه المطبّات لاحتج عليهم سائقوا السيارات وطلبوا وضعها لتخلصهم من حوادث أكيدة، لكن في نفس الوقت فإن هذه المطبّات تؤدي في أحيان كثيرة إلى زعزعة بنية السيارة وإلى مشاكل كثيرة فيها. لاحظوا هذه المطبّات هي مؤذية، لكنها خيرٌ لا بدَّ منه، الشيطان في الحقيقة بمثابة هذه المطبّات في الطريق، وإذا عرفنا أن مطبّات الشيطان موجودة هناك أو هناك حينئذٍ سوف نتوقف أو نُخفّض السرعة، القرآن لديه تعبير جميل، حيث يقول: ﴿لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾[1]، فالشيطان يقول أنا أقعد في الصراط المستقيم، فإذا انتبه إليَّ الإنسان فإنه سوف ينجو بعد أن يأخذ حذره، أمّا إذا لم يأخذ حذره فسينزلق، فأنا في الحقيقة ضرورة لتنظيم عملية السير.

يقول علماؤنا _ كالعلامة الطباطبائي، حيث له بحث جيد في المجلد الثامن من كتابه (تفسير الميزان)، وهكذا سائر المفسّرين _: إن وجود الشيطان الدّاعي إلى الشر والمعصية هو من أركان نظام العالم الإنساني الذي إنما يجري على سُنّة الاختبار ويقصد سعادة النوع[2].

وهناك بحث فلسفي أعمق في أصل خلق الشيطان، وهو أنه متى وكيف خُلِق؟

حينما خلق الله تعالى آدم وخلق لديه عنصر الإرادة وعنصر الشهوة، حينها جاء فيروس إبليس الذي يحتاج إلى هذين العنصرين، وهذا الفيروس يأتي لكل البشر من بني آدم، وكما شرحنا بالأمس

---

(١) الأعراف:16.

(٢) راجع: تفسير الميزان 8: 37 و38.

الشيطان هو فيروس معنوي، إذن هو خلق متزامن مع الإنسان ومكمّل لحركته، ولهذا لولا الشيطان لما كانت النار ولولا كانت النار لما كانت الجنّة، لولا الشيطان لما كانت معصية، ولولا المعصية ما كانت الطاعات، حينما يدخل الناس الجنّة فبطاعاتهم التي تمثل نجاحهم في الاختبار، والشيطان يمثل الاختبار.

لاحظوا القرآن ماذا يقول، الشيطان هو عبارة عن اختبار القدرة، أي قدرة الإنسان على السيطرة على نفسه وعلى الطاعة، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾[(١)].

هناك نقاط ينجح فيها الشيطان، وهي نقاط صعبة في الامتحان، لكن إذا كان الإنسان عازماً على مواجهة الشيطان فإنه سينجح في هذا الامتحان.

إبليس ونوح عليه السلام:

في رواية للإمام الصادق عليه السلام قال: «لما هبط نوح عليه السلام من السفينة أتاه إبليس فقال له: ما في الأرض رجل أعظم منّة عليَّ منك، دعوت الله على هؤلاء الفسّاق فأرحتني منهم، ألا أعلمك خصلتين:

إيّاك والحسد، فهو الذي عمل بي ما عمل.

وإياك والحرص فهو الذي عمل بآدم ما عمل»[(٢)].

هذه في الحقيقة بركات أئمّتنا عليهم السلام الذين علّمونا أن الحسد والحرص هما مرضان خطيران.

---

(١) سبأ:21.

(٢) الخصال:61/50.

في رواية أخرى عن الباقر عليه السلام قال: «لما دعا نوح عليه السلام ربه عزّ وجلّ على قومه أتاه إبليس لعنه الله، فقال: يا نوح، إن لك عندي يداً أريد أن أكافئك عليها، فقال نوح: والله إني لبغيض إليَّ أن يكون لك عندي يد، فما هي؟ قال: بلى، دعوتَ الله على قومك فأغرقتهم فلم يبق أحد أغويه، فأنا مستريح حتّى ينشأ قرن آخر فأغويهم. فقال له نوح: ما الذي تريد أن تكافئني به؟ قال له: أذكرني في ثلاثة مواطن، فإني أقرب ما أكون إلى العبد إذا كان في إحداهن: أذكرني إذا غضبت، واذكرني إذا حكمت بين اثنين، واذكرني إذا كنت مع امرأة خالياً ليس معكما أحد»[1].

لون بشرة الشيطان:

ننتقل إلى مادة أخرى في هوية الأحوال الشخصية لإبليس، وهي: ما لون بشرته؟

والجواب: إنه عديم اللون: ﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ﴾[2]، ورغم أنه عديم اللون، فإن لديه القدرة بأن يتجسّد، كما في حالة بعض الحيوانات البارعة في تلوين جسمها بشكل عجيب، وفي عدة مرّات إبليس تجسَّد وظهر بشكله الحقيقي، وأحد تلك المرّات حينما تجسّد لإبراهيم عليه السلام في المناسك المسمّاة اليوم برمي الجمرات في منى، فبينما كان إبراهيم عليه السلام في مناسك الحج تجسَّد له إبليس، فرماه إبراهيم عليه السلام بسبع حَصيّات فانهزم، ثمّ ظهر على بُعد خمسين متراً فرماه إبراهيم عليه السلام بسبع حَصيّات أخرى، فاختفى في بطن الأرض، وظهر في

---

(١) الخصال: 132، 140.

(٢) الأعراف: 27.

مكان يُسمى اليوم بالجمرة الثالثة، وهنا رماه إبراهيم عليه السلام بسبع حصيات، فاختفى إلى الأبد، هذا هو تجسّد إبليس(١).

وظهر في موضع آخر يذكره المفسرون: في معركة بدر، حيث قريش ومعها أنصارها، وإذا بشخص من بني كنانة اسمه سراقة بن مالك الذي يبدو أنه يومئذٍ كان شخصية محترمة، وإذا به يأتي يحرض قريش ويقول لهم: ﴿لا غالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جارٌ لَكُمْ﴾(٢)، ففرح الكافرون من قريش بهذا الحليف القوي، بينما كانت العملية عملية خداع، وهذا هو دور إبليس حين تجسّد في شخصية سراقة بن مالك بن جشعم من بني كنانة، فلما وقعت الواقعة واشتبك الطرفان: ﴿نَكَصَ عَلى عَقِبَيْهِ وَقالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرى ما لا تَرَوْنَ﴾(٣)، وهنا تقول الروايات: أن جبريل عليه السلام هو الذي شدّ عليه، فغاص في عمق البحر، ولما انتهت المعركة ورجعوا إلى مكّة رأوه جالساً في بيته، فقالوا له: لماذا خدعتنا يا سراقة بن مالك ثمّ انهزمتَ عنّا في وسط المعركة؟

فقال: والله ما شعرت بمسيركم حتّى بلغني هزيمتكم.

قالوا: بلى أنت وعدتنا، وقلت: إنّي جارٌ لكم.

فحلف لهم أنه لم يكن هو، فلما أسلموا علموا أن ذلك كان الشيطان(٤).

وفي مرة أخرى _ كما في الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام _ ظهر إبليس إلى يحيى بن زكريا عليه السلام، وإذا عليه معاليق من كل شيء.

---

(١) أنظر: تفسير القمّي 2:242؛ وجامع البيان 23:95.

(٢) الأنفال: 48.

(٣) الأنفال: 48.

(٤) أنظر: التبيان 5:135؛ وتفسير مجمع البيان 4:477.

فقال له يحيى عليه السلام: ما هذه المعاليق؟

فقال: هذه الشهوات أصيب _ أي: اصطاد _ بها ابن آدم.

قال يحيى عليه السلام: فهل لي منها شيء؟

قال إبليس: ربما شبعتَ فشغلناك عن الصلاة والذكر.

فقال يحيى عليه السلام: لله عليَّ أن لا أملأ بطني من طعام أبداً.

فقال إبليس: وأنا أيضاً لله عليَّ أن لا أنصح مسلماً أبداً[1].

بقيت لنا أربع مفردات في هوية الأحوال الشخصية لإبليس، اسمحوا لي أن أذكرها سريعاً بدون تعليق:

المنافذ الحدوديّة لإبليس:

ما هي المنافذ الحدودية لإبليس؟ أي كيف يدخل إبليس إلى قلب ابن آدم؟

المنافذ الحدودية هي إرادة الإنسان نفسه، وإذا سيطر الإنسان على هذا المنفذ فإن إبليس لا يستطيع النفاذ إلى قلب ابن آدم.

طريق الخلاص:

ما هو طريق الخلاص منه؟

الجواب: هو الارتباط بالله تعالى.

وفي الرواية عن الإمام الرضا عليه السلام: «إذا خرجت من منزلك في سفر أو حضر فقل: (بسم الله، آمنت بالله، توكلت على الله ما شاء الله، لا حول ولا قوّة إلاّ بالله)، فتلقاه الشياطين فتنصرف، وتضرب الملائكة

---

(١) بحار الأنوار 52/216/60.

وجوهها وتقول لهم: ما سبيلكم عليه وقد سمّى الله وآمن به وتوكل عليه وقال: ما شاء الله، لا حول ولا قوّة إلاّ بالله»[(١)].

رواية أخرى عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «... إن الرجل إذا دنا من المرأة وجلس مجلسه حضره الشيطان، فإن هو ذكر اسم الله تنحى الشيطان عنه، وإن فعل ولم يسمّ، أدخل الشيطان ذَكَره، فكان العمل منهما جميعاً، والنطفة واحدة...»[(٢)].

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «إذا أكلت الطعام فقل: (بسم الله) في أوّله وآخره، فإن العبد إذا سمّى قبل أن يأكل لم يأكل معه الشيطان، وإذا لم يسمّ أكل معه الشيطان، فإذا سمّى بعد ما يأكل وأكل الشيطان معه تقيأ الشيطان ما كان أكل»[(٣)].

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «إذا توضأ أحدكم ولم يسمِّ كان للشيطان في وضوئه شرك»[(٤)].

رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «إذا بلغ أحدكم باب حجرته فليسلِّم، فإنه يفرّ الشيطان»[(٥)].

وعنه صلى الله عليه وآله قال: «إذا انكشف أحدكم لبول أو غير ذلك فليقل: (بسم الله)، فإن الشيطان يغض بصره»[(٦)].

---

(١) الكافي 544:2/ باب الدعاء إذا خرج الإنسان من منزله/ ح12.

(٢) وسائل الشيعة1/25172113:20.

(٣) الكافي 294:6/ باب التسمية والتحميد والدعاء على الطعام/ ح11.

(٤) وسائل الشيعة 12/111542:61.

(٥) بحار الأنوار357:73.

(٦) وسائل الشيعة 4/808307:1.

المناخ المناسب للشيطان:

ما هو المناخ المناسب الذي يترعرع فيه فيروس إبليس؟

في الجواب على ذلك أقرأ لكم رواية، وهي:

قال موسى عليه السلام لإبليس: أخبرني بالذنب الذي إذا أذنبه ابن آدم استحوذت عليه؟

قال إبليس: إذا أعجبته نفسه، واستكثر عمله، وصَغُر في نفسه ذنبه[١].

ساعة الذروة:

ما هي ساعة الذروة لحركة إبليس؟

الجواب: الإمام الصادق عليه السلام يقول: «ما من أحدٍ يحضره الموت إلاّ وَكَّلَ به إبليس من شياطينه من يأمره بالكفر ويشككه في دينه، فإذا حضرتم موتاكم فلقنوهم شهادة أن لا إله إلاّ الله وأن محمّداً رسول الله، حتّى يموتوا» [٢]. لأنه في ساعة معركة مع الشياطين، وهو بحاجة إلى إسنادكم عبر عملية التلقين.

والحمد لله رب العالمين

* * *

---

(١) مستدرك الوسائل 1/134/ 4/1322.

(٢) من لا يحضره الفقيه 1/350/133.

المحاضرة الثامنة والخمسون:

فلسفة الشر في عالم الدنيا

«اللَّهُمَّ إِنِّي أعُوذُ بِكَ مِنَ الْكَسَلِ ، وَالْفَشَلِ ، وَالْهَمِّ ، وَالْجُبْنِ ، وَالْبُخْلِ ، وَالْغَفْلَةِ ، وَالْقَسْوَةِ ، وَالذِّلَّةِ ، وَالْمَسْكَنَةِ، وَالْفَقْرِ، والفاقةِ، وَكُلِّ بَلِيَّةٍ».

بسم الله الرحمن الرحيم

الحديث عن فلسفة الشر في الدنيا، كالأمراض، والموت، فقد الأحبّة، الفقر، المجاعات، الفيضانات، الخلافات الدنيوية الكثيرة، الحوادث الكونية، السجون، حتّى أصبحت الدنيا دنيا بؤس وشقاء لكثير من الناس.

هذا سؤال عريض وواسع، ما هو الشر؟ وما هي فلسفة خلق الشر؟ أليس الله قادر على كل شيء، فلماذا لا يخلق الله دنيا بلا شر! وبلا مشاكل، وبلا أمراض، والناس يعيشون بها سعداء كالجنّة؟ وإذا كان ذلك ممكناً فلماذا خلق الله دنيا قائمة على الشرور، وصراع الحقّ والباطل، والخير والشر؟

الرؤية الدينية لديها إجابة على هذا السؤال؟

ثلاث مدارس فلسفيّة:

هناك ثلاث مدارس فلسفية:

المدرسة الأولى: المدرسة اللاّأدرية:

لماذا خُلقنا؟ لا أدري.

لماذا نموت؟ لا أدري.

لماذا نمرض؟ لا أدري.

هذه فلسفة أن نقول: لا أدري، والإجابة على جميع تلك الأسئلة بكلمة: لست أدري!

وهذه الفلسفة تقول: إن عالم الخلق أكبر منّا، والأفضل أن نقول: لا أدري؟

المدرسة الثانية: فلسفة الفوضى والعبث:

وهي التي تقول: لماذا نبحث عن حكمة لكل شيء؟، هذا ركام من الحجارة والأنقاض، فأنت لا تسأل عن هذا الركام، هذه الفلسفة تقول: إن الكون كله عبارة عن أنقاض أصبحت بهذا الشكل.

لماذا نحيا ونموت؟ ليست الأمور خاضعة للحكمة والهندسة حتّى نبحث عن هندسة الأشياء وحكمتها، نحن نواجه كوناً عبثياً، وفي حالة الفوضوية ينقطع السؤال، أنت تسأل العاقل: لماذا تلبس هذه الملابس؟ ولكن المجنون يخرج عارياً في الشتاء ويلبس ملابس الشتاء في الصيف، وأنت لا تسأله؛ لأنه مجنون، العارف الحكيم فقط هو الذي يُسأل، وحيث لم يكن هناك عقل في هذا الوجود، إذن لا مبرر للسؤال عن فلسفة الخير أو فلسفة الشر.

المدرسة الثالثة: فلسفة الحكمة والعدالة والرحمة:

وهي الفلسفة التي تؤمن بها الأديان الإلهية. إن هذا الكون بما فيه من شرور، موت، ومرض، وآلام، ومِحَن، وفراق، كل ذلك قائم على أساس الحكمة، والعدالة، والرحمة.

ثلاثة قوانين: الحكمة، والعدالة، والرحمة، هذا الكون مخلوق وفق هندسة ذات مبادئ ثلاث:

أوّلاً: الحكمة، حيث إن كل شيء بدون هدف وحكمة لا يخلفه الله، ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدارٍ﴾(١)، ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْناهُ بِقَدَرٍ﴾(٢).

---

(١) الرعد: 8.

(٢) القمر: 49.

ثانياً: العدالة، كل شيء في هذا الكون يجري وفق عدالة ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً﴾(١).

ثالثاً: الرحمة، إن الله ليس فقط حكيماً، وليس فقط عادلاً، وإنما هو رحيم، فلا يخلق شيء إلاّ إذا كان رحمة لذلك المخلوق. في عملية الخلق توجد رحمة لكل المخلوقين، ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾(٢).

وعلى هذا الأساس ينفتح مجال السؤال عن حكمة وجود الشر في الكون، الإسلام لا يغلق أفواه الناس، ولا يقول لهم: لا تسألوا.

بل يقول: اسألوا، بخلاف نظرية اللاأدرية التي تقول: لا تسألوا.

أنواع السؤال:

لاحظوا هنا أربعة أنواع للسؤال:

أوّلاً: السؤال الاستنكاري:

يعني تسأل، ولكن الغرض هو الإنكار على الطرف الآخر، مثلاً إبليس حينما سأل الله تعالى سؤالاً استنكارياً اعتراضياً قال: ﴿أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً﴾(٣)، هو بصيغة سؤال، لكن الغرض هو الاعتراض على الله تعالى.

هذا السؤال الاعتراضي مرفوض في الشريعة الإسلاميّة.

ثانياً: السؤال الاستفهامي:

يعني أنت لا تعلم وتريد أن تعلم، تسأل الطبيب لماذا استعمل هذا الدواء؟ مثل سؤال الملائكة حينما أمرهم الله تبارك وتعالى بالسجود

---

(١) الكهف:49.

(٢) الأعراف156.

(٣) الإسراء:61.

لآدم، قالت الملائكة: ﴿أَتَجْعَلُ فِيها مَنْ يُفْسِدُ فِيها وَيَسْفِكُ الدِّماءَ﴾(١)، هنا الملائكة لم يعترضوا على الله، وإنما قالوا: نحن لا نعرف ما هي فلسفة خلق الإنسان، فأجابهم الله تعالى: ﴿قالَ إِنِّي أَعْلَمُ ما لا تَعْلَمُونَ﴾(٢).

ثالثاً: السؤال الاستعطائي:

وهو سؤال الفقير للغني: أعطني! هذا سؤال استعطاء، هذا السؤال مستحب ﴿وَسْئَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾(٣)، مُدّوا أيديكم بالدعاء.

رابعاً: السؤال الاستجوابي التحقيقي:

وهو سؤال القاضي للمتهم في المحكمة، يسأله سؤال إدانة واتهام، هذا النمط من السؤال لا يجوز مع الله تعالى، كأن نجعل الله تعالى متهماً، كأن نقول له مثلاً: إلهي لماذا لم ترزقني؟

وفي هذا السياق جاء قوله تعالى: ﴿لا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ﴾(٤).

هل المقصود أن لا نسأله سؤال الاستعطاء؟ كلا؛ لأن سؤال الاستعطاء مستحب، كما جاء في القرآن سؤال الاستعطاء بقوله: ﴿وَهَبْ لَنا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾(٥)، وقوله: ﴿قالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾(٦)، وقوله: ﴿رَبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾(٧).

(١) البقرة:30.
(٢) الآية السابقة.
(٣) النساء:32.
(٤) الأنبياء:23.
(٥) آل عمران:8 .
(٦) طه:25.
(٧) طه114.

هل هو نفي السؤال الاستفهام في مَنّ الله تعالى؟

هذا أيضاً لا بأس به؛ لأن الاستفهام وطلب المعرفة أمر مقبول في الشريعة، كما جاء في سؤال الملائكة ربهم عن فلسفة خلق آدم.

وإنما المقصود بقوله: ﴿لا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾[١]، هو السؤال الاستنكاري الاعتراضي على الله تعالى، هذا هو السؤال الممنوع.

السؤال العلمي غير ممنوع:

ولكن من حقك أن تسأل سؤالاً علميّاً، كما قال موسى عليه السلام: «يا رب أقريب أنت مني فأناجيك، أم بعيدٌ فأناديك؟»[٢]، هذا السؤال ليس فيه إشكال، إلهي أين أنت؟ متى ألتقي بك؟ كيف أدعوك؟ كيف أناجيك؟ بأيّ لسان أناديك؟ ليس فيه إشكال، ولهذا فإنه لا مشكلة في أن نسأل الله أسئلة علميّة؛ لأن الإسلام يغذّي فينا الروح العلمية، ويريد أن نعرف الكثير من الحقائق، حينما سألوا رسول الله صلى الله عليه وآله عن الروح ﴿وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾[٣]، لم يقل الله إن هذا السؤال حرام، بل قال الله تعالى لنبيّه: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾[٤].

السؤال العلمي هو سؤال غير مرفوض، ولهذا نحن في مدرسة أهل البيت عليهم السلام وهي المدرسة الصحيحة في فهم الإسلام لا نرفض كلمة (لماذا)؟ حينما لا تكون اعتراضاً على الله، وإنما لطلب المعرفة، بينما نجد

---

(١) الأنبياء:23.

(٢) الكافي 4962/ باب ما يجب من ذكر الله عز وجل في كل مجلس/ ح 4.

(٣) الإسراء:85.

(٤) الإسراء:85.

أن (مدرسة الأشاعرة)، وهي مدرسة فكرية لأهل السُنّة، وهم أتباع (أبو الحسن الأشعري) ترفض سؤال لماذا؟

ولهذا نجد أن الفخر الرازي في كتابه (التفسير الكبير)، وهو من كبار علماء أهل السُنّة، ينقل عن الشهرستاني صاحب كتاب (الملل والنحل)، وهو أيضاً مؤرخ كبير من مؤرخي أهل السُنّة يقول:

إن إبليس سأل الله تعالى سبعة أسئلة، وكانت مشكلة إبليس هي هذا السؤال بـ (لماذا). ويقول الرازي: لو اجتمع الإنس والجن من الأوّلين والآخرين على أن يجيبوا إبليس على أسئلته لما استطاعوا.

أسئلة إبليس:

إلهي لماذا خلقتني وأنت تعلم أن مصيري سيكون نار جهنم؟

لماذا كلفتني بالطاعة وأنت تعلم أني أعصي؟

لماذا كلَّفتني بالسجود لآدم وأنت تعلم أني سأعصي؟

لماذا فتحت لي باب الجنّة حتّى أوسوس لآدم وأوقعه في الخطيئة، ولو باعدت بيني وبينه لم تصدر منه ولا مني تلك المعصية؟

لمّا أخرجتني من الجنّة وأهبطتني إلى الأرض، لماذا سلَّطتني على بني آدم؟

لماذا أمهلتني هذه المدة الطويلة، ولو أحييتني زمناً قليلاً لكان عدد المعاصي قليلاً، لكن أمهلتني هذا العمر الطويل؟ ﴿قالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ إِلى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾[1].

(١) الحجر: 37 و38.

لماذا مكَّنتَني من قَلب ابن آدم ووفَّرت لي السُبل التي أخدع بها ابن آدم؟

يقول الشهرستاني: إن الله تعالى أوحى له قال: «يا إبليس، إنك ما عرفتني ، ولو عرفتني لعلمت أنه لا اعتراض عليَّ في شيء من أفعالي فإني أنا الله لا إله إلاّ أنا، لا أسأل عمّا أفعل»(١).

---

(١) قال الرازي في تفسيره الكبير 2362 و237: حكى محمّد بن عبد الكريم الشهرستاني في أوّل كتابه المسمى بـ(الملل والنحل) عن ماري شارح الأناجيل الأربعة وهي مذكورة في التوراة متفرقة على شكل مناظرة بينه وبين الملائكة بعد الأمر بالسجود.

قال إبليس للملائكة: إني أسلّم أن لي إلهاً هو خالقي ، وموجدي ، وهو خالق الخلق ، لكن لي على حكمة الله تعالى أسئلة سبعة:

الأولى : ما الحكمة في الخلق؟ لاسيّما إن كان عالماً بأن الكافر لا يستوجب عند خلقه الآلام؟

الثاني : ثمّ ما الفائدة في التكليف، مع أنه لا يعود منه ضر ولا نفع وكل ما يعود إلى المكلفين فهو قادر على تحصيله لهم من غير واسطة التكليف؟

الثالث: هب أنه كلفني بمعرفته وطاعته فلماذا كلفني السجود لآدم؟

الرابع : ثمّ لما عصيته في ترك السجود لآدم فلِمَ لعنني وأوجب عقابي مع أنه لا فائدة له ولا لغيره فيه، ولي فيه أعظم الضرر؟

الخامس: ثمّ لما فعل ذلك فلِمَ مكنني من الدخول إلى الجنّة ووسوست لآدم عليه السلام؟

السادس: ثمّ لما فعلت ذلك، فلِمَ سلطني على أولاده ومكنني من إغوائهم وإضلالهم؟

السابع : ثمّ لما استمهلته المدة الطويلة في ذلك ، فلِمَ أمهلني . ومعلوم أن العالم لو كان خالياً عن الشر لكان ذلك خيراً.

قال شارح الأناجيل : فأوحى الله تعالى إليه من سرادقات الجلال والكبرياء : «يا إبليس، إنك ما عرفتني ، ولو عرفتني لعلمت أنه لا اعتراض عليَّ في شيء من أفعالي، فإني أنا الله لا إله إلاّ أنا لا أسأل عمّا أفعل».

فسؤالك دليل على عدم إيمانك، وهنا يقول علماء الأشاعرة: إن كل مشكلة في الدنيا جاءت من كلمة لماذا.

هذا الفهم غير مقبول عندنا، لأن باب السؤال مفتوح وباب الجواب أيضاً مفتوح طالما كان السؤال علمياً وليس اعتراضياً، ونحن قادرون على أن نعطي إجابة تحليلية، وحتّى إذا لم نكن نملك جواباً على السؤال فإن ذلك لا يسمح بإغلاق باب السؤال.

وحول أسئلة إبليس يقول العلامة الطباطبائي في تفسير (الميزان): إن الإجابة على أسئلة إبليس لا تحتاج إلى اجتماع الجن والإنس كما يقول الرازي، بل هناك إجابة علميّة دقيقة على تلك الأسئلة[1].

في الفهم الديني باب السؤال مفتوح.

ولهذا يأتي هذا السؤال: لماذا خلق الله الشر في العالم؟

لماذا خلق الله الموت؟

هناك مجموعة جاءوا إلى نبي من الأنبياء، قالوا: يا نبي الله، لماذا

⇦

⇨ قال الرازي: واعلم أنه لو اجتمع الأوّلون والآخرون من الخلائق وحكموا بتحسين العقل وتقبيحه لم يجدوا عن هذه الشبهات مخلصاً، وكان الكل لازماً، أما إذا أجبنا بذلك الجواب الذي ذكره الله تعالى زالت الشبهات واندفعت الاعتراضات، وكيف لا وكما أنه سبحانه واجب الوجود في ذاته واجب الوجود في صفاته، فهو مستغن في فاعليته عن المؤثرات والمرجحات، إذ لو افتقر لكان فقيراً لا غنياً، فهو سبحانه مقطع الحاجات، ومنتهى الرغبات، ومن عنده نيل الطلبات، وإذا كان كذلك لم تتطرق اللّمية إلى أفعاله، ولم يتوجه الاعتراض على خالقيته... انتهى.

(١) أنظر: تفسير الميزان 8: 45 ـ55. وقد أجاب ﷺ إجابة علمية ذات فائدة عظيمة.

خلق الله الموت وفقد الأحبة؟ اطلب من الله تعالى أن يَرفع عنّا الموت، فاستجاب لهم النبي ودعا الله، فرفع الله عنهم الموت. وبعد مدة أصبح كل واحد منهم مبتلى بأبيه وبجدّه وبجد جدّه وهكذا، فرجعوا إلى نبي الله وقالوا: أطلب من الله أن يعيد الموت إلينا كي نتخلص من هذه البليّة، فسأل اللهَ أن يعيد إليهم الموت، فاستجاب له وعادت الحياة طبيعية(١).

فلسفة خلق الشر:

ولنعُد إلى السؤال: لماذا خلق الله الشَر؟

الإجابة على ذلك بما يلي:

أوّلاً: إن الشر أمرٌ نسبي، وليس أمراً مطلقاً، عندما تأتي الأمطار فإن بعض الناس قد يتضرر من المطر، ولكن في مكان آخر ينتظر المزارعون المطر بفارغ الصبر، فهل تقول: إن المطر شرٌّ؟ أم هو خير؟

الجواب هو: أن القضية نسبية، هذا شر لك، لكن بالنسبة للآخر هو خير، كل شرّ هو من زاوية أخرى خير. لا يوجد شرٌ مطلق، وإنما دائماً هو ذو وجهين، أنت فقير والفقر شر بالنسبة لك، ولكن لو لم تكن فقيراً لما خرجت إلى العمل، وإذا لم تعمل فسوف تتوقف عجلة الحياة الاجتماعية. وهذا الكلام نفسه نطبّقه عندما نُصاب بزلزال وقحط وغير

---

(١) عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «إن قوماً فيما مضى قالوا لنبي لهم: ادع لنا ربك يرفع عنا الموت، فدعا لهم فرفع الله عنهم الموت، فكثروا حتّى ضاقت عليهم المنازل، وكثر النسل، ويصبح الرجل يطعم أباه وجدّه وأُمّه وجدّ جدّه ويوضيهم ويتعاهدهم، فشغلوا عن طلب المعاش، فقالوا: سل لنا ربك أن يردنا إلى حالنا التي كنّا عليها، فسأل نبيهم ربه فردهم إلى حالهم». الكافي 3/260/ باب النوادر/ ح36.

ذلك، فهو بالنسبة لنا شر، لكن لسنا وحدنا بالوجود، فلعلَّ الآخر يستمتع بالشر الذي أصابنا، إنه لا يوجد شر أكثر من قتل الإمام عليّ عليه السلام، لكن ماذا قال الإمام عليّ عليه السلام؟

قال: «فزت ورب الكعبة»[1]، فمن جانب الإمام عليّ عليه السلام كانت شهادته خيراً، والإمام عليّ عليه السلام كان يدعو قائلاً: «ما ينتظر أشقاها أن يخضب هذه بدم هذه» وضرب بيده إلى لحيته[2].

مقتل الإمام الحسين عليه السلام بالنسبة لنا ضرر كبير. لكن رسول الله ماذا قال للإمام الحسين عليه السلام، قال: «إن لك في الجنّة درجات لا تنالها إلاّ بالشهادة»[3].

ثانياً: إن الشر ضرورة لتبلور الخير؛ لأن الخير بدون شر لا يكون، كما لا يكون نور بدون ظُلمة، ولا عافية بدون مرض، فالخير هو عبارة عن مكافحة الشر، فلا بدَّ من وجود الشر، وأن هذا النظام الكوني لولا الشرور لما كان هناك خير، ولما كانت هناك سعادة.

يُحكى أن شخصاً ركب سفينة، وحين أبحرت في عمق البحر أصبح هذا الشخص يرتجف من الخوف، وكان في السفينة رجلٌ حكيم، فقال: ارموه في البحر، فلمّا رموه أصبح يستغيث خوفاً من الغرق ويسبح نحو السفينة، فلما أخرجوه أصبحت السفينة في نظره ملاذاً آمناً، هذا يعني أنه إذا لم يوجد شر فإنك لا تحس بالخير.

---

(١) مناقب آل أبي طالب 3851.

(٢) شرح نهج البلاغة 57:7.

(٣) أمالي الصدوق:217.

وهناك سؤال مطروح يقول: إن أهل الجنّة كيف يتمتعون بالجنّة وليس فيها شرور؟

إن أحد الأجوبة على هذا السؤال ـ كما يراه بعض الباحثين ـ أن الله يأمر الملائكة أن تفتح عليهم باب جهنم، فيعرفون قيمة هذه الجنّة، فلو أن أهل الجنّة لا يعرفون شيئاً اسمه جهنم فسوف لا يعرفون قيمة ما هم فيه[١].

التقارير تقول: في ألمانيا يوجد سنوياً خمسمائة ألف شاب يُقدِم على عملية الانتحار، وعالمياً هناك ست ملايين إنسان يموتون جوعاً، وهذه الشرور هي ضرورة لتبلور الخير وتكامل الحركة الإنسانية.

لاحظوا ماذا يقول القرآن؟

يقول: ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً﴾[٢]، فالعسر يمشي مع اليسر وليس بعده،

(١) في الرواية عن النبي ﷺ قال: «إن الميت يسمع خفق نعالهم إذا ولّوا مدبرين، فإن كان مؤمناً كانت الصلاة عند رأسه، وكان الصوم عن يمينه، وكانت الزكاة عن يساره، وكان فعل الخيرات من الصدقة والصلاة والصلة والمعروف والإحسان إلى الناس عند رجليه...» إلى أن قال ﷺ: «ثمّ يفتح له باب من قِبَل النار، فيقال له: أنظر إلى منزلك وإلى ما أعدّ الله لك لو عصيت، فيزداد غبطة وسروراً، ثمّ يُفتح له باب من قِبَل الجنّة، فيقال له: أنظر إلى منزلك وإلى ما أعدّ الله لك، فيزداد غبطةً وسروراً، وذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ (إبراهيم: 27) ... وإن كان كافراً أتىَ من قِبَل رأسه فلا يوجد شيء، ويؤتى عن يمينه فلا يوجد شيء، ثمّ يؤتى عن يساره فلا يوجد شيء، ثمّ يؤتى من قِبَل رجليه فلا يوجد شيء، فيقال له: اقعد، فيقعد خائفاً مرعوباً... ثمّ يُفتح له باب من قِبَل الجنّة، فيقال له: أنظر إلى منزلك وإلى ما أعدّ الله لك لو كنت أطعته، فيزداد حسرة وثبوراً...» الحديث. (أنظر: مستدرك الحاكم 3801).

(٢) الشرح: 6.

إذن هو متزامن معه، مما يعني أن كل شرّ يمشي معه الخير ولا ينفصل عنه.

ويقول: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإنسانَ فِي كَبَدٍ﴾(١)، بمعنى الصعوبة والمعاناة، لكن هذا الكبد هو ضرورة، حيث لولا تلك الصعوبات لما كنا نقوى على الحياة.

هناك قصيدة لإيليا أبي ماضي أقرأ لكم أبياتاً منها:

أيها الشاكي وما بك داءُ كيفَ تَغدوا إذا غدوت عليلا
إن شر الجناة في الأرض نفسٌ تتمنى قبل الرحيل الرحيلا
وترى الشوك في الورود وتعمى أن ترى فوقها الندى إكليلا
والذي نفسُهُ بغير جمالٍ لا يرى في الوجود شيئاً جميلا

لدينا رواية عن رسول الله ﷺ تقول: «لولا ثلاث في ابن آدم ما طأطأ رأسه شيء: المرض، والفقر، والموت، وكلهن فيه، وإنه معهنّ لوثّاب»(٢).

فهذا الفقر الذي نحسبه شراً هو خير، لننتبه إلى أن الدنيا ليست دار مقر، وإنما هي دار ممر، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «الدنيا دار ممر إلى دار مقر، والناس فيها رجلان: رجل باع فيها نفسه فأوبقها، ورجل ابتاع نفسه فأعتقها» (٣). وقال عليه السلام: «إنما الدنيا دار مجاز، والآخرة دار قرار، فخذوا من ممركم لمقركم»(٤).

فلو كانت الدنيا خيراً عميماً فسوف لا نذكر الموت ولا نعمل للآخرة.

ومع أن الشر الذي يصيبنا هو خير من زاوية أخرى، لكن الإسلام

---

(١) البلد: 4.
(٢) بحار الأنوار69:53.
(٣) نهج البلاغة 4:133/33.
(٤) نهج البلاغة 2:183/203.

مع مواجهة الشر وتقليص دائرته، كما في قصة خلاّدة قرينة نبي الله داود عليه السلام في الجنّة كما وردت في الرواية عن الصادق عليه السلام قال:

«أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: إن خلاّدة بنت أوس بشّرها بالجنّة ، وأعلمها أنها قرينتك في الجنّة ، فانطلق إليها فقرع الباب عليها ، فخرجت وقالت : هل نزل فيَّ شيء ؟ قال : نعم ، قالت : وما هو ؟ قال : إن الله تعالى أوحى إليَّ وأخبرني أنك قرينتي في الجنّة، وأن أبشّرك بالجنّة ، قالت : أو يكون اسم وافق اسمي ؟ قال : إنك لأنت هي ، قالت : يا نبي الله ما أكذبك ، ولا والله ما أعرف من نفسي ما وصفتني به. قال داود عليه السلام: أخبريني عن ضميرك وسريرتك ما هو ؟ قالت : أما هذا فسأخبرك به ، أخبرك أنه لم يصبني وجع قط نزل بي كائناً ما كان ، وما نزل ضرّ بي حاجة وجوع كائناً ما كان إلاّ صبرت عليه، ولم أسأل الله كشفه عني حتّى يحوله الله عني إلى العافية والسعة ، ولم أطلب بها بدلاً ، وشكرت الله عليها وحمدته. فقال داود عليه السلام: فبهذا بلغتِ ما بلغتِ».

ثمّ قال أبو عبد الله عليه السلام: «وهذا دين الله الذي ارتضاه للصالحين»[1].

ربما نقول أن هذا النحو من الصبر والاستسلام الذي كانت عليه خلاّدة هو خطأ من وجهة نظر الإسلام، إذ المطلوب هو العمل والدعاء للخلاص من المرض والفقر وسائر الصعاب.

والحمد لله رب العالمين

---

(١) بحار الأنوار39:14.

* * *

المحاضرة التاسعة والخمسون:

عالم البرزخ، حقيقته وأحكامه

«فَمَا لِي لا أبْكِي ! أبْكِي لِخُرُوج نَفْسِي ، أبْكِي لِظُلْمَةِ قَبْري ، أبْكِي لِضِيقِ لَحْدِي ، أبْكِي لِسُؤَالِ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ إِيَّايَ».

بسم الله الرحمن الرحيم

الحديث هذه الليلة عن عالم ما بعد الدنيا، واسمه عالم البرزخ، وهو عالم ما بين الدنيا والآخرة، وهو عالم وسطي انتقالي.

مواطن الإنسان:

يقول علماء الإسلام: إن الإنسان له ستّة مواطن، ونحن الآن في الموطن الثالث، حيث هناك مواطن سبقت، ومواطن ستأتي:

الموطن الأوّل: الذي كان يمثل بداية المسيرة البشرية، ويسميه العلماء في المصطلح العرفاني موطن (أَلَسْتُ)، هذه الكلمة قد تكون بالنسبة لكم غريبة، ولكن هي في الحقيقة مأخوذة من قوله تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾[1]، هذا العالم وحسب التسمية الأخرى هو (عالم الذر)، والتسمية الأخرى (عالم الميثاق)، وبالتسمية الفلسفية العرفانية يسمّى عالم (أَلَسْت)، وهذا العالم يمثل بداية الخليقة، حيث إن الله تعالى أوّل ما بدأ الخليقة أخرجهم من ظهر آدم في عالم السديم، أو عالم الذر، أو سَمّه ما شئت، أخرج بني آدم كلّهم من ظهور الأصلاب، وأشهدهم على أنفسهم، ويومئذٍ البشر وهم في ذلك العالم كالسحابة البشرية المليارية، ونحن فيه ذرات صغيرة، في ذلك العالم الله تبارك وتعالى خاطب ذلك السحاب البشري: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾.

---

(١) الأعراف172.

هذا الموطن يُسمّى موطن (أَلَسْت)، وهو الموطن الأوّل، موطن عالم الذر.

الموطن الثاني: ثمّ انتقل الإنسان إلى موطن ثانٍ هو موطن أصلاب الرجال وأرحام الأُمّهات، أصبحنا نحن ننتقل من صلب إلى رحم، حتّى وصلنا إلى يوم ولادتنا في هذه الدنيا، هذا التسلسل الانتقالي البشري من آدم إلى اليوم هو موطن ثانٍ، صحيح أننا ولدنا في هذا الزمان، لكن أصولنا البشرية كانت موجودة وتتقلَّب بين الأصلاب والأرحام، وكانت جميع خصائصنا موجودة فيها.

كانت شخصيتنا تمر عبر استنساخ بشري خلال آلاف السنين من آدم وحوّاء حتّى ظهرت في عالم الدنيا، ولكنها كانت موجودة في تلك الجُزيئات التي تنتقل بين أصلاب الرجال وأرحام الأُمّهات، ولهذا نقرأ في زيارة الإمام الحسين عليه السلام: «أشهد أنك كنتَ نوراً في الأصلاب الشامخة والأرحام المطهرة»[1]، أي أنك يا أبا عبد الله كنت نوراً على طول الطريق.

الموطن الثالث: انتقلنا من عالم الأصلاب والأرحام إلى عالم الدنيا التي هي كالمهد أو الفراش للإنسان، أو كالبيت المستأجر، وفي أيّ لحظة يأتي صاحبه ويقول للإنسان: أخرج، الموطن الثالث هذا هو موطن استئجاري ومعبر كما يقول الإمام عليّ عليه السلام: «الدنيا دار مَمَر إلى دار مَقر»[2].

---

(١) بحار الأنوار98/200.

(٢) نهج البلاغة 4/133:33.

الموطن الرابع: هو مرحلة البرزخ، أو موطن القبر، ويمتد إلى يوم القيامة، فقد يطول ألف سنة، أو ملايين السنين، ونحن لا ندري، إلاّ أن الفكر الديني يقول: إن الانتقال من الدنيا إلى الآخرة لا يتم عبر عملية قفزة، وإنما عبر عملية تدريجية، مثل عملية تكوّن الإنسان، فإنها لم تتم عبر كلمة: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾(١)، وإنما عبر عملية تدريجية ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ﴾(٢)، انتقال الإنسان من عالم الدنيا إلى عالم الآخرة يَمُر أيضاً بعملية تدريجية، هذه العملية التدريجية التمهيدية في الفكر الديني تُسمّى عالم البرزخ، القرآن الكريم يقول: ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾(٣)، هذا هو الموطن الرابع، وهو موطن البرزخ.

الموطن الخامس: موطن الحشر في عرصات القيامة، التي لا ندري كم تطول، والقرآن يقول: ﴿وَإِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾(٤)، فربما يستغرق ذلك العالم آلاف أو ملايين السنين.

الموطن السادس: عند تمايز الفريقين: ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾(٥).

بعض النصوص، وهكذا بعض العلماء يرون أن هناك موطناً سابعاً اسمه موطن الكَثيب، أو موطن الكثبان، هذا هو مقام فوق مقام الجنّة، الرواية تقول:

---

(١) البقرة:117.

(٢) المؤمنون:14.

(٣) المؤمنون:100.

(٤) الحج:47.

(٥) الشورى: 7.

«إن لله جَنَّة ليس فيها حور، ولا قصور، ولا لبن، ولا عسل، بل يتجلى فيها ربنا ضاحكاً مبتسماً»[١]. وهو أمر لا يمكن معرفته بالنسبة لنا.

عالم البرزخ:

ومهما يكن الحال في هذا الموطن، فإن حديثنا الليلة عن موطن عظيم، طويل المدى، خَطِر، مَهول، مليء بنقاط الوحشة والتوتر والاستفزاز، هذا الموطن اسمه عالم البرزخ، أي عالم القبر وما في القبر.

هذه المسألة يُجمع عليها الفكر الديني، ولدينا آية واحدة تقول: ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[٢]، لكن الفكر الديني يعتبر هذه المسألة من البديهيات الدينيّة.

وهنا رواية جميلة عن سائل يسأل الإمام الصادق عليه السلام، حيث يقول له: سمعتك تقول: «كل شيعتنا في الجنّة على ما كان فيهم»؟

قال عليه السلام: «صَدَقْتُك، كلهم والله في الجنّة».

فقال: جُعلت فداك، إن الذنوب كثيرة كبار؟

قال عليه السلام: «أمّا في القيامة فكلكم في الجنّة بشفاعة النبي المطاع، أو وصي النبي، ولكني والله أتخوف عليكم في البرزخ».

قال: وما البرزخ؟

قال عليه السلام: «القبر منذ حين موته إلى يوم القيامة»[٣].

---

(١) أوّل الحديث في كتاب: نَفَس الرحمن للميرزا الطبرسي: 327؛ وتمامه في عوالي اللئالي 4/101، الهامش 3.

(٢) المؤمنون: 100.

(٣) الكافي 3/242، ح3/473.

حديثنا عن عالم البرزخ يحتاج إلى أن نقف فيه وَقَفاتٌ طويلة، ونتجول في غُرَفِه وأروقته، وفي أسفله وفي أعلاه؛ لكي نرى ماذا في عالم البرزخ، لكن لدينا سؤالان في الحقيقة حول البرزخ:

الأوّل: ما هو الدليل على عالم البرزخ؟

الثاني: الدين يهتم بما بعد الموت، وقد يبدو أنه أكثر من اهتمامه بالدنيا، فهل الدين يريد الإعراض عن الدنيا؟ في الوقت الذي يحتاج الإنسان إلى مَدَنيّة حديثة تبني المجتمع، فهل الدين لا يفكر بالتمدّن وبناء المجتمع الإنساني؟

بعض الناس يسجلون إشكالاً على الدين، وهو أن الدين فقط يهتم بما بعد الموت.

وسوف نجيب على هذين السؤالين.

الدليل على عالم البرزخ:

بالنسبة للسؤال الأوّل، وهو: ما هي طرق الإثبات لعالم البرزخ؟

من الناحية العلمية، فإن طرق الإثبات أو ما يسمى بطرق الاستدلال أربعة: لدينا دليل علمي، ولدينا دليل عقلي، ودليل وجداني، ودليل نسميه الدليل الغيبي.

الدليل العلمي: وهو عبارة عن الاستدلالات التجريبّة، مثلاً إن دليل ضغط الماء إلى الأعلى هو أنك إذا وضعت خشبة في الماء فإنها تطفو على الماء.

الدليل العقلي: وهو عبارة عن اعتماد استدلالات النظرية العقلية.

الدليل الوجداني: وهو الدليل الذي لا تستطيع أن تعرضه بالتحليل العلمي المختبري ولا بالتحليل العقلي، ولكن وجدانك وعمق ضميرك

يقول إن هذه القضية يقينيّة لا شك فيها، مثال ذلك الفيلسوف (كانت)، كان يريد أن يبيّن دليلاً على أنه موجود، ولم يكن هناك دليل علمي مختبري، ولا دليل عملي، لكنه قال: (أنا أفكر، فأنا موجود)، وأنا آكل وأشرب، ومرة أحس بالألم والحر والبرد والفرح والحزن، ومرة أنام وأستيقظ، فليس من الممكن أن أكون غير موجود، هذا الدليل نسميه الدليل الوجداني.

وهناك دليل رابع اسمه: الدليل الغيبي، وهو يختصّ في القضايا الغيبيّة، كعالم الآخرة، وعالم ما بعد الموت، والجنّة والنار، والملائكة، هذا العالم لا يخضع للاختبار؛ لأنه ليس عالماً ماديّاً، ولا يخضع للدليل العقلي المنطقي، فليس لدينا دليل عقلي منطقي يفرض وجود عالم الآخرة. ولا يخضع أيضاً للدليل الوجداني، فليس هناك شعور وجداني يتّفق عليه كل البشر في هذا الموضوع. هنا يأتي الدليل الغيبي، فطالما كانت المسألة غيبية إذن دليلها نأخذه من عالم الغيب ورسول السماء الذي يقول: إنه بعد القبر يوجد منكر ونكير، وعملك الصالح يُحشر معك، وهكذا عملك الطالح، والصلاة، والزكاة تأتي في القبر، فهذا كلّه من عالم الغيب، والمرشد لعالم الغيب هو الوحي، الذي هو عبارة عن صوت الغيب الذي يحدّثنا.

الله تعالى يقول: ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[1]، ونحن طالما آمنا بالغيب، إذن ما يأتينا من الغيب لا بدَّ أن نقبله، فدليلنا على عالم البرزخ هو الدليل الغيبي.

(١) المؤمنون: 100.

ونُخطئ إذا أردنا أن نُثبت وجود ذلك العالم بمختبراتنا العلمية، فعندما نفتح القبر لا نجد منكراً ولا نكيراً، وحتّى لو وضعنا أشعة فوق البنفسجية على القبر لا نستطيع رؤية ذلك، عالم البرزخ هو عالم روحي لا يمكن اكتشافه بأدوات مادية.

السؤال الثاني: إن الدين يفكّر بما بعد الموت، أما أمورنا الدنيوية فلا يفكر فيها.

الجواب: ليس كذلك، الدين يفكر ببناء الإنسان الكامل وبناء المجتمع الكامل، فهو كما يفكر بالآخرة يفكر بالدنيا؛ لأن في نظر الدين أن الآخرة هي انعكاس للدنيا، فإذا استطاع الإسلام أن يبني الإنسان المهذب الخدوم في الدنيا استطاع أن يبني حياته في الآخرة، أي هناك ارتباط بين عالم الدنيا وعالم الآخرة، أقرأ لكم بعض الروايات:

عن الإمام الصادق عليه السلام، عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «مرَّ عيسى عليه السلام على قبر يُعذب صاحبه، فذهب عيسى عليه السلام ولم يتدخل بعالم ما بعد الموت، وبعد سنة مرَّ على ذلك القبر وإذا بصاحبه لا يعذب، قال: يا رب مررت بصاحب هذا القبر قبل عام فإذا هو يعذب، ومررت عليه هذا العام فإذا هو لا يعذب، فما الأمر؟ فأوحى الله تبارك وتعالى إليه: يا روح الله إنه أدرك له ولد صالح، فأصلح طريقاً، وآوى يتيماً، فلهذا غفرت له بما فعل ابنه»[١].

السؤال: هل الدين هنا يفكر بالآخرة بعيداً عن تعمير الدنيا، أو يفكر بتعمير الآخرة عبر تعمير الدنيا؟

---

(١) أنظر: الكافي 6: 4/ باب فضل الولد/12.

الدين هنا يفكر بتعمير الآخرة عبر تعمير الدنيا، لاحظوا: أدرك له ولداً فأصلح طريقاً وآوى يتيماً، الموظف الذي يعمل على الماء أو الكهرباء أو البلدية هذا في الحقيقة صدقة عنه وعن والديه، فالإسلام يريد تعمير البلاد، ولم يقل اذهب في صومعة وتعبّد واترك الناس في الظلمات، الإسلام يبني الآخرة عبر بناء الدنيا.

الإمام الصادق عليه السلام يقول: «ست خصال ينتفع بها المؤمن بعد موته: ولد صالح يستغفر له، ومصحف يقرأ فيه، وقليب ـ بئر ـ يحفره، وغرس يغرسه، وصدقة ماء يجريه، وسُنّة حسنة يؤخذ بها بعده»[1].

السؤال هنا: أن هذه الست خصال هي لبناء الآخرة طبعاً، ويُنتفع بها بعد الموت، لكن لاحظوا هذا التلاحم، فهي يُنتفع بها في الدنيا أيضاً، فالقُليب الذي يحفره ينتفع به أهل الدنيا.

خصائص عالم البرزخ:

1 ـ عالم البرزخ هو عالم قريب من الدنيا ومشاهدها، وهو عالم ملاصق للدنيا وملاصق للآخرة، والإنسان في عالم البرزخ ليس بعيداً عن بيته وعياله وأحواله ومشاريعه، وهنا طبعاً قصص كثيرة نضطر إلى أن نجتاز الكثير منها.

حَبّة العرني ـ وهو من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام ـ يقول: خرجت مع أمير المؤمنين عليه السلام إلى الظهر ـ ظهر الكوفة وهو النجف الأشرف ـ فوقف بوادي السلام كأنه مخاطب لأقوام، فقمت بقيامه حتّى أعييت، ثمّ جلست حتّى مللت، ثمّ قمت حتّى نالني مثل ما نالني أوّلاً، ثمّ

(١) الخصال 9/323.

جلست حتّى مللت، ثمّ قمت وجمعت ردائي فقلت: يا أمير المؤمنين، إني قد أشفقت عليك من طول القيام، فراحة ساعة! ثمّ طرحت الرداء ليجلس عليه، فقال لي: «يا حَبّة، إن هو إلاّ محادثة مؤمن أو مؤانسته»، قال: قلت: يا أمير المؤمنين، وإنهم لكذلك؟! ، قال: «نعم، ولو كشف لك لرأيتهم حلقاً حلقاً محتبين يتحادثون»، فقلت: أجسام أم أرواح؟ فقال: «أرواح، وما من مؤمن يموت في بقعة من بقاع الأرض إلاّ قيل لروحه: الحقي بوادي السلام، وإنها لبقعة من جنّة عدن»[١].

2 ـ إنه عالم روحي وليس مادي، هو قريب من المادة، لكن هو في الحقيقة عالم روحي، قد يسأل أحد ويقول: أنتم تتحدّثون عن ضغطة القبر، فإذا مات الشخص في البحر وأكلته الأسماك، فليس هناك قبر له، فهل له ضغطة قبر؟ الإمام الصادق عليه السلام أيضاً وُجّه له هذا السؤال، حيث قيل: يا أبا عبد الله، المصلوب الذي لا يدفن، فهل يصيبه عذاب القبر؟ قال عليه السلام: «إن رب الأرض هو رب الهواء، فيوحي الله عز وجل إلى الهواء فيضغطه أشد من ضغطة القبر»[٢].

عالم البرزخ هو عالم روحي، إن كان في الأرض، أو كان في الهواء.

3 ـ إنه عالم ينتهي وليس أبدي، صحيح أنه طويل، لكنه ينتهي، فالآخرة هي التي لا تنتهي، أما البرزخ فهو عالم محدود: ﴿وَمِنْ وَرائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[٣].

4 ـ إن ذاك العالم يشهد فيه الإنسان حقيقة أعماله، هنا في الدنيا

---

(١) الكافي 3/243/1.

(٢) من لا يحضره الفقيه 1/192/584.

(٣) المؤمنون: 100.

نحن نشهد مظهر الأعمال، فالصلاة فيها ركوع وسجود، والصوم يعني لا نأكل ولا نشرب، أما في عالم البرزخ فإن الإنسان يشهد واقع الصلاة والصوم وبقية أعماله التي تنشأ من النية.

منامات المعصومين عليهم السلام:

اليوم وقع بيدي كتاب واستخرجت منه رواية، أحببت أن أعرّفكم على الكتاب الذي اسمه (منامات المعصومين عليهم السلام)، وهو موسوعة لطيفة تجمع منامات النبي صلى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام، ومؤلف الكتاب هو السيد محمّد القبان چي (حفظه الله تعالى) [1]، وسأقرأ لكم رواية من هذا الكتاب، وهي منام لرسول الله صلى الله عليه وآله.

منام رسول الله صلى الله عليه وآله:

في الأمالي للصدوق وكتب أخرى:

عن عبد الرحمن بن سمرة قال: كنّا عند رسول الله صلى الله عليه وآله يوماً، فقال: «إني رأيت البارحة عجائب».

فقلنا: يا رسول الله، وما رأيت؟ حدّثنا به، فداك أنفسنا وأهلونا وأولادنا.

فقال: «رأيت رجلاً من أمّتي وقد أتاه ملك الموت ليقبض روحه، فجاءه بره بوالديه فمنعه منه، ورأيت رجلاً من أمّتي قد بسط عليه عذاب القبر، فجاءه وضوؤه فمنعه منه، ورأيت رجلاً من أمّتي قد احتوشته

---

(١) هو الحجة السيد محمّد نجل السيد حسن القبان چي النجفي الشهيد، وشقيق صاحب هذه المحاضرات. ويدير حالياً مؤسسة إحياء التراث الشيعي، ومركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي عليه السلام. وله أبحاث وجهود خدمت المذهب وأفاد بها إخوانه المؤمنين.

الشياطين، فجاءه ذكر الله ﷻ فنجّاه من بينهم، ورأيت رجلاً من أمّتي يلهث قد احتوشته ملائكة العذاب، فجاءته صلاته فمنعته منهم، ورأيت رجلاً من أمّتي يلهث عطشاً كلما ورد حوضاً مُنع منه، فجاءه صيام شهر رمضان فسقاه وأرواه، ورأيت رجلاً من أمّتي والنبيون حلقاً حلقاً كلما أتى حلقة طُرد منها، فجاءه غُسله من الجنابة فأخذ بيده فأجلسه إلى جنبي، ورأيت رجلاً من أمّتي بين يديه ظلمة ومن خلفه ظلمة وعن يمينه ظلمة وعن شماله ظلمة ومن تحته ظلمة، فجاءه حجه وعمرته فأخرجاه من الظلمة وأدخلاه في النور، ورأيت رجلاً من أمّتي يكلم المؤمنين فلا يكلمونه، فجاءه صلة الرحم وقال: يا معشر المؤمنين كلّموه، فإنه كان واصلاً للرحم، فكلمه المؤمنون وصافحوه وكان معهم، ورأيت رجلاً من أمّتي يتّقي وَهَج النيران وشررها بيده ووجهه، فجاءته صدقته فكانت ظلاً على رأسه وستراً على وجهه، ورأيت رجلاً من أمّتي قد أخذته الزبانية من كل مكان، فجاءه أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر فخلّصاه من بينهم وجعلاه مع ملائكة الرحمة، ورأيت رجلاً من أمّتي جاثياً على ركبتيه بينه وبين رحمة الله حجاب، فجاءه حُسن خُلُقه فأخذه بيده وأدخله في رحمة الله، ورأيت رجلاً من أمّتي قد هوت صحيفته قبل شماله، فجاءه خوفه من الله ﷻ فأخذ صحيفته فجعلها في يمينه، ورأيت رجلاً من أمّتي قد خفّت موازينه، فجاءه إفراطه فثقلوا موازينه، ورأيت رجلاً من أمّتي قائماً على شفير جهنم، فجاءه رجاؤه من الله ﷻ فاستنقذه من ذلك، ورأيت رجلاً من أمّتي قد هوى في النار، فجاءته دموعه التي بكى من خشية الله فاستخرجته من ذلك، ورأيت رجلاً من أمّتي على الصراط

يرتعد كما ترتعد السعفة في يوم ريح عاصف، فجاءه حسن ظنه بالله فسكن رعدته ومضى على الصراط، ورأيت رجلاً من أمّتي على الصراط يزحف أحياناً ويحبو أحياناً ويتعلق أحياناً، فجاءته صلاته عليَّ فأقامته على قدميه ومضى على الصراط، ورأيت رجلاً من أمّتي انتهى إلى أبواب الجنّة كلها، كلما انتهى إلى باب أغلِق دونه، فجاءته شهادة أن لا إله إلاّ الله صادقاً بها، ففتحت له الأبواب ودخل الجنّة»(١).

5 _ أنه يمكن التواصل مع عالم البرزخ، وهذا طبعاً من الغيب، حينما تقف على القبر وتقرأ سورة الفاتحة يعني أن هناك صلة بينك وبين هذا القبر، فتستطيع أن تبعث له بهدية.

عن الإمام الباقر عليه السلام وقد سُئل عن زيارة القبور؟، فقال: «إذا كان يوم الجمعة فزرهم، فإنه من كان منهم في ضيق وُسّع عليه ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، يعلمون بمن أتاهم في كل يوم»، قال الراوي: فقلت: يعلمون بمن أتاهم فيفرحون به؟!

قال عليه السلام: «نعم، ويستوحشون له إذا انصرف عنهم»(٢).

أي هناك صلة بيننا وبين عالم البرزخ.

6 _ ومن جملة الخصوصيات لعالم البرزخ هي منكر ونكير، فيوم القيامة في الحقيقة ليس هناك منكر ونكير، ﴿وَكُلَّ إِنسانٍ أَلْزَمْناهُ طائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ كِتاباً يَلْقاهُ مَنْشُوراً﴾(٣)، أي هناك حساب ذاتي، لكن في القبر هناك مرحلة تمهيدية، وهناك ملائكة أحدهما منكر،

(١) أمالي الصدوق: 1/342/301؛ بحار الأنوار 7/290.

(٢) وسائل الشيعة 3/415/ باب 57/ 4/ 1/ 973.

(٣) الإسراء: 13.

والآخر نكير يسألونك عن ربك، وعن دينك، وعن نبيك. في عالم البرزخ سؤال عبر الملائكة، أما يوم القيامة فكل إنسان شهيد على نفسه، ﴿بَلِ الْإِنسانُ عَلى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ * وَلَوْ أَلْقى مَعاذِيرَهُ﴾[١]، منكر ونكير من خصائص عالم البرزخ، يقولان له: من ربك؟ ومن نبيك؟ فيقول: الله ربي، ومحمّد نبيي، والإسلام ديني، فيفتحون باباً إلى الجنّة، وهذا قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا إِنْ كانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ * فَرَوْحٌ وَرَيْحانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ﴾[٢]، وأما الكافر إذا دفن فيأتيانه منكر ونكير بأبشع صورة، فيقولان: من ربك؟ ومن نبيك؟ فيتلجلج لسانه، فيضربانه ضربة يسمعها كل من في الوجود إلاّ الثقلين، ويسألانه مرّة ثانية: من ربك؟ ومن نبيك؟ فيقول: لا أدري، فيقولا له: لا دريت، ولا هديت، ولا أفلحت، ثمّ يفتحان له باباً إلى النار، وينزلان له من الحميم من جهنم إلى القبر، وذلك قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا إِنْ كانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ * فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ * وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾[٣] [٤].

والحمد لله رب العالمين

* * *

---

(١) القيامة:14 و15.

(٢) الواقعة:98 و99.

(٣) الواقعة:92 ـ94.

(٤) أنظر نص ما رواه الصدوق في أماليه:365/455/12.

المحاضرة الستون:

المكوّنات النفسيّة لشخصية الإنسان

«أنَا يَا رَبِّ الَّذِي لَمْ أسْتَحْيِكَ فِي الْخَلاءِ ، وَلَمْ أراقِبْكَ فِي الْمَلَإ ، أنَا صَاحِبُ الدَّوَاهِي الْعُظْمَى ، أنَا الَّذِي عَلَى سَيِّدِهِ اجْتَرَى...».

بسم الله الرحمن الرحيم

الإنسان له مكونات بدنية، وله مكونات نفسية، نحن لا نتحدّث عن المكونات البدنية كالعين واليد والرجل وما شاكل ذلك، إنما نتحدّث عن المكونات النفسية من وجهة نظر الإسلام، وذلك لأن الإسلام في مجمل الفلسفة التي لديه يقدّم رؤية وقراءة للمكونات النفسية للإنسان.

طبعاً هناك نظريات في الإنسان وحقيقته وتراكماته، لكن الإسلام له وجهة نظر أعمق من هذه النظريات.

نظرية (دوركهايم):

فمثلاً هناك نظرية تقول: إن الإنسان عبارة عن انعكاسات للواقع الاجتماعي، وهي نظرية الفيلسوف الغربي المعروف (دوركهايم)، إن الإنسان مثل شاشة التلفاز التي تعكس الشريط السينمائي، وهي لا تملك ضرّاً ولا نفعاً.

نظرية (فرويد):

ونظرية ثانية ومؤسسها هو (فرويد)، وهي الصياغة العقدية، وتعني أن الإنسان عبارة عن انفجار عقد نفسية موجودة في عالم لا شعور الإنسان؛ لأن الإنسان مكوّن من عالم الشعور وعالم اللاّشعور، والجزء الأعظم والمخفي هو عالم اللاّشعور، وهو الذي يحرّك الإنسان من حيث لا يدري، هذه النظرية تسمى

نظرية التحليل النفسي، مثلاً طفل احتقره أبوه في صغره أمام مشهد من الناس، فتتكون عنده عقدة، فحينما يكبر سيتعامل على أساس ردّ فعل لتلك العقدة، ولعلّه قد نسي تلك الحادثة، لكن آثارها في عالم اللاّشعور محفوظة، فتكون حياته هي ردّ فعل لتلك العقدة.

نظرية (كارل ماركس):

وهناك نظرية ثالثة، هي: أن الإنسان عبارة عن منتوج اجتماعي، وهو وليد تراكمات اجتماعية وصراع الطبقات، بين طبقة فقيرة عماليّة وأخرى غنية رأسمالية، هذه النظرية هي نظرية (كارل ماركس).

نظرية (باركلي):

وهناك نظرية رابعة، وهي نظرية (باركلي)، الذي يقول: إن الإنسان عبارة عن وجودات ذهنية، وتراكمات لصور ذهنية، وهي التي تحرك هذا الإنسان.

الإنسان في النظرية الإسلاميّة:

الإسلام لا يميل إلى حصر المكونات الإنسانية بواحد من هذه العوامل، وبالفعل فإن هناك عوامل وراثية وتربوية وعقدية واقتصادية وأزمات وحروب وما تتركه من آثار نفسيّة، بلا شكّ هذه تترك آثاراً لدى الإنسان، لكن هل الإنسان هو عبارة عن نتاج اجتماعي؟ وكيف نتعامل مع الإنسان؟

الإسلام يقول: أن هناك مؤثّرات عديدة، لكن الإنسان يتمتع بشخصية مستقلة ذات إرادة يتحمل مسؤولية موقفه، لا يمكن أن نقول: إن هذا الإنسان هو ناتج اجتماعي لتناقضات اجتماعية ولا يتحمل مسؤولية موقفه، كالنظرية التي

تقول أن الإنسان يكون مجرماً؛ لأن مجتمعه معقّد، أو أن أباه لم يربّهِ بطريقة صحيحة فصار مجرماً وهو ليس بيده شيء فهو نتاج تراكمات وتناقضات اقتصادية، لا، الإسلام يقول: إنه مهما كانت المؤثرات، لكن يبقى هذا الإنسان له شخصية مختارة ولها تقييم واحترام عند خالق هذا الإنسان، وبالتالي يعامله على أساس إرادته، أي إن الإنسان هو شخصية، وله إرادة، إما يكون ناجحاً، أو مؤمناً، أو كافراً، أو سليم الأخلاق، أو سيء الأخلاق، ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنا بَنِي آدَمَ ﴾[1]، ﴿الرَّحْمنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الإِنسانَ * عَلَّمَهُ الْبَيانَ﴾[2]، أي إن الإنسان هو مخلوق مكرّم وله إرادة، ويجب أن يتحمل مسؤولية موقفه، هذه رؤية الإسلام للإنسان، فيجب أن يكون له موقع ويتحمل استحقاقات هذا الموقع.

حديثنا الليلة عن الإنسان.

لاحظوا أننا نقرأ في دعاء أبي حمزة نظرية فلسفية، لكن على شكل دعاء:

«إلهي أنا الصغير الذي ربّيته.. وأنا الفقير..، أنا السقيم..، أنا المذنب..، أنا المجرم...».

وتقرأ أيضاً: «إلهي هذا مقام البائس الفقير، هذا مقام البائس المستجير، هذا مقام المحزون المكروب، هذا مقام المحزون المغموم المهموم، هذا مقام الغريب الغريق، هذا مقام المستوحش الفَرِق، هذا مقام من لا يجد لذنبه غافراً غيرك...»[3].

تصور كيف هو حجم الإنسان، فهو خائف وحزين ومهموم

---

(١) الإسراء:70.

(٢) الرحمن: 1 - 4.

(٣) من أدعية السحر، مصباح المتهجد599.

وبائس ومقصر وصغير وحقير، «إلهي أنا عبد أتنصل إليك مما كنت أواجهك به من قلة استحيائي من نظرك، وأطلب العفو منك، إذ العفو نعت لكرمك... إلهي أنا مملوكك المنيب، وأنا عبدك المذنب»[1]، هذه صور يعطيها الدعاء تجاه ما هي رؤية الإسلام عن الإنسان.

اليوم نحن نريد أن نشرح النظرية الإسلاميّة، وهل أن الإنسان هو عبارة عن تراكم لنقاط سوداء، كأن يكون مسيئاً، أو مذنباً، أو خائفاً أو فقيراً، أو مستوحشاً، أم أن هناك شيئاً آخر؟

مجالات دراسة الإنسان:

الجواب هو: أن هناك ثلاثة مجالات:

المجال الأوّل: الإنسان مع الله.

المجال الثاني: الإنسان مع الناس.

المجال الثالث: الإنسان مع النفس.

وسوف نرى أن الإسلام، والقرآن، ولغة الدعاء بالخصوص، تعطي لكل مجال صورة معينة، الإنسان في العلاقة مع الله هو غير الإنسان في العلاقة مع النفس، وهو غيره في العلاقة مع الناس.

طبعاً بعض علماء الاجتماع كان يعبّر عن هذا بأنه ازدواجية في التفكير، والحقيقة أنه ليس ازدواجية، وإنما هي رؤى من زوايا متعددة، فالإسلام يقول: إذا نظرنا إلى الإنسان من زاوية العلاقة مع الله كان له لون، ومن زاوية علاقته مع الناس كان له لون آخر، ومن زاوية علاقته مع

(١) من مناجاة أمير المؤمنين عليه السلام، وهي مناجاة الأئمّة من ولده عليهم السلام كانوا يدعون بها في شهر شعبان. (بحار الأنوار98:91).

نفسه كان له لون ثالث، وأنا الآن لا بدَّ أن أطرح هذه القضايا على مستوى الأحاديث والقصص التربوية، بعيداً عن اللغة العلمية واللغة الفلسفية.

لاحظوا الأدعية ماذا تقول:

«واجعلني ممن دأبهم الارتياح إليك والحنين، ودهرهم [١] الزفرة والأنين» [٢]، هنا النظر من زاوية العلاقة مع الله تعالى، أما من حيث العلاقة مع الدنيا فلا أحد يتمنى أن يكون دهره الزفرة والأنين، لكن العلاقة مع الله هي علاقة العاشق والمعشوق:

«أنت لا غيرك مرادي، ولك لا لسواك سهري وسهادي، ولقاؤك قرّة عيني، ووصلك منى نفسي، وإليك شوقي، وفي محبتك ولهي، وإلى هواك صبابتي، ورضاك بغيتي، ورؤيتك حاجتي، وجوارك طلبتي، وقُربك غاية سؤلي، وفي مناجاتك أنسي وراحتي، وعندك دواء علتي وشفاء غلتي، وبرد لوعتي، وكشف كربتي، فكن أنيسي في وحشتي، ومقيل عثرتي، وغافر زلتي، وقابل توبتي، ومجيب دعوتي، وولي عصمتي، ومغنى فاقتي، ولا تقطعني عنك، ولا تبعدني منك، يا نعيمي وجنّتي، ويا دنياي وآخرتي» [٣]، هذه علاقة العشق مع الله تبارك وتعالى، وعلاقة الفناء في حب الله، علاقة من يمرّغ نفسه في التراب ويتمنى اللقاء بمحبوبه وهو عزيز النفس، لكنه مع خالقه ومحبوبه هو أذل الأذلّين وأصغر الأصغرين، المكونات النفسية في هذا المجال تجمعها صفة

(١) دهرهم: ديدنهم.

(٢) من مناجاة الإمام السجاد عليه السلام المسمّاة بـ(مناجاة المحبّين). (بحار الأنوار148/91).

(٣) من مناجاة الإمام السجاد عليه السلام المسمّاة بـ(مناجاة المريدين). (بحار الأنوار148/91).

العبودية ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾[1]، الإنسان أمام الله هو عبد، فما هي صفات العبودية؟ هي التواضع، الذلة، احتقار النفس، السؤال، الحاجة، الفقر، التذلل، الدعاء، التوسل، الحب والهيام.

استحقاقات العبوديّة:

ما هي استحقاقات العبودية؟

في الفقه الديني تأتي قائمة من المفاهيم، منها: الثقة بالله، التوكل على الله، الحب لله، التسليم إلى الله. طالما أنت عبد وهو رب، إذن لا بدَّ من الثقة، وطالما هو الغني المطلق، إذن لا بدّ من ثقة مطلقة، ولهذا نقرأ في دعاء أبي حمزة الثمالي: «الحمد لله الذي أرجوه عوناً في حياتي، وأعدّه ذخراً ليوم فاقتي»، أي إني أحمد الله الذي أرجوه في الحياة عوناً وفي الآخرة ذخراً، هذه هي الرؤية الإسلاميّة في العلاقة مع الله، وطبعاً هناك اتجاهات متطرفة إلى أقصى اليمين، واتجاهات إلى أقصى اليسار.

مثلاً التسليم إلى الله تعالى، والتوكل على الله تعالى.

الإسلام في ضوء مذهب أهل البيت عليهم السلام يدعو إلى التسليم، لكن مع العمل والمحاولة والجهد، يعني صحيح أنّك تسلّم لنتائج الامتحانات، لكن يجب أن تقرأ وتجتهد لتنجح، وليس معنى التسليم هو أن تترك العمل والاجتهاد للحصول على النجاح، فهذا ليس تسليماً، لكن هناك تطرّف في فهم معنى التسليم.

أقرأ لكم أبياتاً لأحد الفقهاء الكبار، وله اتّجاه يسمّى الاتجاه

---

(١) مريم:30.

الإخباري، وهو الشيخ الأحسائي، وهذه الأبيات صحيحة، ومفهومها صحيح، لكن قد يفهمها البعض بشكل غير صحيح.

الشيخ الأحسائي يقول: رأيت الإمام الحسن عليه السلام في المنام، وقلت له: علّمني شيئاً ينفعني وأدّخره لي، يقول: فعلّمني أبيات هي:

كن عن همومك معرضاً وَكِلِ الأمور إلى القضا

فلربما اتّسع المضيق وربما ضاق الفضا

ولربَّ أمر مُعسر قد كان يَعقبُه الرضا

الله يفعل ما يشاء فلا تكن متفرضا

الله عوّدك الجميل فقس على ما قد مضى [١]

التسليم هو المعنى الصحيح المقصود من هذه الأبيات، لكن البعض قد يتطرّفون في ما هو التسليم، مثل أولئك الذين كانوا في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله.

والرواية تقول: أن رسول الله صلى الله عليه وآله جلس يوماً فذكّر أصحابه وخوّفهم، فحرّم بعضهم أن يأكل اللحم ، وأن يأكل بنهار ، وحرم بعضهم النوم، وحرّم بعضهم النساء، فأنزل الله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّباتِ ما أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾[٢]، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ما بال قوم حرّموا النساء والطعام والنوم ، ألا إنّي أنام، وأقوم ، وأفطر، وأصوم، وأنكح النساء، فمن رغب عن سُنّتي فليس مني»[٣].

---

(١) أخلاق أهل البيت174.

(٢) المائدة:87 .

(٣) شواهد التنزيل 2601.

وهذا هو الإسلام الحقيقي، أي الاعتدال، وليس حالة التطرّف، هذا التطرّف هو فهم غير صحيح لواقع النظرية الدينية.

في رواية عن الباقر عليه السلام قال: «مرَّ رسول الله صلى الله عليه وآله على رجل يَغرس غرساً في حائط له، فوقف عليه وقال له: ألا أدلّك على غرس أثبت أصلاً، وأسرع إيناعاً، وأطيبُ ثمراً وأبقى؟

قال: بلى، فدلّني يا رسول الله، فقال صلى الله عليه وآله: إذا أصبحت وأمسيت فقل: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلاّ الله، والله أكبر، فإن لك بكل تسبيحة عشر شجرات في الجنّة من أنواع الفاكهة، وهي الباقيات الصالحات»[(١)].

هذا الحديث يقول عنه علماؤنا أنه حديث صحيح من حيث السند، لكن السؤال المهم هو: كيف نفهمه؟

لو أنّ هذا الفلاّح حينما سمع هذا الحديث ترك الزراعة والغرس كان ذلك خطأ، فرسول الله صلى الله عليه وآله لا يقصد أن لا تغرس ولا تزرع ولا تعمل، وإنما هو في نفس الوقت يعلّمك غرساً لآخرتك أفضل من هذا الذي لِدُنياك، أن يدلك الرسول على غرس الآخرة، لا يعني أن يكون عندك إهمالٌ للدنيا، هذا هو مستوى التسليم للقضاء.

هناك مفهوم آخر، وهو أن نميّز بين الرضا بالقضاء والرضا بالمقضي، فلو أن شخصاً كان مريضاً، فهل يرضى بالمرض ويقول هو هدية من الله تعالى، ولا يراجع طبيباً ولا يأكل طعاماً؛ لأن هذا قضاء الله وقدره؟ العلماء يقولون: أن هناك فرق بين الرضا بالمقضي والرضا

---

(١) الكافي 5062/ باب التسبيح والتهليل والتكبير/ ح 3.

بالقضاء. أنت ارضَ بالقضاء الإلهي وقل إلهي أنا أقبل تقديرك وقضاءك، لكن أنت يا إلهي تخيرني بين هذا اللون وهذا اللون، أي بين المرض والعافية، فأنا لا أرضى بالمقضي، لكن أرضى بالقضاء، هذه مفاهيم حول ما هي العلاقة بين الإنسان وبين الله تبارك وتعالى؟

العلاقة مع الناس:

ما هي المكونات النفسية لنا؟

كيف نصوغ القالب النفسي لنا في علاقتنا مع الناس الآخرين؟

علاقتنا مع الله هي حب وعشق وتوسل وتذلل، ونلوذ به، وفقراء إليه، فهل أن العلاقة مع البشر كذلك؟

لا، ليس كذلك، فهنا نحن ننظر للإنسان من زاوية أخرى.

نظرية (نيتشيه):

أحد فلاسفة الألمان وهو (نيتشيه) وهو من المتطرفين المتشائمين ينظر إلى البشرية والمجتمع الإنساني نظرة سوداء، يقول: (إن خلافاتي مع جميع الناس سلبت الاعتماد منهم عليَّ)، وهو فيلسوف نابغة، لكن نتيجته كانت قطع علاقته مع كل الناس، ويقول في آخر أيام حياته: (أعاني اليوم من وحدة قاسية، حتّى لا أستطيع أن أضحك فيها مع شخص واحد).

هذه النظرة السوداء انعكست على الدولة الإسلاميّة في الأندلس، حيث صار عندنا فلاسفة مثل ابن رشد، وابن باجة، وهؤلاء بخلاف شيعة أهل البيت الذين مهما تراكم الظلم عليهم لكنهم لم يخرجوا بنظرة سوداء على المجتمع، بل بقوا يخالطونه، هؤلاء الفلاسفة مثل ابن رشد وابن باجة رأوا المجتمع فاسداً وأموياً منحرفاً، فاتجهوا للعزلة، وأصبحوا

يفكّرون بمجتمع مثالي، حيث ذهبوا للعيش على الجبال؛ لكي يعملوا مجتمعاً من الفقهاء والعدول والصالحين وأهل صلاة الليل، إن مثل هذا المجتمع ليس فيه الخبّاز والطبيب والسائق، فكيف يعيشون؟

هذه نظرية آراء أهل المدينة الفاضلة الفارابيّة، أن نعمل مدينة فاضلة ليس فيها شهوات ومشكلات واحتياجات وأنانيات.

أقرأ لكم هذه النصوص فقط لأفتح لكم اضاءات على ما صار في الفلسفة الإسلاميّة على تاريخ ألف وأربعمائة سنة.

نظرية التوحّد والعزلة:

ابن باجة فيلسوف إسلامي أندلسي طرح نظرية فلسفة التوحّد والعزلة عن المجتمع، حيث قال: من خصائص المدينة الكاملة عدم وجود فن الطب؛ لأن المريض لا يوجد فيها، ولا قضاء ومحكمة؛ لعدم وجود المشاكل والخصومة، وجميع الآراء صحيحة، ولا يوجد أيّ رأي خاطئ، وجميع الأعمال حسنة ومقبولة؛ لأنها بحضور الوحي الإلهي.

هذه نظرية، نحن وفقاً لرؤية أهل البيت نعتبرها فرضيّة مثاليّة غير موجودة لا في الأرض ولا خارجها، إلاّ في الجنّة، حيث لا يحتاج الناس بعضهم البعض هناك، فحينما تريد طعاماً يأتيك، وما شاكل ذلك: ﴿وَحُورٌ عِينٌ * كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾[1]، ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ﴾[2]، ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنفُسُ﴾[3]، لكن هذا لا يتحقق في الدنيا، هؤلاء كانوا يفكرون

---

(١) الواقعة:22 و23.

(٢) الواقعة:17.

(٣) الزخرف:71.

بمجتمع التوحّد، ولهذا كان عند ابن باجة كتاب اسمه (تدبير المتوحّد)، أي صفات الذي يعيش في صومعة بعيداً عن العالم، أما الإسلام الحقيقي الأصيل فيعتبر هذه النظريات متطرفة.

أقرأ لكم بيتين لعارف مصري فيلسوف يُعتبر في قمة العُرَفاء العرب، وهو ابن الفارض، الذي أعجب به عالم العرفاء وهو محيي الدين بن عربي في هذا المجال، ابن فارض يقول:

وأبعدني عن أربعي بُعدُ شبابي وعقلي وارتياحي وصحتي

فلي بعد أوطاني سكون إلى الفلا وبالوحش أنسى إذ من الإنس وحشتي[١]

هذه النظرية في مدرسة أهل البيت عليهم السلام غير مقبولة.

العزلة والرؤية المتوحشة لأبناء البشر هي غير مقبولة، الرؤية الإسلاميّة تقول: «الخلق عيال الله، فأحب الخلق إلى الله من نفع عيال الله، وأدخل على أهل بيتٍ سروراً»[٢].

إبراهيم عليه السلام والضيف الكافر:

وقد ورد أن إبراهيم عليه السلام كان لا يأكل وحده، فإذا حضر طعامه أرسل يطلب من يأكل معه، فلقي يوماً رجلاً ، فلما جلس معه على الطعام، قال له إبراهيم: سم الله . قال الرجل : لا أدري ما الله؟ فقال له: فاخرج عن طعام ي، فلما خرج نزل إليه جبريل فقال له: يقول الله : إنه يرزقه على كفره مدى عمره ، وأنت بخلت عليه بلقمة . فخرج إبراهيم

(١) الكنى والألقاب 3751.

(٢) الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله. أنظر: الكافي 1642/ باب الاهتمام بأمور المسلمين والنصيحة لهم ونفعهم/ ح 6.

فزعاً يجر رداءه، وقال: ارجع، فقال: لا أرجع حتّى تخبرني لم تردني لغير معنى؟ فأخبره بالأمر، فقال : هذا رب كري م، آمنت، ودخل وسمى الله وأكل وهو مؤمن[1].

لاحظوا العلاقة مع الناس، هي علاقة خدمة وإنسانية.

الرواية التي يرويها الإمام الغزالي في (إحياء علوم الدين) وهو من علماء السُنّة، لكن الفكرة صحيحة في هذه الرواية التي تقول: إن سعد بن أبي وقاص كان يفتخر ويتباهى بشجاعته في المسجد أمام الرسول ﷺ، فقال له: «إن الله أيّد هذا الدين بضعفاء أمّتي وبإخلاصهم وصلاتهم وبدعائهم ونياتهم»[2]، أنظروا إلى الناس نظرة حسنة ايجابية، ولا تنظروا إلى سيئاتهم، العلاقة بين الناس هي علاقة احترام وأخوّة وخدمة البعض للبعض الآخر، وعلاقة هداية، وليس علاقة استعلاء وفوقيّة، ولا علاقة احتقار وتذلل.

قال رسول الله ﷺ: «ما يوضع في ميزان امرئٍ يوم القيامة أفضل من حسن الخُلُق»[3].

الإمام الصادق عليه السلام يقول: «من حب الرجل دينه حبه لإخوانه»[4].

وفي رواية أخرى عنه عليه السلام عن رسول الله ﷺ قال: «خيركم من أطعم الطعام، وأفشى السلام، وصلى بالليل والناس نيام»[5].

---

(١) تفسير القرطبي 68:9.

(٢) في مسند سعد بن أبي وقاص 51/105: أن سعد بن أبي وقاص رأى أن له فضلاً على من دونه، فقال رسول الله ﷺ: «إنما نصرت هذه الأمّة بضعفائهم وبدعوته وبصلاتهم وبإخلاصهم».

(٣) الكافي 99:2/ باب حسن الخُلُق/ ح 2.

(٤) وسائل الشيعة 8/21288 17916.

(٥) الكافي 50:4/ باب فضل إطعام الطعام/ ح 3.

العلاقة مع النفس:

المجال الثالث هو مجال النفس: نحن كيف ننظر لأنفسنا؟

هنا الإسلام يعطي منظومة معرفيّة كاملة:

أوّلاً: هذه النفس هي موضع تكريم الله، فالرواية عن أمير المؤمنين عليه السلام تقول: «ليس لأنفسكم ثمن إلاّ الجنّة، فلا تبيعوها إلاّ بها»(١).

ثانياً: النفس أمّارة بالسوء، فاحذروا منها: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾، فلو أطلقت لها العنان فسوف تؤذيك: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ ما رَحِمَ رَبِّي﴾(٢)، إذن لا بدَّ من الرقابة والسيطرة، فالحديث النبوي يقول: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسَبوا، وزنوها قبل أن توزنوا، وتجهّزوا للعرض الأكبر»(٣).

في رواية متواترة يرويها الشيخ الصدوق في (معاني الأخبار) وآخرون: أن قيس بن عاصم وهو زعيم قبيلة بني تميم جاء مع وفد من قومه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، وقال: يا رسول الله، نحن نغيب عنك طويلاً، فعضنا موعظة ننتفع بها، فقال صلى الله عليه وآله:

«يا قيس، إن مع العز ذلاً، وإنَّ مع الحياة موتاً، وإن مع الدنيا آخرة، وإن لكل شيء حسيباً وعلى كل شيء رقيباً، وإن لكل حسنة ثواباً، ولكل سيئة عقاباً، ولكل أجل كتاباً، وإنه لا بدَّ لك يا قيس من قرين يدفن معك وهو حي، وتدفن معه وأنت ميت، فإن كان كريماً أكرمك، وإن كان لئيماً أسلمك».

قال: يا رسول الله هذه موعظة جميلة، وأنا أرغب أن تدعو شاعراً

---

(١) نهج البلاغة 456/1054.

(٢) يوسف:53.

(٣) وسائل الشيعة16:99/2108/9.

من شعرائكم لينظمها في قصيدة كي نحفظها، فأرسل إلى حسّان بن ثابت، وقبل أن يصل حسّان، قال قيس: يا رسول الله، قد حضرتني أبياتاً أحسبها توافق ما نريد، فهل تسمح لي أن أقولها؟ فقال له النبي ﷺ: «قل يا قيس».

فقال:

تخيَّر قريناً من فعالك إنما قرينُ الفتى في القبر ما كان يفعلُ
ولا بدَّ بعد الموت من أن تعدّه ليوم ينادى المرء فيه فيرحَلُ
فإن كنت مشغولاً بشيء فلا تكن بغير الذي يُرضى به اللهُ تُشغلُ
فلن يصحب الإنسان من بعد موته ومن قبله إلاّ الذي كان يعملُ
ألا إنما الإنسان ضيفٌ لأهله يُقيم قليلاً بينهمُ ثمَّ يَرحلُ (١)

والحمد لله رب العالمين

* * *

(١) معاني الأخبار:232/ باب معنى القرين الذي يدفن مع الإنسان.../ ح 1؛ أعلام الدين:331.

فهرست الموضوعات